حوادث الدهور

في مدى الأيام والشهور

لابن تغري بردي
(ت ٨٧٤ هـ - ١٤٧٠م)

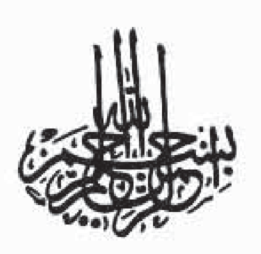
تحقيق
د. محمد كمال الدين عز الدين

الجزء الثاني

عالم الكتب

حوادث الدهور

في مدى الأيام والشهور



الطبعة الأولى
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

سنة خمس وخمسين وثمانمائة

استهلّت هذه السنة ـ ووافق ذلك العاشر من أمشير أحد شهور القبط ـ وسلطان الديار المصرية الملك الظاهر جَقْمَق العلائي الظاهِريّ ، وخليفة الوقت أمير المؤمنين المستكفي بالله أبو الربيع سليمان، وهو على خطة[1] . والقضاة والأمراء ونواب البلاد الشامية وسائر أرباب الدولة على حالهم في أوّل العام الماضي ما عدا الزَّرَدْكَاش فإنه الأمير لَاجِين ، وليها بعد موت تَغْرِي بَرْمُش كما ذكرناه في محلّه ، ونائب غزة الأمير جَانِبَك التَّاجي[2] المؤيّدي ، وليها بعد عزل خيربك النوروزي ، وشرف الدين موسى التتائي[3] الأنصاري المستقر في وظائف أبي الخير النحاس .

والأسعار في زيادة عن الحدّ، فالقمح بألف وخمسمائة درهم الإردب إلى ما دونها، والفول والشعير بنحو ألف درهم الإردب إلى ما دونها، وهما في قلة إلى الغاية، والدقيق العلامة بخمسمائة درهم البطة إلى ما دونها، والتبن بخمسمائة درهم الحمل إلى ما دونها، وأبيع الحمل التبن بثغر دمياط بألف درهم الحمل فتعطّل لذلك عِدّة دواليب بالثَّغْر المذكور، وخربت بساتين عديدة بالقاهرة وضواحيها، وأبيع الفدان من البرسيم الأخضر بعشرين أشْرَفياً، ثم وصل في

---

(١) المقصود : أنه في مرض موته .

(٢) نسبة إلى « التاج الوالي »، توفي في جمادى الثانية سنة ثمان وستين وثمانمائة للهجرة.
راجع: ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٢٨٥ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٥٥ ـ ٥٦ تر ٢٢٠ .

(٣) التتائي : نسبة إلى « تتا »، إحدى قرى المنوفية ـ السخاوي . نفسه ج ١١ ص ١٩٤ .

آخر السنة إلى ثلاثين أشرفياً، ثم عزّ وجوده البتة، وأبيع الحطبُ بمائة درهم الحملة، وهو في زيادة. وأما اللحوم فقليلة جداً، وأما سمينها فنادر.

[١٧٥] وماء النيل المحمول إلى القاهرة // بأزيد من عشرين درهماً الرَّاوية .

والجبن المقلي لا يوجد إلاّ نادراً، والجبن الأبيض الجاموسي باثنيّ عشر درهماً الرطل، والشيرج والزيت بأربعة وعشرين درهماً الرطل، والزيت الحار بخمسة عشر درهماً الرِّطْل .

وأجرة طحن الإردب، القمح بمائة وعشرين درهماً الإردب، وقد اتخذ غالب الناس في بيوتهم كل واحد رحى من حجر يطحن بها قمحه.

والسمن بثلاثين درهماً الرطل، والعسل النحل بنحو ذلك، والدبس باثنيّ عشر درهماً الرطل، والأرز بأربعة وعشرين درهماً القدح، والخبز بثمانية دراهم الرطل.

وقد كثرت الفقراء بالديار المصرية وعظم إلحاحهم في السؤال، بحيث إنه لا يكاد الشخص يمر في الطرقات إلاّ وهم في أثره، ويكررون له السؤال.

المحرم

أوله الخميس، ويوافقه عاشر أمشير أحد شهور القبط.

فيه أخلع السلطان على الأمير الطواشي مرجان العادلي المحمودي نائب مقدم المماليك باستقراره مقدم المماليك السلطانية، عوضاً عن جوهر النوروزي بحكم إخراجه إلى القدس الشريف بطالاً، وأخلع على عنبر الطنبدي باستقراره في نيابة تقدمة المماليك عوضاً عن الأمير مرجان المذكور.

وفي يوم الجمعة ثانيه توفي الخليفة أمير المؤمنين المستكفي بالله أبو الربيع سليمان، وهو في عشر الستين.

وفي يوم الاثنين خامسه جلس السلطان الملك الظاهر بالقصر الأعلى من قلعة الجبل داخل القصر الأبلق، واستدعى الشرفي حمزة ابن أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي عبد الله محمد، وحضر القضاة وأعيان الدولة واجتمعوا على مبايعة حمزة المذكور بالخلافة، فاستفتح قاضي القضاة شرف الدين يحيى المناوي

الشافعي البيعة بخطبة قصيرة في غير المعنى، ثم سكت في أثناء الخطبة ظاناً أن البيعة قد تمت، فعند ذلك ابتدأ القاضي كمال الدين محمد بن البارزي كاتب السر الشريف بخطبة بليغة حمد الله - تعالى - فيها وأثنى على نبيه محمد ﷺ ثم على الخليفة بعبارة طلقة مع فصاحة وحسن تأدي إلى أن استتمت البيعة، وبايعه // السلطان ومن حضر من القضاة والأعيان على مراتبهم، ثم سأل[١٧٦] القاضي كمال الدين - المذكور - الخليفة بأن يفوض إلى السلطان ويقلده أمور الرعية ، ويجعله (١) يتصرّف في المملكة كيف شاء ، وعدد له أشياء من هذه المقالة ، ثم استدعى السلطان التشريف الخليفتي (٢) وألبسه حمزة - المذكور - ووثب السلطان قائماً على قدميه إلى أن تم لبسه ، وعاد وقرأ الفاتحة ، ثم قام ونزل إلى داره بين يديه وجوه الدولة من القضاة والأمراء وأعيان الدولة ، واجتمعت الناس لرؤيته ، ولقب بالقائم بأمر الله .

وفي يوم الخميس خامس عشره وصل إلى القاهرة ولد جهان كير بن علي بك بن قرايلك وعلى يده مطالعة من والده تتضمن ما معناه أن جهان كير مملوك السلطان، ويطلب رضى الخواطر الشريفة عليه. فأكرم السلطان الولد - المذكور - وبعد أيام أنعم عليه بإمرة عشرة بطرابلس، ورسم له بالتوجه إلى طرابلس ويكون معه بها نحو عشرة نفر من حاشية والده جهان كير، والولد - المذكور - سنه دون عشر سنين.

وفي يوم الأربعاء حادي عشرينه وصل الأمير سونجبغا اليونسي أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، أمير حاج الرجبية، وصحبته الأمير جرباش المحمدي الناصري أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية، ومن الغد وصل الأمير خيربك المؤيدي ورأس نوبة أمير الركب الأول بمن معه من الحاج.

وفي يوم الجمعة ثالث عشرينه وصل الأمير تمربغا الظاهري الدوادار الثاني أمير حاج المحمل ببقية الحاج.

وفي هذا الشهر استقر القاضي شهاب الدين أحمد التلمساني المغربي في

(١) في الأصل : « وجعله » .

(٢) في الأصل : « الخليفيتي » .

قضاء المالكية بدمشق بعد عزل القاضي سالم.

وفي العشر الأخير من هذا الشهر توفي القاضي جمال الدين ابن هشام أحد نواب الحكم الحنابلة.

وفي يوم الخميس تاسع عشرينه توفي الرئيس مجد الدين عبد الرحمن بن الجيعان ناظر الخزانة الشريفة وكاتبها.

وفي هذا الشهر توفي القاضي شمس الدين محمد، قاضي مدينة ألينبع المعروف بابن زبالة .

صفر

[١٧٧] // أوله الجمعة.

في يوم السبت تاسعه وصل قصاد الأمير جهان شاه بن قرا يوسف متملك تبريز وبغداد وما والاهما إلى الديار المصرية وأنزلوا بالميدان من تحت قلعة الجبل إلى يوم الاثنين حادي عشره عمل السلطان الموكب بالحوش السلطاني من القلعة، وطلع القصاد - المذكورون - وتمثلوا بين يدي المواقف الشريفة وقدموا هدية جهان شاه - المذكور - وصحبتهم ابن أخي جهان شاه - أعني ابن أصبهان بن قرا يوسف - والهدية تشتمل على بعض خوذ وزرديات وجمال بخاتي أربعة عشر جملاً، وكان كتاب جهان شاه بالعجمي فعرب، فكان معناه التودد إلى السلطان، وأنه تحت طاعته، واعتذر - أيضاً - من قدومه إلى ديار بكر وأخذه أزرنكان ومدينة ماردين من جهان كير بن علي بك بن قرايلك، وأنه[1] ما فعل ذلك به إلاّ بخروج جهان كير عن طاعة السلطان، ولسوء سيرته في الرعية؛ والمقصود رفع يد جهان كير من ممالك ديار بكر، وتولية عمه الشيخ حسن بن قرايلك ليكون تحت طاعة السلطان .

ثم ذكر قاصد جهان شاه أن جهان شاه أرسل بولد أخيه أصبهان إلى السلطان ليكون تحت نظر السلطان ومن جملة مماليكه، فأخذه السلطان في الحال وضمه إلى ولده المقام الفخري عثمان. والصبي - المذكور - سنه نحو العشر سنين.

---

(١) في الأصل: «وأن».

ثم انفض الموكب وعاد القصاد إلى حيث أنزلوا بالميدان، ومنعوا من الاجتماع بالناس، ورتّب لهم السلطان في كل يوم - برسم النفقة - عشرة آلاف درهم.

وفي يوم الأحد سابع عشره ورد الخبر بقدوم الأمير بيغوث الأعرج المؤيدي نائب حماه - كان - الخارج عن طاعة السلطان قبل تاريخه إلى حلب صحبة الأمير ناصر الدين محمد بن مبارك نائب ألبيرة طائعاً للسلطان، وعلى يد القاصد عدة مطالعات من نواب البلاد الشامية تتضمن الشفاعة في بيغوث المذكور والرضى عنه، فقبل السلطان شفاعتهم، وكتب بإحضار بيغوث - المذكور - إلى الديار المصرية على أحسن الأحوال.

وفي يوم الاثنين ثامن عشره عمل السلطان مَدّةً هائلة لقصاد جهان شاه بالقلعة.

وفي يوم الأربعاء العشرين منه أنعم السلطان // على قصاد جهان شاه [١٧٨] بمبلغ ألفيّ دينار برسم نفقة السفر، وأنعم السلطان - أيضاً - على الأمير قانم التاجر المؤيدي معلم الأسواق بألف دينار، وندبه للتوجه صحبة القصاد، رسولاً إلى جهان شاه، وجهّز السلطان على يد قانم - المذكور - إلى جهان شاه بهدية هائلة تشتمل على قماش سكندري مذهب وغيره من أنواع الأقمشة الحرير، ما قيمته نحو خمسة عشر ألف دينار تقريباً.

وفي يوم الأربعاء هذا ورد الخبر بموت خوندكار مراد بك بن عثمان متملك بلاد الروم في سابع المحرم من السنة.

وفي يوم الجمعة ثاني عشرينه سافر الأمير قانم وقصاد جهان شاه إلى محل قصدهم.

شهر ربيع الأول

أوله السبت.

فيه توفي الشيخ شمس الدين محمد بن حسان الشافعي شيخ خانقاه سعيد السعداء، وتولى مشيخة سعيد السعداء من بعده الشيخ خالد.

وفي يوم الأحد ثانيه ركب السلطان الملك الظاهر جقمق ونزل إلى بيت

زين الدين يحيى الأستادار/ليعوده؛ لانقطاعه عن الخدمة الشريفة في داره. وسبب انقطاعه أن المماليك السلطانية أوقعوا به بباب القلة[1] من قلعة الجبل، وشج في رأسه، ونزل محمولاً إلى داره، وكثر الكلام في أمره إلى هذا اليوم انكف الناس عن الكلام فيه، فلم يطل جلوس السلطان عنده، وركب من عنده وعاد إلى بيت الصاحب جمال الدين يوسف ناظر الخواص الشريفة ونزل إليه، وأقام عنده قليلاً، ثم ركب وعاد إلى القلعة، وبعد طلوع السلطان إلى القلعة جهّز كل واحد من الأستادار وناظر الخاص تقدمة هائلة وأرسل بها إلى السلطان، فكانت تقدمة ناظر الخاص تشتمل على ذهب عين خمسة آلاف دينار، ومن الصوف الملّون خمسين ثوباً، ومن البعلبكي مائة ثوب، ومن المخمل الملوّن خمسين ثوباً، ومن الفرو سمور خمسة أبدان، ومن الوشق خمسة أبدان ـ أيضاً ـ وسنجاب عدة أبدان، وقماش سكندري كالمناديل المذهبة والشقق الحرير وغير ذلك جملة مستكثرة، وسكر نبات وحلوى وفاكهة على عدة حمالين

[١٧٩] وأما تقدمة // الأستادار فكانت تشتمل على ذهب عين خمسة آلاف دينار ـ أيضاً ـ وبعلبكي خمسمائة ثوب، ومخمل مدثر وساذج أربعين ثوباً، وقماش سكندري ما بين مناديل مذهبة وشقق حرير وغير ذلك شيء كثير، ومن الخيول ..انية أفراس، وسكر نبات وحلوى وفاكهة على عشرين حمالاً .

وفي يوم الثلاثاء رابعه لبس زين الدين الأستادار خلعة الاستمرار ، كامليَّةً بفرو سَمُّور .

وفي أوائل هذا الشهر وردت الأخبار من البلاد الشامية بأن جهان كير بن علي بك بن قرايلك صاحب آمد أرسل أخاه حسناً[2] وصحبته جماعة من عسكره لقتال عسكر جهان شاه بن قرا يوسف الذي هو صحبة عمه الشيخ حسن بن قرايلك، فسار حسن ـ المذكور ـ بمن معه غارة وبيت عمه الشيخ حسن بمن معه من عسكر جهان شاه وطرقه بغتة ، فظفر بعمه الشيخ حسن بن قرايلك

---

(١) باب القلة : عرف بذلك لأجل أنه كان هناك قلة بناها الملك الظاهر بيبرس ، وهدمها المنصور قلاوون ، ثم جدده الناصر محمد بن قلاوون
راجع : المقريزي . الخطط ج ٢ ص ٢١٢ .

(٢) في الأصل : « حسن » .

ـ المذكور ـ ونائبه ، وقتلهما معاً ، وحز رأسهما ، وقتل معهما عدة كبيرة من عسكر جهان شاه بن قرا يوسف ، وأبدع فيهم . ثم عاد حسن ـ هذا ـ إلى أخيه جهان كير بآمد مؤيداً منصوراً .

وفي يوم الخميس سادسه لبس الجمالي ناظر الخواص كاملية بفرو سمور .

وفي يوم الخميس ثالث عشره توفي القاضي شمس الدين محمد ، ابن أخت السخاوي .

وفي يوم الجمعة رابع عشره ـ ويوافقه حادي عشرين برمودة أحد شهور القبط ـ لبس السلطان القماش الأبيض على العادة .

وفي يوم الاثنين سابع عشره عقد السلطان عقده على بنت القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل، وكان متولي العقد قاضي القضاة بدر الدين محمد بن عبد المنعم الحنبلي، وخلع السلطان عليه كاملية بفرو سمور بعد إنجاز العقد.

وفي الجمعة،حادي عشرينه سافر زين الدين الأستادار إلى الوجه البحري لحفر بحر المنزلة وعمل مصالح تلك النواحي على ما يزعم، وسافر معه الأمير إينال العلائي الناصري أتابك العساكر والأمير تنم من عبد الرزاق المؤيدي أمير مجلس.

وسبب سفرهما صحبته أن زين الدين ـ المذكور ـ عرف السلطان // أن [١٨٠] لهما بتلك النواحي بلاداً داخلة في إقطاعاتهما، وحسن إلى السلطان توجههما معه للنظر في مصالح بلادهما، فإن بحر المنزلة قد انسد(١) فمه، وصار فيه الرمل كالجبال ، فرسم لهما السلطان بالسفر معه ، فتبرما من ذلك ، فلم يقبل السلطان عذرهما وألزمهما بالسفر معه ، فسافرا صحبته في اليوم المذكور .

وفي يوم الأحد ثالث عشرينه توفي الشيخ شمس الدين محمد الكاتب الحنفي الرومي.

وفي يوم الخميس عشرينه استقر صاحبنا القاضي بدر الدين محمد بن القطان في قضاء طرابلس، ثم عزل بعد أيام ورشح والده عوضه، وكلاهما لم يـل.

---

(١) في الأصل : « استد » .

وفي هذا الشهر انحط سعر الغلال، فأبيع القمح بثمانمائة درهم الإردب إلى ألف درهم، وأبيع الفول بسبعماية درهم الإردب إلى ما دونها وإلى ما فوقها ، وهو قليل جداً، والشعير بنحو ذلك، وانحط سعر التبن، فأبيع الحمل المحاشاة بنحو ثلاثمائة درهم الحمل، وكان وصل قبل تاريخه إلى سبعمائة درهم الحمل، وأبيع الدقيق العلامة بمائتين وخمسين درهماً البطة بعد أن وصل إلى خمسمائة درهم [1] البطة ، والرطل الخبز بأربعة دراهم الرطل بعد ثمانية دراهم الرطل ، وطال مكث هذا الغلاء بالديار المصرية حتى افتقر فيه جماعة من أهلها لطول مكث الغلاء بها .

وفي هذا الشهر ـ أيضاً ـ والذي قبله، فشا في الناس أمراض حادة توعك منها خلائق لا تدخل تحت حصر، وتوفي خلائق أيضاً.

وفيه ـ أيضاً ـ وردت الأخبار من البلاد الشامية بغلو أسعارها إلى الغاية، وأن القمح أبيع فيها بستمائة درهم فضة الغرارة، ووقع الغلاء بها ـ أيضاً ـ في سائر المأكولات.

وسبب ذلك كثرة الخلائق الذين قدموا عليها من مصر وغيرها فارين من الغلاء، وأيضاً من عظم ما وقع بها من الثلوج، ولله الأمر.

شهر ربيع الآخر

أوله الاثنين.

في يوم الخميس حادي عشره ورد على السلطان مطالعة الشريف بركات صاحب مكة تتضمن بأنه [2] ورد عليه من الهند الخبر بعود الأمير تمراز المؤيدي المصارع من بلاد كالكوت إلى جهة بندر / / جدة ، وأنه اشترى بما كان معه من [١٨١] مال السلطان الذي أخذه من بندر جدة أصنافاً من البهار [3] بسبب المتجر ، وأنه في عزمه العودة إلى طاعة السلطان .

---

(١) في الأصل : « درهما » .

(٢) في الأصل : « بأن » .

(٣) البهار : نبت طيب الرائحة ، يقال له : « عين البقر » ، أو « بهار البر » . راجع : المنجد ص ٥١ .

وفي يوم السبت ثالث عشره وصل الأمير بيغوث الأعرج المؤيدي إلى الديار المصرية وقبل الأرض بين يدي السلطان، وخلع عليه سلاريا أحمر بفرو سمور، ونزل مكرماً مبجلاً.

وفي يوم الاثنين خامس عشره سافر الأمير أسنباي الجمالي الظاهري أحد أمراء العشرات إلى بلاد الروم لتولية خوندكار محمد بن مراد بك بن عثمان الملك بعد وفاة أبيه مراد بك.

وفي يوم الجمعة تاسع عشره أرسل الشيخ المعتقد محمد السفاري المقيم بجامع عمرو بن العاص - رضي الله عنه - إلى الشيخ علي الطويل المحتسب العجمي - محتسب القاهرة - بفقيرين ومعهما جنزيرين وباشتين، وقالا له: أمرك الشيخ محمد السفاري أن تجعل في عنقك هذه الباشة وهذا الجنزير، وتجعل الأخرى في عنق نائبك القاضي عز الدين. فلما سمع الشيخ علي ذلك منهما أشهد عليهما بذلك، وطلع بهما من الغد في يوم السبت إلى السلطان وأخبره بمقالتهما، فأمر بهما السلطان فضربا بين يديه ضرباً مبرحاً على أكتافهما، وضرب دوادار والي مصر على مقعدته[1]، فإنه كان هو الذي أتى بهما إلى الشيخ علي المحتسب بالأمس بأمر الشيخ محمد السفاري، ثم شهرا بالقاهرة وحبسا بحبس المقشرة، وطلب السلطان الشيخ محمد السفاري ليوقع به، فتوجه إليه دوادار الأمير جانبك والي القاهرة وطلبه من غير إزعاج، فلم يلتفت الشيخ محمد إليه وسب السلطان، وحفظت عنه كلمات في حق السلطان تدل على قرب زوال السلطان إن صدق، منها أنه قال: إن السلطان يموت في يوم حادي عشرين جمادي الأولى من السنة، ومن الناس من نقل عنه أنه قال: اكتبوا عني ذلك - هذا على ما قيل - وكثر تخبط العوام، بل غالب الناس في ذلك، واختلفت الأقاويل في أمر الشيخ محمد - المذكور - وما سيأتي أعجب.

وفي هذا الشهر أشيع بالقاهرة أن السلطان ذكر أبا الخير النحاس بخير، وأنه في عزمه الإفراج عنه والرضي / / عليه، فبلغ السلطان ذلك، فبرز مرسومه [١٨٢ إلى نائب طرسوس بضربه مائة عصاة، وهذه افتقادة مني إليه!

(١) في الأصل: «مقعده».

جمادى الأولى

أوله الثلاثاء.

فيه سافر الشهابي أحمد بن إينال - أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية - إلى ثغر رشيد بمماليكه وحشمه لحفظ الثغر - المذكور - من مفسدي الفرنج.

وفي يوم الثلاثاء ثامنه سافر الأمير بيغوث المؤيدي الأعرج إلى دمشق ليقيم بها بطالاً، ورتب[1] له بها في كل شهر مائة دينار برسم النفقة إلى أن ينحل له إقطاع.

وفي يوم الجمعة حادي عشره توفي الشيخ محمد السفاري صاحب الواقعة مع الشيخ علي المحتسب قبل تاريخه، وهو القائل بأن السلطان الملك الظاهر جقمق يموت يوم حادي عشرين هذا الشهر، فمات الشيخ محمد - المذكور - قبل ذلك في يوم حادي عشر الشهر - المذكور - فهذا الأمر من الغرائب، لكونه يبشر بموت السلطان في يوم معين ويموت هو قبله بعشرة أيام، ولم يظهر لكلامه بعد ذلك صحة.

وأغرب من هذا - على ما حكى لي من أثق به - أن الشيخ محمد السفاري لما قال هذا الكلام وازدحم الناس على بابه لسماع هذا الكلام منه، قال بعض الفقراء ممن لا يؤبه إليه: حتى يعيش محمد السفاري إلى ذلك اليوم. فكان كذلك، فكان الكشف من هذا الفقير الثاني أعظم.

وقد ظهر لي بموت الشيخ محمد السفاري في هذا التاريخ شيء - وهو الصواب - وهو أن الشيخ لما طلبه السلطان ليوقع به، بعد أن بلغه ما وقع لفقيرية من الضرب والحبس والإهانة عظم عليه ذلك وعلم بموت نفسه في يوم حادي عشر الشهر، فقال كلاماً معناه في اليوم الفلاني نستريح بالموت، فتحرف الكلام على من سمع قوله: «في يوم حادي عشره» بيوم حادي عشرينه، وأما بقوله نستريح بالموت، فإنه[2] أشار بذلك إلى السلطان لا إلى نفسه، فإن غالب الفقراء أرباب الكشف لما يحصل لهم نوع من الكشف يقولون: يأتينا الخبر عن

(١) «ورتب»: مكررة في الأصل.

(٢) في الأصل: «بأنه».

أنفسهم، ويقصدون بذلك لمن حضر، فحملت العوام كلام الشيخ على هذه القاعدة بأن الشيخ محمد لما قال: نموت في اليوم الفلاني ما قصد إلاّ عن السلطان لكونه ضرب فقراءه ولم // يكن غير ذلك، فإن الشيخ محمد السفاري [١٨٣] كان خيراً ديناً حسن السيرة يقصد للزيارة، رحمه الله تعالى.

وفي يوم الجمعة هذا ورد الخبر من البلاد الحجازية بأن تمراز المصارع فر من بلاد الهند إلى جبرت، مملكة السلطان سعد الدينْ بغير مال، وهذا الخبر فيه أقوال.

وفي يوم الاثنين رابع عشره قدم الأمير قراجا العمري من دمشق إلى القاهرة، وكان مقيماً بدمشق من جملة الأمراء البطالين.

وفي يوم الأحد العشرين منه ـ ويوافق سادس عشري(١) بؤنة أحد شهور القبط ـ أخذ قاع النيل فجاءت القاعدة أربعة أذرع وخمسة عشر إصبعاً، وكان النيل في هذه السنة قد احترق احتراقاً زائداً حتى خاض الناس من عدة مواضع من ساحل بولاق إلى منبابة، وقل جريان الماء إلى الغاية، وقاست الناس في هذه الأيام من البلاء والشدائد والغلاء والجهد ما لا مزيد عليه، واتضع جانب أهل الديار المصرية رئيسها ووضيعها، بل أشرفت القاهرة على الخراب، ونزح عنها خلائق من أهلها لا تدخل تحت الحصر إلى البلاد الشامية، وورد عليها من أهل القرى ومن الأعراب أمثال من خرج منها، وكثر الفقراء منهم بالقاهرة حتى صاروا فوجاً فوجاً في الطرقات، ومات منهم خلائق كثيرة من شدة القحط.

جمادى الآخرة

أوله الخميس.

في ثامنه بنى السلطان ببنت الزيني عبد الباسط.

وفيه سافر زين الدين يحيى الأستادار إلى جهة المنصورة بالوجه البحري.

وفي يوم السبت عاشره لبس القاضي شهاب الدين أحمد بن الزهري قضاء الشافعية بطرابلس.

---

(١) في الأصل: «سادس عشرين».

وفي يوم الأحد حادي عشره وصل ابن بشارة مقدم العشير بالبلاد الشامية وأخبر أنه طرق صور عدة مراكب من الفرنج تزيد على عشرين مركباً وهجموا صور ونهبوا من بها حتى أدركم ابن بشارة - المذكور - بمجموعه وقاتل الفرنج قتالاً شديداً حتى (أ) جلاهم عن البلد، وقتل من الفريقين جماعة، وانتصر المسلمون، وقبض ابن بشارة - المذكور - على عدة من الفرنج وقطع رءوسهم ، ولله الحمد .

وفي يوم الاثنين ثاني عشره ورد الخبر بموت السيد الشريف هلمان بن وبير بن نخبار أمير مدينة ألينبع في أواخر جمادى الأولى. وكان مشكور السيرة على مذهب القوم.

[١٨٤] وفي (يوم) الأربعاء[١] رابع عشره // ورد الخبر بأن عشر مراكب من مراكب الفرنج هجمت على الطينة وقاتلوا من بها ، وقتل من المسلمين خمسة نفر ، وقتل من الفرنج جماعة ، ثم رجعت الفرنج بالخزي والهوان .

وفي يوم الاثنين سادس عشرينه لبس عبد العزيز بن محمد الصغير أحد الحجاب والأمير آخورية [خلعة] شاد الأوقاف ، وكان السلطان قد رسم له بذلك قبل تاريخه بمربعة[٢] ، وباشر عبد العزيز المذكور ذلك ، وأمر ونهى في أرباب الأوقاف ، وظلم وعسف لا سيما في مباشري مدرسة الملك الناصر حسن ؛ فإنه رسم عليهم وأبادهم ، فلما خلع عليه في اليوم - المذكور - ونزل بخلعته إلى داره أرسل قاضي القضاة سعد الدين ابن الديري الحنفي ورقة [بخطه][٣] إلى السلطان يعرفه بسوء سيرته وبما فعله في مباشري وقف مدرسة السلطان حسن ، ووَجَد بذلك من له غرض في عزله من أعيان الدولة سبيلاً

---

(١) الطينة : مدينة قديمة ، عُرِفَت بأواريس ، كانت على البحر المتوسط بقرب بور سعيد الحالية . راجع : علي مبارك . الخطط ج ١٨ ص ١٣٤ - ١٣٥ .

(٢) المربعة ، والجمع المربعات : مراسم مربعة تكتب من ديوان الخاص بخط مباشريه ، في ورق شامي ، وتُرسل إلى ديوان الإنشاء لتُحْفظ به بعد أن تخرج المناشير على صورتها .
راجع : القلقشندي . صبح الأعشى ج ٦ ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

(٣) مضاف من « ب » .

للتكلم فيه ، فتكلم وأمعن ، فعزله السلطان من وقته ، وأرسل بالطواشي مرجان الحسني الحبشي الجمدار الخاص إليه بعزله ، وبأخذ الخلعة من عليه ، وبأخذ المربعة من يده ، فنزل مرجان إليه واقتلع الخلعة من عليه وأخذ المربعة منه ، فسرّ الناس بعزله سروراً زائداً ، وأشيع - أيضاً - بين الناس بعزله عن إمرة حاج الركب الأول . وكل ما يفعله عبد العزيز هذا يكون في الغالب بغير رضى أبيه محمد الصغير .

وفي يوم الأربعاء ثامن عشرينه وصل زين الدين الأستادار من سفرته إلى جهة المنصورة.

شهر رجب

أوله الجمعة، ويوافقه سادس أبيب[1].

فيه نودي على النيل المبارك بزيادة خمسة[2] عشر إصبعاً من الذراع الثاني عشر، وقد تطاول الناس للزيادة في هذه السنة، وكثر السؤال عن ذلك بحيث إن النساء قد صرن يسألن عن ذلك.

قلت: والناس معذورون في كثرة السؤال عن هذا المعنى في مثل هذه السنة، فإن الديار المصرية قد أشرفت على الخراب من عظم ما وقع فيها في هذه السنين من الغلاء المتداول والقحط المتطاول، ثم الشراقي العظيم، وقد نفد ما بأيدي الناس من المتاع والأموال، وخلت غالب القرى من أهلها، والعالم منتظرون هذا النيل القادم، فإن كان وإلاّ فالله تعالى يحسن العاقبة // بمحمد وآله. [١٨٥]

وفي هذه الأيام انحل سعر الغلال بالديار المصرية، فأبيع القمح بتسعمائة درهم الإردب إلى ما دونها، والفول بدون ذلك بيسير، وهو قليل الوجود جداً، والشعير بخمسمائة درهم الإردب إلى ما فوقها، وأما سائر ما يؤكل من اللحوم والأجبان فبالغلو الزائد الخارج عن الحد .

---

(١) في هامش الأصل: «صوابه: مسرى».

(٢) في الأصل « خمس عشرة ».

وفي (يوم) الثلاثاء ثاني عشره أمر السلطان بعزل القاضي كمال الدين ابن البارزي عن كتابة السر.

وسبب ذلك غريبة من الغرائب، وهو أن ورثة شمس الدين محمد الحموي ناظر القدس وقفوا إلى المواقف الشريفة بقصة بسبب الشكوى على من وضع يده على تركة شمس الدين ـ المذكور ـ فحال قراءة كاتب السر للقصة ـ المذكورة ـ أمر السلطان بعزله وتوجهه إلى حبس المقشرة من غير أن يعلم أحد ما الموجب لذلك، فخرج كاتب السر لوقته وجلس بجامع الملك الناصر محمد بن قلاوون بقلعة الجبل فلم يطل جلوسه، وإذا بالمرسوم قد برز بنزوله إلى داره على أنه يزن خمسة آلاف دينار، فنزل إلى داره معزولاً ولسان حاله يقول: «ما أحسن هذا لو دام واستمر»، وأخذ يستعفي عن الوظيفة بكل ما تصل القدرة إليه فلم يسمع له ذلك، ورسم بطلوعه ولبسه خلعة الاستمرار حسبما يأتي.

وفي يوم الخميس رابع عشره ـ ويوافقه تاسع عشر مسرى أحد شهور القبط ـ أوفى النيل المبارك ستة عشر ذراعاً، ونودي عليه بزيادة إصبعين من الذراع السابع عشر، فنزل المقام الفخري   من وقته في وجوه الناس من الأمراء وأعيان الدولة إلى أن عدى النيل، وخلق ،. ياس، ثم عاد في الحراقة حتى فتح خليج السد على العادة، ثم ركب وطلع إلى القلعة، فكان هذا اليوم من الأيام المشهودة لعظم سرور الناس بوفاء النيل، وخلق الناس بعضهم بعضاً بالزعفران، وكثر حمد الناس وشكرهم لله ـ تعالى ـ على هذه المنة العظيمة ولله الحمد. وما أحسن قول سبط الشيخ شرف الدين ابن الفارض في هذا المعنى، رحمه الله:

[١٨٦] // يا رب بالمختار من كل الورى   أسبل على المقياس خلعة ستره
وأفض على السد المبارك ماءه   وأكسره رب فجبرنا في كسره
[الكامل]

وفيه وصل الأمير قانم من صفر خجا المؤيدي المتوجه قبل تاريخه إلى جهان شاه بن قرا يوسف إلى القاهرة مريضاً في محفة.

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشره رسم السلطان بعود النواب بالبلاد الشامية من البلاد الحلبية إلى محل كفالتهم، وكان لإقامتهم بالبلاد الحلبية فوق السنة.

وفي يوم الخميس حادي عشرينه لبس القاضي كمال الدين ابن البارزي كاتب السر خلعة الاستمرار بعد أن تمنع من الطلوع غير مرة.

وفي هذا الشهر ورد الخبر من الصعيد بأن في ناحية بوتيج[١] نخلة جافة نبع من رأسها ماء كثير ملئت منه جملة أوان[٢] من جملتها أواني زجاج جهزت إلى الأبواب الشريفة، فوجد الماء صافياً عذباً طيباً، فأمر السلطان بالاحتفاظ على الماء بالشراب خاناه السلطانية.

ثم وقفت بعد ذلك على كتاب نائب الوجه القبلي يذكر فيه فصولاً من جملتها: أن أمر النخلة النابع منها الماء ببوتيج صحيح مع أنها جافة جداً، مع كلام آخر ـ انتهى.

شعبان

أوله الأحد، ويوافقه آخر أيام النسيء، آخر السنة القبطية.

فيه كانت[٣] زيادة النيل إصبعاً واحداً[٤] لتتمة عشرة أصابع من الذراع الثامن عشر، والأسعار إلى الآن متحسنة، غير أنها انحطت قليلاً، فأبيع القمح بتسعمائة درهم الإردب إلى ما فوقها، والشعير بخمسمائة وخمسين درهماً الإردب إلى ما دونها، والفول بثمانمائة درهم الإردب إلى ما دونها، وحب البرسيم بثمانية دنانير الإردب إلى ما دونها، وانحط سعر بقية المأكولات قليلاً، ثم بيع الدقيق بمائتين وخمسين درهماً البطة، والخبز بثلاثة دراهم الرطل، والجبن المقلي بأربعة وعشرين درهماً الرطل، والجبن الأبيض بنيف وعشرين درهماً الرطل، والعسل النحل بسبع وثلاثين درهماً الرطل، والزيت الحار بثلاثة عشر درهماً للرطل، والزيت الطيب بثمانية[٥] عشر درهماً للرطل، والشيرج بأربعة[٦] وعشرين درهماً

(١) بوتيج: مدينة قديمة، عُرِفَت باسم «تابوتوكه»، قبلي أسيوط.
راجع: علي مبارك. الخطط ج ٨ ص ١٩.

(٢) في الأصل: «أواني».

(٣) في الأصل: «كان».

(٤) في الأصل: «إصبعاً واحداً».

(٥) في الأصل: «بثماني».

(٦) في الأصل: «بأربع».

للرطل، ولحم الضأن في عظمه بأربعة عشر درهماً الرطل، ولحم البقر بعشرة دراهم الرطل ثم صار في أول رمضان باثني عشر درهماً الرطل، والسمن بأربعين درهماً الرطل، وقس على ذلك.

وفي يوم الاثنين تاسعه وصل جانبك شاد بندر جدة إلى القاهرة.

[١٨٧] وفي يوم الخميس // تاسع عشره ورد الخبر بموت الأمير برديك العجمي الجكمي نائب حماه - كان - وأحد مقدمي دمشق - الآن - وأنعم السلطان بإقطاعه على الأمير بيغوث المؤيدي الأعرج نائب حماه - كان - المقدّم ذكره.

وفي يوم الجمعة عشرينه - ويوافقه تاسع توت أحد شهور القبط - نودي على النيل بزيادة إصبع واحد لتتمة تسعة أصابع من الذراع التاسع عشر، وكان ذلك نهاية زيادة النيل في هذه السنة.

وفي يوم الأحد ثاني عشرينه نزل الملك الظاهر من القلعة وشق القاهرة حتى نظر مدرسته التي أنشأها وجددها بسويقة الصاحب، ثم عاد ونزل إلى بيت ابنته زوجة الأمير أزبك من ططخ الساقي الظاهري، وأقام عندها ساعة جيدة بدرب الطنبدي من سويقة الصاحب، ثم ركب من عندها وطلع إلى القلعة، وبعد ركوبه وطلوعه إلى القلعة أرسل إليه الأمير أزبك - المذكور - بعدة خيول ومماليك وأصحن حلوى كثيرة، فقبل الحلوى ورد ما سواها.

وفي يوم الاثنين ثالث عشرينه رسم السلطان بتفرقة دراهم الكسوة على المماليك السلطانية على العادة في كل سنة، لكل مملوك ألف درهم[١]، فقعد مقدم المماليك الأمير مرجان على سلم الإيوان للتفرقة على العادة في كل سنة، واستدعاهم كاتب المماليك السلطانية فامتنعوا من الأخذ، وطلبوا الزيادة، وهددوا الجمالي ناظر الخواص بالضرب وغيره، وبلغ السلطان الخبر فغضب من ذلك وخرج من وقته ماشياً حتى وصل إلى الإيوان، وجلس على السلمة السفلى بالقرب من الأرض، واستدعى كاتب المماليك - المماليك فلم يلتفت أحد إلى استدعائه

---

(١) سقطت عبارة «لكل مملوك... على العادة في كل سنة»، وقد استدركت في هامش الأصل مختصراً «دراهم» بـ «م».

ولا أخذ أحد شيئاً وصمموا على طلب الزيادة، وصاروا عصبة واحدة، وتكرر استدعاء كاتب المماليك لهم وهم على ما هم عليه، فلم يسع السلطان إلاّ أن دعا عليهم وقام غضبان[1] حتى عاد إلى الدهيشة، وقد حصل له بمجيئه غاية الهوان، وشدَّد[2] المماليك على ناظر الخواص في الطلب، وهو مقيم بالدهيشة من القلعة إلى أن تضحى النهار فقام وهم بالنزول وأراد الركوب، فمنعه من ذلك بعض أصحابه وحذَّره غاية التحذير، فعاد إلى الدهيشة بعدما وصل إلى باب المدرج، ثم نزل من / / يومه وانقطع عن الخدمة حتى وقع الاتفاق على [١٨٨] أن يكون لكل مملوك ألفا[3] درهم، فرضوا بذلك، وأخذوا النفقة.

وفي يوم الأحد تاسع عشرينه عزل عبد العزيز بن محمد الصغير عن إمرة حاج الركب الأول ثم أعيد بعد أن سعى في ذلك سعياً كبيراً.

شهر رمضان

أوله الاثنين.

أهل هذا الشهر والناس في أمر مريج من عدم اللحوم والغلاء المفرط في سائر الأقوات، الذي لم يعهد مثله في سالف الأعصار، وكثرت الفقراء بالقاهرة إلى الغاية، واتسعت الأراضي بالري، واحتاج[4] الفلاحون إلى التقاوى لزراعة الأرض، وعزت الأبقار بالقاهرة وضواحيها، حتى أبيع الزوج البقر الهائل بمائة وعشرين ديناراً وما دونها.

وأغرب من ذلك ما حدثني السيفي إياس الخاصكي خازندار الأتابك آقبغا التمرازي بحضرة الأمير أزبك الساقي وغيره من الأعيان: أنه رأى ثوراً هائلاً ينادي عليه بأربعين ألف درهم، فاستغربت مقالته، وأردت أن أسمع ما يقول غيره ممن حضر حتى أثق بهذا الخبر لأكتب عنه ذلك، فقال أزبك: نعم،

---

(١) في الأصل: «غضباناً».
(٢) في الأصل: «وشددوا».
(٣) في الأصل: «ألفيّ».
(٤) في الأصل: «واحتاجت».

وأنا سمعته يقول كذلك للمقر الجمالي ناظر الخاص، فلما سمع إياس ذلك وفهم عني أني استغربت هذه الحكاية شرع يذكر جماعة ممن رأى ذلك وعاينه - انتهى.

قلت: تفقر خلائق ممن ليس لهم مروءة وأخذوا في السؤال، واتضع حال جماعة ممن لهم شهرة واسم، لعظم القحط وطول مكثه في هذه السنين الثلاث، وأمسك في هذه الأيام جماعة من البيعة ومعهم لحوم الدواب الميتة ولحوم الكلاب، وشهروا بالقاهرة، ونودي عليهم، وتفرغت حواصل الغلال التي كانت مدخرة عند أربابها من طول مكث الغلاء، وضاقت أعين الناس، ولولا أن القلوب اطمأنت بري البلاد في هذه السنة وإلاّ لكان الأمر أعظم من ذلك.

وفي يوم الخميس رابعه لبس القاضي سراج الدين عمر بن موسى الحمصي الشافعي [خلعة] قضاء دمشق ، عوضاً عن القاضي جمال الدين يوسف الباعوني .

وفيه - أيضاً - استقر القاضي شهاب الدين أحمد الزهري الشافعي في قضاء حلب عوضاً عن ابن الخرزي - والخَرَزِيّ بفتح الخاء المعجمة والراء المهملة وكسر الزاي.

[١٨٩] وفيه // ورد الخبر بموت الشريف أميان بن مانع الحسني أمير المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وولي الإمرة من بعده الشريف وبير بن قيس بن ثابت.

وفي يوم الخميس حادي عشره لبس الأمير ناصر الدين محمد بن مبارك نائب ألبيرة حجوبية حجاب دمشق بعد عزل جانبك الناصري، وتوجه إلى القدس بطالاً. وكان قدوم ابن مبارك هذا في أوائل هذا الشهر.

وفيه خلع السلطان على الأمير جانبك اليشبكي والي القاهرة لسفر (ه) إلى الجون من بر التركية لعمارة عدة مراكب برسم الجهاد.

وفي يوم السبت العشرين منه لبس ابن مبارك خلعة السفر.

وفي يوم الاثنين، ثاني عشرينه سافر الأمير جانبك والي القاهرة إلى التركية ومعه عدة عمال وغيرهم.

وفي يوم الجمعة، سادس عشرينه - ويوافقه رابع عشرين بابه - لبس السلطان القماش الصوف الملون، وألبس الأمراء مقدمي الألوف على العادة.

وفي يوم السبت، سابع عشرينه توفي الأمير ناصر الدين محمد بن أَلْتبُغَا الحاجب الثاني بحلب بالقاهرة غريباً عن وطنه.

وفيه - أيضاً - توفي تاج الدين محمد بن البلقيني الشافعي.

ومضى هذا الشهر بعد أن قاسى الناس فيه شدائد من غلو الأسعار في سائر الأقوات.

ووقع فيه - أيضاً - غريبة، وهو أن أرباب التقويم والحساب كانوا قد أجمعوا على أنه يكون في أوائل العشر الأخير من هذا الشهر قران نحس يكون فيه قطع عظيم على السلطان الملك الظاهر جقمق، ثم في أواخر العشر - المذكور - يكون قران آخر ويستمر إلى يوم سلخ الشهر، وأجمعوا على وقوع ما لا يذكر، فمضى هذا الشهر والسلطان في خير وسلامة وعافية في بدنه وحواسه، ولازمته أنا في العشر - المذكور - لأرى فيه شيئاً يقارب مقالة هؤلاء الكاذبين ليكون لهم مندوحة في القول والعذر، فلم يقع له ما كدر عليه ولا تشوش في بدنه، ولا ورد عليه ما يسوءه من الأخبار المزعجة، ولا تنكد بسبب من الأسباب.

وقد كان شاع ذلك حتى لعل السلطان كان قد بلغه شيء من ذلك، وكان // ثم من الناس من قطع وجزم بوقوع ذلك، وفرغ الشهر ولم يقع ما [١٩٠] قيل، وسكن الأمر، ويأبى الله إلا ما أراد[١]، فلعمري لو كان أهل هذا الشأن اشتغلوا عوضاً عن هذا الفن بصناعة من الصنائع والحرف التي تتعاناها العامة لكان خيراً لهم وأقوم من هذا الكذب المحض والاختراق في علم الغيب الذي يوقعهم في موبقات الإثم، وما أظن إلا أن هذا العلم ذهب وانقرض مع أهله

(١) في الأصل: «ما أراد».

كما ذهب غيره من علوم الأوائل، ولله در القائل:

دع النجوم لطرقي يعيش بها   وبالعزيمة فانهض أيها الملك
إن النبي وأصحاب النبي نهوا   عن النجوم وقد أبصرت ما ملكوا

[البسيط]

شوال

أوله الأربعاء.

في يوم الجمعة ثالثه ورد الخبر بموت الأمير يشبك الحمزاوي نائب صفد بها في ليلة السبت سابع عشري[1] شهر رمضان، وتولى نيابة صفد من بعده الأمير بيغوث المؤيدي الأعرج، وأنعم بإقطاع بيغوث على الناصري محمد بن مبارك المتولي حجوبية دمشق قبل تاريخه، وأنعم بإقطاع ابن مبارك - المذكور - على آقباي السيفي جارقطلو المعزول عن نيابة سيس، وهي - أيضاً - تقدمة ألف بدمشق.

وفيه استقر خيربك النوروزي المعزول عن نيابة غزة قبل تاريخه في أتابكية صفد.

وفي يوم السبت رابعه استقر القاضي برهان الدين إبراهيم السوبيني الشافعي في قضاء طرابلس، وكان بطالاً بدمشق.

وفيه استقر ابن عامر المالكي في قضاء المالكية بصفد.

وفي يوم الاثنين سادسه استقر الزيني سرور الطربائي الحبشي في مشيخة الخدام بالحرم النبوي عوضا عن الطواشي فارس الأشرفي بحكم عزله.

وفي يوم الخميس سادس عشره أعيد القاضي حميد الدين الحنفي إلى قضاء دمشق، وصرف قوام الدين.

وفيه لبس القاضي جمال الدين يوسف ناظر الخواص كاملية لفراغ الكسوة المجهزة لداخل البيت الشريف.

وفي يوم السبت ثامن عشره برز المحمل إلى بركة الحاج، وأمير المحمل في

(١) في الأصل: «عشرين».

هذه السنة سونجبغا اليونسي الناصري أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، وأمير الركب الأول عبد العزيز بن محمد الصغير أحد الأمير آخورية والحجاب الصغار، وهما في حج قليل إلى // الغاية. [١٩١]

وعدم سفر الناس إلى الحجاز في هذه السنة والخالية لغلو الأسعار وقلة الجمال.

وفيه ورد الخبر من مكة المشرفة بإرسال الأمير تمراز من بكتمر المؤيدي المصارع، الفار من بندر جدة قبل تاريخه خمسمائة تكرة من البهار إلى بندر جدة، ووعد بإرسال ما بقي عنده، وطلب تشريفاً بولاية اليمن، فكتب إليه الجواب بحضوره إلى الديارالمصرية أو إلى بندر جدة ويلبس خلعة السلطان، ووعد بكل خير.

من ذلك أن السلطان رسم بأن يكتب له بأنه يحضر ويجربنا هذه المرة. قلت: التجربة خطر، وأظنه يعرف ذلك.

وسبب إرسال تمراز هذا البهار، أنه لما سافر من بندر جدة وركب البحر صار كلما أتى إلى بلد ليقيم بها تستغيث تجار البلد إلى حاكمها ويقولون: أموالنا ببندر جدة، ومتى عرف الأمير جانبك متولي بندر جدة بأنه نزل عندنا أخذ جميع ما لنا. وكان السلطان قد ولى الأمير جانبك الظاهري على عادته على بندر جُدّة لما فر تمراز - المذكور - ووقع ذلك لتمراز في عدة بلاد إلى أن بلغ سيره على ظهر البحر ستة أشهر، فعندما عاين الهلاك رمى بنفسه إلى مدينة كالكوت وحاكم البلد - المذكور - سامري وأهلها - أيضاً - سمرة، وبها تجار مسلمون، فاستغاث التجار المسلمون بالملك السامري وقالوا له مثل مقالة غيرهم، فأراد السامري القبض على تمراز - المذكور - فأحس تمراز بذلك، فهيأ هدية عظيمة وأرسلها إلى السامري فقبلها، ثم أرسل يخبره بمقالة التجار، فقال تمراز: نعم أخذت مال السلطان لأشتري به للسلطان فلفلاً. فقال له السامري: اشتريه في هذا الوقت، واشحنه في مراكب التجار، فاشترى الفلفل وأشحنه في مركبين من مراكب التجار، والباقي أشحنه في مركب. وسار تمراز وقصد جدة إلى أن وصل إلى باب المندب من على اليمين[١] عند مدينة عدن، فأخذ المركبين المشحونة

(١) في الأصل: «اليمن».

بالفلفل وتوجه بهما إلى جزيرة يقال لها الحديدة، تسمى كمران، فحضر أكابر الحديدة إلى تمراز - المذكور - وقالوا له: خذ مملكة اليمن، وحسنوا له ذلك، فمال إليهم تمراز وخرج // من المركب ونزل إلى بلدهم، وأخذ معه جميع ما في [١٩٢] المركب، ثم قال له أهل الحديدة: لنا عدو ما نقدر نملك اليمن حتى ننتصر عليه، وبلد العدو تسمى سحنة، فتوجه معهم وقاتل اهل سحنة فقتل في الوقعة، نذكره إن شاء الله - تعالى - فيمن مات آخر السنة.

فلما بلغ جانبك موته أرسل أخذ جميع البهار الذي كان معه.

وفي يوم الثلاثاء، حادي عشرينه سافر الركب الأول من الحاج، وسافر المحمل من الغد.

وفي يوم الخميس، ثالث عشرينه نفى السلطان الأمير أسندمر الجقمقي أحد أمراء العشرات ورأس نوبة إلى البلاد الشامية على أقبح وجه؛ لشكوى زين الدين الأستادار عليه. فلما وقع ذلك بلغ زين الدين الأستادار توعد المماليك الجلبان له إن تم نفي أسندمر - المذكور - فخارت طباعه، فألح على السلطان في السؤال في عود أسندمر - المذكور - على حاله.

وفي هذا الشهر أكلت الدودة من القرط المزروع الأخضر ما لا يدخل تحت الحصر بسائر أقاليم مصر، لاسيما إقليم الجيزية والبهنساوية من الوجه القبلي، فإنها لم تدع فيه شيئاً إلاّ أتت عليه وأعدمته عن آخره، حتى أبيع الفدان البرسيم بعشرة دنانير، ثم انحط في آخر السنة، واحتاج الناس إلى التقاوى ثاني مرة مع غلو السعر وأكل الدودة في هذه السنة (مما) لم نسمع بمثله، فإن العادة إذا أكلت الدودة زرعاً تأكل منه شيئاً وتترك أكثره، بخلاف هذه السنة فإنها صارت ترعاه اعظم من رعي الجاموس والبقر، حتى لا تدع منه العرق الواحد، وكانت تأكل فيها تأكل الخمسين فداناً والمائة فدان، وأكثر، وأقل، فما شاء الله كان.

ذو القعدة

أوله الخميس.

ففي يوم الجمعة تاسعه قدم القاضي صلاح الدين خليل بن محمد بن

السابق كاتب سر دمشق، وطلع إلى السلطان من الغد.

وفي يوم الاثنين ثاني عشره عزل السلطان الأمير قاني باي الحمزاوي عن نيابة حلب، بسبب أنه أرسل يعلم السلطان أنه بلغه من النواب بالبلاد الشمالية أن جهان شاه بن قرا يوسف يريد يشتي بنواحي ملطية، وأنه يريد يمشي على الأمير سليمان بن ناصر الدين بك بن دلغادر نائب أبلستين، وأنه يسأل هل // إذا [١٩٣] طلبه سليمان ـ المذكور ـ يوافقه على قتال جهان شاه أم لا؟ فحال ما سمع السلطان ذلك استشاط غضباً ورسم بعزله وولاية الأمير دولات باي المحمودي المؤيدي الدوادار الكبير لنيابة حلب عوضه، فامتنع دولات باي واستعفى واعترف في الملأ بعجزه، واعتذر بعدم أهليته لنيابة حلب، فأعفى، واستمر قاني باي الحمزاوي على عادته.

وفيه نفي أزبك اليشبكي الخاصكي، ثم شفع فيه فأعيد بعد أن أخرج السلطان من إقطاعه حصة بناحية مرصفا لحفيده ولد المقام الفخري عثمان، ثم بطل ذلك أيضاً.

وفي يوم الثلاثاء العشرين منه طلب السلطان أصحاب خيال الظل وحرق جميع ما معهم من الأشخاص المصنوعة للخيال، وكتب عليهم قسائم بعدم عملهم الخيال.

وفيه رسم السلطان بإبطال خدمة يوم الخميس من الموكب، وقال: في خدمة يوم الاثنين كفاية في الجمعة؛ فإنه كان أبطل قبل تاريخه بسنين خدمة السبت والثلاثاء من القصر السلطاني. فبقيت الخدمة على هذا الحكم في القصر بالكلفتاه في الجمعة يوماً واحداً وهو يوم الاثنين لا غير، وباقي الأيام تكون الخدمة بالحوش السلطاني من غير لبس الكلفتاه، وهذا شيء لم يعهد مثله، بل ولا سمعنا في سالف الأعصار (به) قبل ذلك.

ثم أبطل السلطان ـ أيضاً ـ ما كان يعمل بقلعة الجبل من الزفة بالمغاني والمواصيل والخليلية عند غروب الشمس وعند فتح باب القلعة في باكر النهار وبعد عشاء الآخرة التي يقال لها نوبة خاتون، ورسم لأرباب هذه الوظائف أن

يمضوا إلى حال سبيلهم، فعظم ذلك على الناس؛ فإن هذا الفعل كان به جمال في المملكة، فإنه كان يعرف فتح باب القلعة من مسافة بعيدة لعظم الغوغاء من الطبلخاناه والخليلية والمواصيل وغير ذلك، وكان يصير بذلك أبهة وعظمة زائدة ورعب وهيبة على من لا له إلمام بطلوع القلعة، فزال هذا كله.

وقد أبطل السلطان منذ تسلطن إلى يومنا هذا أشياء كثيرة من شعار المملكة بخلاف غيره من ملوك الترك، فإن كل واحد من ملوك الترك المتأخرين أبطل شيئاً مما فعله الملوك المتقدمة. وأول من أخذ في إبطال المحاسن الملك الظاهر برقوق، أبطل ركوب الموادين بعد سلطنته بمدة // طويلة، ثم أبطل [١٩٤] الملك الناصر فرج التوجه إلى سرياقوس، ثم أبطل الملك المؤيد شيخ نيابة السلطنة بالديار المصرية، ثم أبطل الملك الأشرف برسباي زينة المراكب عند كسر البحر - أعني وفاء النيل - وأما ما أبطله السلطان الملك الظاهر جقمق فكثير.

ومما أبطله خدمة الإيوان عند قدوم القصاد الغرباء إلى الديار المصرية، وكان أمراً مهولاً إلى الغاية، رأيت أنا ذلك في الدولة الأشرفية غير مرة، ثم أبطل نزول السلطان إلى وسيم ببر الجيزة على عادة الملوك، ثم أبطل النزول إلى الإسطبل السلطاني للحكم بين الناس في يوم السبت والثلاثاء، ثم أبطل التوجه إلى الرماية للصيد بطيور الجوارح، ثم أبطل خدمة السبت والثلاثاء بالكلفتاه بالقصر السلطاني، ثم أبطل سوق المحمل في شهر رجب، وكان دوران المحمل من محاسن الدنيا وغرائبها، ثم أبطل مسايرة أمراء الحج في شهر رمضان، ثم أبطل خدمة يوم الخميس، لكنه عملها بعد ذلك في بعض الأحيان، ثم أبطل ضرب الخليلية بباب القلعة كما ذكرناه.

وأما ما أبطله من شعار السلطنة في لبسه وجلوسه وحركاته وأفعاله فكثير جداً - انتهى.

وفي يوم الخميس ثاني عشرينه أمر السلطان بحبس الأمير بيبرس بن بقر شيخ العربان وأميرها بالشرقية بحبس المقشرة، وحبس معه - أيضاً - ابن شعبان شيخ العربان وأميرها بالشرقية - أيضاً - ثم نقلا إلى البرج بعد أيام.

وقد حبس السلطان الملك الظاهر جقمق بحبس المقشرة جماعة من يوم تسلطن إلى يومنا هذا من الأعيان والعلماء والفقهاء وغيرهم زيادة على عشرة نفر، وهم قاضي القضاة ولي الدين السفطي الشافعي، والقاضي بدر الدين محمود بن عبيد الله الأردبيلي الحنفي أحد نواب الحكم وأعيان فقهاء الحنفية، والقاضي محب الدين أبو البركات الهيثمي أحد نواب الحكم وفقهاء الشافعية، والعلامة قوام الدين القمي العجمي الحنفي، والحافظ برهان الدين إبراهيم البقاعي الشافعي، والقاضي شهاب الدين الزفتاوي الشافعي أحد نواب الحكم، والقاضي شهاب الدين أحمد البدماصي[1] // المعروف بقرقماس أحد [١٩٥] نواب الحنفية ببولاق، والناصري محمد بن سيدي عمر بن بكتمر الحاجب، والقاضي شهاب الدين أحمد بن إسحاق الشافعي أحد نواب الحكم بمصر القديمة، وبيبرس بن بقر، وابن شعبان، والقاضي عز الدين ابن قاضي القضاة جمال الدين المالكي البساطي أحد نواب الحكم المالكية.

وأما غير الأعيان من بياض الناس فكثير، وحبس - أيضاً - خلائق لا تحصى في غير حبس المقشرة كحبس الديلم والرحبة والبرج من القلعة.

وفي ليلة الثلاثاء سابع عشرينه توفي الأمير شهاب الدين أحمد بن علي بن إينال اليوسفي أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية، وأنعم بإقطاعه على الأمير تنبك البردبكي الظاهري المعزول قبل تاريخه عن حجوبية الحجاب على مال يحمله إلى الخزانة الشريفة على ما قيل، وكان تنبك[2] - المذكور - يتردد إلى الخدمة السلطانية من جملة الأمراء، وهو بغير إقطاع ولا وظيفة.

وفي يوم الخميس عمل السلطان الموكب لقصاد متملك بلاد الروم محمد بك بن مراد بك بن عثمان.

وفي العشر الأخير من هذا الشهر قدم يلبغا الجاركسي نائب دمياط من الثغر - المذكور - معزولاً.

---

(١) في هامش «أ»: «ونسي المؤلف ابن بكور أحد نواب الحكم الشافعية، حبس بحبس المقشرة بعد الضرب والإشهار».

(٢) في «أ»: «لتنبك».

وفيه توفي الشريف إبراهيم بن حسن بن عجلان المكي الحسني بثغر دمياط ـ رحمه الله تعالى .

ذو الحجة

أوله السبت.

فيه ورد الخبر من مكة المشرفة بموت الأمير تمراز من بكتمر المؤيدي المصارع، على ما يأتي ذكره في آخر السنة.

وفي ليلة الثلاثاء رابعه توفي قاضي القضاة بدر الدين محمود العينتابي الحنفي.

وفي يوم الخميس سادسه قدم الأمير أسنباي الجمالي الظاهري أحد أمراء العشرات من بلاد الروم بزي الأروام على عادة من تقدمه من القصاد المصريين.

وفي يوم الثلاثاء حادي عشره توفي السيد الشريف المعتقد عفيف الدين أبو بكر محمد الأيكي (العجمي)[1] الشافعي، نزيل مكة ـ بمنى بعد أن توعك مدة يسيرة ـ رحمه الله .

وفيه أخلع السلطان على عمر الكردي أحد أجناد الحلقة بالقاهرة بأستادارية السلطان بدمشق، وعلى يونس الدمشقي المعروف بابن دكدوك بأستادارية السلطان الكبرى بدمشق، وعمر ويونس هذان[2] من أطراف الناس [١٩٦] الذين // لا يلتفت إليهم بالقاهرة والشام.

وفي يوم الجمعة حادي عشرينه توفي الشيخ المعتقد شهاب الدين أحمد الترابي فجأة ، ودفن بزاويته.

وفي يوم السبت ثاني عشرينه قدم القاضي جمال الدين يوسف بن الباعوني إلى القاهرة بعد عزله عن قضاء دمشق بطلب؛ لشكوى بعض أهل دمشق عليه بسبب وقف البيمارستان الدمشقي وغيره.

---

(١) مضاف من «ب».

(٢) في الأصل: «هاذين».

وفي يوم الأحد ثالث عشرينه وصل مبشر الحاج الشهابي أحمد ابن الأمير سونجبغا اليونسي الناصري أمير حاج المحمل، وأخبر بالأمن والسلامة وغلو الأسعار بمكة، حتى إنه أخبر أن الحمل الدقيق أبيع بمكة بثمانية وعشرين ديناراً، وقس على ذلك. هذا مع قلة الحاج المصري إلى الغاية.

وفي يوم الاثنين رابع عشرينه لبس شرف الدين (موسي)[1] التتائي الأنصاري خلعة الاستمرار على وظائفه، بعدما حمل شيئاً قيمته آلاف (الـ) دنانير.

وفيه استقر منصور بن شهري في نيابة كركر.

وفي يوم الخميس سابع عشرينه وصل قاضي دمشق سراج الدين عمر المصري الشافعي لمحاققة ابن الباعوني المقدم ذكره.

وفيه ـ أيضاً ـ وصل الأمير يشبك من سلمان شاه الفقيه المؤيدي أحد أمراء العشرات ورأس نوبة من صفد، المتوجه قبل تاريخه لتقليد الأمير بيغوث نائب صفد حسبما تقدم.

وفي يوم السبت تاسع عشرينه عقد عند السلطان مجلس بالقضاة الأربعة[2] في الدهيشة من القلعة بسبب قضاة دمشق ـ الباعوني والحمصي ـ فاستقر عقد المجلس على عزل الحمصي وإعادة الباعوني لقضاء دمشق في أول الجلوس، وأظنها كانت مبيتة مع السلطان.

أمر النيل في هذه السنة

كانت القاعدة ـ أعني الماء القديم ـ أربعة أذرع وخمسة[3] عشر إصبعاً، مبلغ الزيادة في هذه السنة ثمانية عشر ذراعاً وتسعة[4] أصابع.

* * *

(١) مضاف من «ب».
(٢) في الأصل: «الأربع».
(٣) في هامش «أ» صوابه: أربعة عشر إصبعاً.
(٤) في هامش «أ» صوابه: ثمانية.

ذكر من مات من الأعيان في هذه السنة

(١) توفي الخليفة (أمير المؤمنين)[١] المستكفي بالله[٢] أبو الربيع سليمان ابن الخليفة المتوكل على الله أبي عبد الله محمد ابن المعتصم بالله أبي بكر ابن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان ابن الحاكم بأمر الله / [١٩٧] / أبي العباس أحمد العباسي الهاشمي في يوم الجمعة ثاني المحرم بعد أن مرض أياماً، ولم يعهد لأحد من إخوته وأقاربه، ومات وهو في عشر الستين، وحضر السلطان الصلاة عليه بمصلاة المؤمني، وعاد أمام الجنازة ماشياً إلى المشهد النفيسي حيث دفن، وتولى حمله في بعض الأحيان إلى أن وصل إلى المشهد النفيسي - رحمه الله -.

وكانت ولايته للخلافة بعهد من أخيه المعتضد بالله أبي الفتح داود[٣] في العشر الأول من ربيع الآخر سنة خمس وأربعين وثمانمائة، فأقام في الخلافة إلى أن توفي[٤].

كان رئيساً ساكناً عاقلاً ساكتاً كثير الصمت، ديّناً، خيّراً، منعزلاً عن

(١) مزيد من «ب».

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ١ ص ٣٢٠ - ٣٢١ تر ١٠٩٤، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٥٩، الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٧٩ تر ١٠١٥، السيوطي. تاريخ الخلفاء ص ٥٩٣ - ٥٩٤، ابن الطولوني. النزهة السنية ج ١ ص ١٣٤، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٣٠.

(٣) راجع ترجمته ضمن وفيات حولية «خمس وأربعين وثمانمائة».

(٤) في ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١: «أقام في الخلافة تسع سنين، ونحو عشرة أشهر».

الناس، قليل الاجتماع بهم ـ وكان عدم اجتماعه بالناس لعدم إلمامه بالعلوم، فكان ما يفعله هو الصواب ـ هذا مع العقل التام، والتواضع، والسيرة الحسنة، والعفة عن المنكرات والفروج، والدين الغزير.

وتولى الخلافة من بعده أخوه حمزة[1] ، ولقب بالقائم بأمر الله ـ رحمه الله تعالى وعفا عنه .

(٢) وتوفي القاضي جمال الدين ابن هشام[2] الحنبلي ـ أحد نواب الحكم الحنابلة ـ في العشر الأخير من المحرم[3] ، وكان فقيهاً فاضلاً ، مشكور السيرة في دينه وأحكامه ، رحمه الله تعالى وعفا عنه .

(٣) وتوفي الرئيس مجد الدين ، عبد الرحمن بن الجيعان[4] ، ناظر الخزانة الشريفة وكاتبها في يوم الخميس تاسع عشرين المحرم ، بعد قدومه من الحجاز مريضاً ـ رحمه الله تعالى وعفا عنه .

---

(١) بويع له يوم الاثنين ، خامس المحرم سنة خمس وخمسين وثمانمائة ، وخُلِعَ من الخلافة يوم الثلاثاء ، ثالث رجب منها ، لمجيئه إلى بيت « قوصون » ـ تجاه القلعة ـ مطاوعاً للمماليك الأشرفية في عزل « الأشراف إينال »، وكانت وفاته يوم الاثنين ، سابع عشر شوال سنة اثنتين وستين وثمانمائة للهجرة .

راجع : ابن تغري بردى : الدليل الشافي ج ١ ص ٢٧٩ تر ٩٦٤ ، مورد اللطافة ق ٧٧ ب ـ ٧٩ أ، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ١٦٦ تر ٦٣٩ ، السيوطي . تاريخ الخلفاء ص ٥٩٥ ، نظم العقيان ص ١٠٧ ـ ١٠٨، ابن الطولوني . النزهة السنية ج ١ ص ١٣٥، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٨٨ ، ٣٢٦ ـ ٣٢٨ .

(٢) هو « جمال الدين. أبو محمد، عبد الله بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن هشام ».

له ترجمة في : ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٢ ، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٦١ ـ ٣٦٢، الضوء اللامع ج ٥ ص ٥٦ ـ ٥٧ تر ٢٠٩ ، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٨٨ .

(٣) أشار السخاوي إلى أنه « مات في صفر، وأخطأ من قال : المحرم ».

(٤) هو « مجد الدين ، أبو الفضل ، عبد الرحمن بن عبد الغني بن شاكر بن ماجد بن عبد الوهاب بن يعقوب ».

له ترجمة في : ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٢ ، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٥٩، الضوء اللامع ج ٤ ص ٨٥ تر ٢٤٢ ، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٨٨ .

(٤) وتوفي القاضي شمس الدين محمد[1]، المعروف بابن زُبَالة الشافعي ، المصري الأصل والمولد ، قاضي مدينة ألينبع .

ومولده بباب البحر[2] خارج القاهرة ، وكان له سمعة بتلك البلاد وصيت ـ رحمه الله تعالى .

(٥) وتوفي السلطان مراد[3] بك بن محمد بك بن عثمان ، متملك برصا وأدرنا وكالى بولي وغيرهما من ممالك الروم في سابع المحرم من السنة ببلاد الروم ، وتولى الملك من بعده ابنه محمد بن مراد .

وكان خير ملوك زمانه عقلاً وحزماً وعزماً وكرماً وشجاعة وسؤدداً، أفنى عمره في الجهاد في سبيل الله ـ تعالى ـ ثم في اللذات التي تهواها النفوس، فكان أمره ـ رحمه الله تعالى ـ كقول من سئل عن دينه، فقال: «أمزقه بالمعاصي، وأرقعه بالاستغفار». فعسى أن يكون من الذين قال الله ـ تعالى ـ في حقهم: ﴿ وآخرون اعترفوا // بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم ﴾ (١٠٢ : التوبة) . [١٩٨]

رحمه الله ـ تعالى ـ وعفا عنه، فإنه كان سياجاً عن المسلمين لسد الثغور والقيام بالجهاد، تقبل الله منه.

ومات وهو في أوائل الكهولية مرابطاً، وتسلطن من بعده ولده السلطان

---

(١) هو « محمد بن أحمد بن حمد »، له ترجمة في : ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٢ ، السخاوي. الضوء اللامع ج ١١ ص ٢٤٩ .

(٢) باب البحر : عرف قديماً باسم : « باب المقسم »، وموضعه الآن باب الحديد .

كان واقعاً في نهاية السور الشمالي لمدينة القاهرة من الجهة الغربية ، وكانت تجاوره ـ آنذاك ـ خطة عامره ، تلاشت سنة سبع وسبعين وسبعمائة للهجرة ، ثم خرب معظم بنيانها سنة ست وثمانمائة ، وإن بقيت فيها خمسة جوامع ، وعدة أسواق .

راجع : المقريزي. الخطط ج ٢ ص ١٢١ ـ ١٢٤ ، ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٩٦ ح ٥ .

(٣) له ترجمة في : ابن تغري بردى . الدليل الشافي ج ٢ ص ٧٣١ ـ ٧٣٢ تر ٢٤٩٩ ، المنهل الصافي مج ٣ ق ٢٤٣ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٢ ـ ٣ ، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٨٠، الضوء اللامع ج ١٠ ص ١٥٢ تر ٦٠٤، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٨٨ .

محمد، وسلك طريق والده في الجهاد وفتح الحصون في البلاد، تقبل الله منهما.

وقد ذكرنا ترجمة مراد بك هذا مبسوطة مطولة في تاريخنا «المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي» فلينظر هناك، رحمه الله.

(٦) وتوفي الشيخ شمس الدين، محمد ابن حسان[1] - شيخ خانقاه سعيد السعداء - في يوم السبت أول شهر ربيع الأول.

وكان فقيهاً ديناً، مشكور السيرة، وولي مشيخة سعيد السعداء من بعده الشيخ خالد، رحمه الله.

(٧) وتوفي القاضي شمس الدين محمد[2] بن محمد بن إسماعيل الحلبي الحجازي، ناظر دار الضرب، المعروف بابن أخت السخاوي - في يوم الخميس ثالث عشر شهر ربيع الأول، وكان ديناً خيراً إلَّا أنه كان قليل البضاعة في العلم.

(٨) وتوفي الشيخ شمس الدين محمد[3] الحنفي الرومي الأصل والمولد المصري الدار والوفاة، المعروف بالكاتب في يوم الأحد ثالث عشرين شهر ربيع الأول.

وكان شمس الدين - المذكور - ممن نال حظاً في الدنيا، كان قد اتصل بصحبة الملك الظاهر ططر وحظي عنده، بحيث إنه لما تسلطن أنعم عليه بعشرة آلاف دينار دفعة واحدة، ثم صار في الدولة الأشرفية متوسط الحال، معظماً عند غالب أرباب الدولة لا سيما عند أعيان الأمراء من حواشي ططر، ثم اتصل

---

(١) هو «محمد بن محمد بن علي بن محمد بن حسان»، له ترجمة في:
ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٣، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٧١ - ٣٧٣، الضوء اللامع ج ٩ ص ١٥٢ - ١٥٤ تر ٣٨٧.

(٢) هو «محمد بن محمد بن إسماعيل بن يوسف بن عثمان بن عماد»، له ترجمة في:
ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٣، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٦٨، الضوء اللامع ج ٩ ص ٥٤ تر ١٤٨.

(٣) هو «شمس الدين، محمد بن محمد، الأبو بكري»، له ترجمة في:
ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٤ - ٥، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٧٤، الضوء اللامع ج ١٠ ص ١١٢ تر ٤١٩، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٠.

بالملك الظاهر جقمق وحظي عنده إلى الغاية حتى صار هو المشار إليه في الدولة والمقصود لأرباب الحوائج، ونالته السعادة، وأثرى، وحصل الكتب النفيسة والأملاك، وهو مع ذلك لا يبرح عن ركوب الحمار عندما يطلع إلى القلعة. وكان لا يقتني حماراً قط، بل يستكري حماراً من المكاري، واستمر على ذلك سنين إلى أن استفحل أمر أبي الخير النحاس، فلا زال به حتى نكبه السلطان الملك الظاهر جقمق وصادره بعد أن حبس بسجن الديلم، وعزر وتوجه إلى السجن ماشياً حسبما تقدم في حوادث سنة اثنتين وخمسين، وقطع السلطان // [١٩٩] معاليمه من الجوالي وغيره، وكان مرتبه في الجوالي يزيد على الدينارين كل يوم، ثم أفرج عنه الملك الظاهر من حبس الديلم ورسم له بلزوم داره، فلزمها، إلا أنه صار يطلع للسلطان في بعض الأحيان كآحاد الناس، واستمر على ذلك إلى أن توفي - رحمه الله.

وكان يكتب الخط المنسوب ويذاكر ببعض المسائل، وله إلمام بالأدب والتاريخ بحسب الحال، وكان شكلاً مهولاً، طوالاً، ذا لحية كبيرة، وعلى رأسه عمامة هائلة وقبع[1] كبير جداً، إلا أنه كان يعتريه النزلة في دماغه، فكان يلف على رأسه أزيد من ثوب بعلبكي عوضاً عن الشاش الشمسي، وكان قبعه نحو العشرة أرطال بالمصري، وكان عنده معرفة بصحبة الملوك، مع عفة وعدم طمع بالنسبة إلى غيره، رحمه الله - تعالى - وعفا عنه.

(٩) وتوفي الشيخ محمد السفاري[2] في يوم الجمعة حادي عشر جمادي الأولى، وقد تقدمت واقعته مع المحتسب العجمي، حكيناها في حوادث شهر ربيع الآخر من هذه السنة في هذا الكتاب - رحمه الله.

---

(١) القبع، والجمع: الأقباع: طاقية تلبس تحت الخوذة أو العمامة، وربما لبسها العامة مفردة. كانت تباع في سوق خاص بها، هي سوق «الأقباعيين».
راجع: دوزي. المعجم المفصل ص ٢٧٩ - ٢٨١، ماير. الملابس المملوكية ص ٣٤، ٧٧، ٩٠، ١١١.

(٢) هو «أبو عبد الله الهوى السفاري»، له ترجمة في:
ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٥، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٧٥، الضوء اللامع ج ١٠ ص ١١٧ تر ٤٥٠.

(١٠) وتوفي السيد الشريف هلمان[1] بن وبير بن نخبار، أمير مدينة ألينبع بها في أواخر جمادي الأولى، وهو في أوائل الكهولية.

وكان شاباً حسناً، مشكور السيرة لولا أنه على مذهب القوم. وتولى إمرة ألينبع من بعده أخوه سنقر.

وكانت ولاية هلمان ـ هذا ـ لإمرة ألينبع بعد عزل ابن أخيه معز بن هجار ابن وبير بن نخبار في سنة تسع وأربعين وثمانمائة.

وهلمان هذا هو الذي كان سعى في عود بركات بن حسن بن عجلان إلى إمرة مكة لصداقة كانت بينهما.

(١١) وتوفي الأمير برد بك العجمي الجكمي[2] نائب حماه ـ كان ـ ثم أحد مقدمي الألوف بدمشق في أوائل شهر رجب، وكان مشكور السيرة.

كان أصله من مماليك الأمير جكم من عوض المتغلب على حلب، ثم تنقل في الخدم من بعده حتى ولى عدة ولايات في دول عديدة، ثم ولى حجوبية حجاب حلب في الدولة الأشرفية برسباي، ودام على ذلك حتى نقله الملك الظاهر جقمق إلى نيابة حماه بعد عصيان الأمير تغري برمش نائب حلب في سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، فاستمر في نيابة حماه إلى أن عزل عنها بعد أن // وقع [٢٠٠] بينه وبين أهلها وقعة هائلة قتل فيها جماعة، وخرج برد بك عن طاعة السلطان مدة ثم عاد إلى حماه، وقدم إلى الديار المصرية، وقبض عليه السلطان وحبسه بسجن الإسكندرية في حدود سنة سبع وأربعين إلى أن أفرج عنه في سنة ثلاث وخمسين، ونقله إلى ثغر دمياط، فدام بالثغر بطالاً مدة وطلب إلى القاهرة وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق عوضاً عن يشبك النوروزي حاجب حجاب

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ٢ ص ٧٦٧ تر ٢٦٠٨، المنهل الصافي مج ٣ ق ٢٧١ أ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٥، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٨٠ ـ ٣٨١، الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢٠٩ تر ٨٩٨، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٠.

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ١ ص ١٨٥ تر ٦٤٨، المنهل الصافي ج ٣ ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤ تر ٦٤٩، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٣٥، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٧ تر ٢٩، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩١.

دمشق المنتقل إلى نيابة طرابلس في سنة ثلاث وخمسين، ورسم له - أيضاً - بأن يتوجه أمير حاج محمل دمشق في السنة المذكورة، فتوجه إلى دمشق وحج وعاد، ودام بها حتى توفي في التاريخ المذكور - رحمه الله تعالى .

(١٢) وتوفي السيد الشريف أميان بن مانع الحسيني[1] المدني أمير المدينة الشريفة - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - في جمادي الآخرة بالمدينة الشريفة ، وتولى الإمرة من بعده الشريف زيد بن قيس بن ثابت - رحمه الله وعفا عنه .

(١٣) وتوفي الأمير ناصر الدين محمد المعروف بابن أُلْتُبُغَا[2] ، الحاجب الثاني بحلب في يوم السبت سابع عشرين شهر رمضان بالقاهرة غريباً عن وطنه وعياله .

وكان مشكور السيرة، وله ثروة وأملاك، على أنه كان دخيلاً في الرياسة والسعادة - رحمه الله تعالى .

(١٤) وتوفي القاضي تاج الدين محمد[3] ابن قاضي القضاة جلال الدين عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني الشافعي في يوم السبت سابع عشرين شهر رمضان ، ودفن من الغد عن ثمانٍ وستين سنة .

وكان نائباً عن أبيه في الحكم بالقاهرة وغيرها، وتولى قضاء العسكر ، ثم ترك نيابة الحكم بآخره إلى أن توفي.

---

(١) هو « أميان بن مانع بن علي بن عطية بن منصور بن جماز بن شيخة »، له ترجمة في :
ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٥ - ٦، السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٥٦، الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٢١ تر ١٠٤١ .

(٢) في النجوم : « ألتغا »، وفي التبر : « البغا ».
له ترجمة في: ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٦، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٦٤ .

(٣) له ترجمة في : ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ٢ ص ٦٣٤ - ٦٣٥ تر ٢١٨٢، المنهل الصافي مج ٣ ق ١١٧ أ - ١١٨ أ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٦ - ٧، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٦٥ - ٣٦٦ ، الضوء اللامع ج ٧ ص ٢٩٤ تر ٧٦٢، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٢ .

وكان قليل البضاعة في العلم، وخلف مالاً كثيراً[1] وعدة أولاد ذكور وإناث، وكان من البخل على أمر عظيم، حتى إنه كان يبخل حتى على نفسه.

ولما مات والده قاضي القضاة جلال الدين في سنة أربع وعشرين وثمانمائة، وبلغ موته الحافظ شهاب الدين ابن حجر، وكان إذ ذاك بمكة مجاوراً، فقال[2] :

مات جلال الدين قالوا ابنه يخلفه أو (ف) الأخ الراجح
// فقلت: تاج الدين لا لائق لمنصب الحكم ولا صالح [٢٠١]
[السريع]

قلت : أراد بصالح التورية بقاضي القضاة علم الدين صالح أخيه ـ رحمه الله.

(١٥) وتوفي الأمير يشبك الحمزاوي[3] نائب صفد بها في ليلة السبت سابع عشرين شهر رمضان.

ويشبك ـ هذا ـ أصله من مماليك سودون الحمزاوي الظاهري الدوادار الكبير في الدولة الناصرية فرج، وتنقل مملوكه يشبك ـ هذا ـ من بعده في الخدم حتى ولي دوادارية السلطان بحلب في الدولة الظاهرية جقمق، ودام فيها سنين إلى أن نقل إلى نيابة غزة بعد عزل الأمير حطط عنها في سنة إحدى وخمسين ـ تقريباً ـ ثم نقل إلى نيابة صفد، وبها توفي، وتولى من بعده الأمير بيغوث الأعرج المؤيدي نائباً.

وكان يشبك ـ المذكور ـ مشكور السيرة، رحمه الله.

(١٦) وتوفي الأمير شهاب الدين أحمد[4] ابن الأمير علاء الدين علي ابن

---

(١) في الأصل : «كثير».

(٢) البيتان في ابن حجر. إنباء الغمر ج ٣ ص ٢٨٠.

(٣) له ترجمة في : ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ٢ ص ٧٨٩ تر ٢٦٥٩، المنهل الصافي مج ٣ ق ٢٩٤ ب ـ ٢٩٥ أ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٧، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٨١، الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢٧٦ تر ١٠٨٧، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٢.

(٤) له ترجمة في : ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ١ ص ٦٥ تر ٢٢٢، النجوم الزاهرة ج ١٦

الأتابك إينال اليوسفي، أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية في ليلة الثلاثاء سابع عشرين ذي القعدة، ودفن من الغد بتربة جده الأتابك إينال، ومشى الأعيان في جنازته من داره بالقرب من مدرسة سودون من زادة إلى مصلاة المؤمني، وحضر السلطان الصلاة عليه.

وأمير علي والد الشهابي أحمد ـ هذا ـ هو أستاذ الملك الظاهر جقمق، وإليه ينتسب بالعلائي، وبهذا المقتضى صار الشهابي أحمد أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية.

وكان أميراً ضخماً، عاقلاً، رئيساً، ديناً، عارفاً بأنواع الفروسية، وله محبة في الفقراء وأهل الصلاح. وكان سميناً جداً لا يحمله إلا الجياد من الخيل، وحسنت حاله بآخره وتفقه قليلاً، وصحب الفقراء، وهو الذي ساعد الشيخ إبراهيم المتبولي في بنائه ببركة الحاج السبيل والبستان وغير ذلك، وخلف عدة أولاد ذكور وإناث ـ رحمه الله تعالى.

(١٧) وتوفي السيد الشريف إبراهيم بن حسن بن عجلان[1] المكي الحسني بثغر دمياط في ذي القعدة.

وكان الملك الظاهر جقمق قبض عليه وعلى أخيه الشريف علي، وحبسهما بالبرج من القلعة مدة، ثم نقلهما إلى حبس الإسكندرية فحبسا بها مدة، ثم أفرج عنهما ووجههما إلى ثغر دمياط فداما به إلى أن توفي الشريف // على في [٢٠٢] سنة ثلاث وخمسين، ثم توفي إبراهيم ـ هذا ـ في التاريخ المذكور ـ رحمهما الله تعالى.

(١٨) وتوفي تمراز البكتمري المؤيدي المصارع[2] قتيلاً بالحديدة من

ص ٧، المنهل الصافي ج ٢ ص ٣٢ ـ ٣٥ تر ٢٢٤، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٥٥، الضوء اللامع ج ٢ ص ١٥ تر ٤١، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٢.

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٨، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٥٥، الضوء اللامع ج ١ ص ٤١.

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ١ ص ٢٢٦ تر ٧٩٢، المنهل الصافي =

بلاد اليمن في خامس عشرين شهر رمضان من السنة :

وأصل تمراز - هذا - من مماليك المؤيد شيخ ، ثم صار بعد موته في خدمة الأمير تنبك العلائي نائب الشام - المعروف بميق - ثم صار بعد موت تنبك خاصكيا في الدولة الأشرفية برسباي، ثم بقي من جملة الدوادارية في الدولة العزيزية يوسف إلى أن ندبه الملك الظاهر جقمق إلى شد بندر جدة بالبلاد الحجازية - أولى وثانية - وفي الثانية أنعم عليه بإمرة عشرة بعد موت آقبردي المظفري بمكة، ثم قدم القاهرة ودام بها سنين إلى أن ولي نيابة القدس بسعي فلم ينتج أمره وعزل ونفى إلى دمشق، ثم قدم إلى القاهرة وولى القدس ثانياً، وعزل - أيضاً - بعد مدة يسيرة، وأخرج إقطاعه بالقاهرة وصار بطالاً بلا إقطاع مدة طويلة، إلى أن ندبه السلطان إلى شد بندر جدة ثالثاً في سنة ثلاث وخمسين، فتوجه إلى البندر المذكور وباشره إلى أن انتهى أمره (بأن) بدا له أن يأخذ ما تحصل له من البندر وما تحصل للسلطان ويتوجه به إلى اليمن أو إلى حيث شاء، فابتاع له مركباً وأشحنها بالأزودة وآلات الحرب على أن يركب فيها إلى جهة الديار المصرية، وأخفى ذلك عن الناس حتى حول جميع ما معه إلى المركب، ثم نزل هو فيها وسافر إلى جهة اليمن، ثم بدا له بعد ذلك أمور وتوجه إلى الهند، ووقع له محن وقاسى أهوالاً، وآل أمره إلى أن جاء إلى اليمن ونزل بالحديدة، فأكرمه شيخها وأنزله عنده، واستفحل أمر تمراز بشيخ الحديدة، واستفحل أمر شيخ الحديدة بتمراز، وأرسل تمراز إلى الملك الظاهر بنحو خمسمائة تكرة من البهار، ووعده بإرسال ما بقي عنده من مال السلطان، وطلب من السلطان خلعة بولاية اليمن، فوعده السلطان بالخلعة إن قدم إلى الديار المصرية أو إلى بندر جدة، فبينما هو في ذلك إذ تحرك شيخ الحديدة على أعدائه ببيوت حسين وقاتلهم، فركب معه تمراز - هذا - بمن معه واقتتل الفريقان أشد قتال، فقتل تمراز - هذا - في المعركة،

= ج ٤ ص ١٥١ - ١٥٣ تر ٧٩٤ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٨، السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٥٧ ، الضوء اللامع ج ٣ ص ٣٥ - ٣٦ تر ١٤٩، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩١ .

[٢٠٣]وقتل // معه شيخ الحديدة ، وقتل من عسكرهما نحو خمسين نفراً، فقتل من الجند أصحاب تمراز نحو العشرة، والباقون من الأعراب، وأخذ ما معه وحمل إلى بندر جدة، فسر السلطان بقتله. وقد حكينا أمره وشراءه المركب المروس، (وكيف وقع)[1] له في ركوب البحر إلى أن عاد وقتل، كل ذلك في هذا الكتاب، في حوادث السنة.

وكان رأساً في الصراع ، مع شجاعة وإقدام وحدة وبطش مع خفة وسوء خلق ، وكان أشقر ضخماً، للطول أقرب ـ رحمه الله تعالى.

(١٩) وتوفي قاضي القضاة ، شيخ الإسلام ، بدر الدين محمود ابن القاضي شهاب الدين أحمد العينتابي[2] الحنفي ، قاضي قضاة الديار المصرية وعالمها ومؤرخها ، في ليلة الثلاثاء رابع ذي الحجة ، ودفن من الغد بمدرسته التي أنشأها تجاه داره بالقرب من جامع الأزهر .

وكان مولده في سنة اثنتين وستين وسبعمائة بعينتاب، وكان إماماً عالماً فقيهاً نحوياً لغوياً مؤرخاً صاحب تصانيف مفيدة، أفتى ودرس سنين، وتولى حسبة القاهرة من أوائل القرن إلى سنة سبع وأربعين وثمانمائة، على أنه عزل منها غير مرة، وتولى قضاء القضاة بالديار المصرية مرتين، وأقام في ذلك سنين، وكان عارفاً باللغة التركية، محظوظاً عند الملوك، لا سيما خصوصيته بالملك الأشرف برسباي، فإنها كانت إلى الغاية. وكان ينادم الأشرف ويقرأ عليه ما خطر بباله من التاريخ ويفسره له باللغة التركية، ثم ركضت ريحه بعد موت الأشرف وعزل عن القضاء بشيخ الإسلام سعد الدين ابن الديري، ولزم داره حتى كبر ومات في التاريخ المذكور ـ رحمه الله.

---

(١) مزيد من « ب ».

(٢) هو «محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف بن محمود »، له ترجمة في : ابن تغري بردى . الدليل الشافي ج ٢ ص ٧٢١ ـ ٧٢٢ تر ٢٤٦٥، المنهل الصافي مج ٣ ص ٢٣١ أ ـ ٢٣٣ أ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٨ ـ ١١، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٧٥ ـ ٣٨٠، الذيل على رفع الإصر ص ٤٢٨ ـ ٤٤٠، الضوء اللامع ج ١٠ ص ١٣١ ـ ١٣٥ تر ٥٤٥ ، السيوطي . بغية الوعاة ج ٢ ص ٢٧٥ تر ١٩٦٧ ، نظم العقيان ص ١٧٤ ـ ١٧٥ تر ١٩٠ ، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ .

(٢٠) وتوفي السيد الشريف عفيف الدين أبو بكر محمد[١] الأيكي العجمي الشافعيُّ المعتقدُ نزيل مكة المشرفة ، بمنى في ثاني يوم من أيام التشريق ، فحمل ودفن خارج مكة ، وكانت جنازته مشهودة ، والناس في أمره على أقسام - رحمه الله تعالى وعفا عنه .

(٢١) وتوفي الشيخ المعتقد الصالح أحمد الترابي[٢] فجأة في يوم الجمعة حادي عشر ذي الحجة ، ودفن بزاويته من الغد تجاه تربة الإسنوي ، خارج باب النصر .

وكان رجلاً صالحاً ديناً خيراً ، وكان بيننا صحبة ومحبة ، ولى فيه اعتقاد - رحمه الله .

* * *

(١) هو « محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن هادي بن محمد بن أبي الحسن بن أبي الفتوح إبراهيم بن حسان »، له ترجة في :
ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١١، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٦٩ - ٣٧١، الضوء اللامع ج ٩ ص ١٢٦ - ١٢٧ تر ٣١٤، السيوطي . نظم العقيان ص ١٦٢ - ١٦٣ تر ١٧١ .

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١١، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٥٦، الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٦١ تر ٧٧٣ .

سنة ست وخمسين وثمانمائة

[٢٠٤] أهلت هذه // السنة وسلطان الديار المصرية الملك الظاهر أبو سعيد جقمق العلائي الظاهري، والخليفة القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة، وليها بعد موت أخيه المستكفي بالله أبي الربيع سليمان، وباقي أرباب الدولة من القضاة والنواب وأرباب الوظائف على حالهم كما قدمناه فيما مضى، خلا نائب صفد فإنه الأمير بيغوث المؤيدي، وليها بعد موت الأمير يشبك الحمزاوي، وتغير - أيضاً - من ملوك الأقطار محمد بن مراد بك بن عثمان، ولي مملكة الروم بعد موت أبيه مراد بك حسبما تقدم ذكره.

المحرم

أوله الاثنين.

فيه أعيد قاضي القضاة جمال الدين يوسف بن الباعوني الشافعي إلى قضاء دمشق بعد عزل قاضي القضاة سراج الدين عمر بن موسى الحمصي.

وفيه توفي الشيخ علاء الدين ابن قطب الدين أحمد القلقشندي الشافعي، أحد علماء الديار المصرية، ودفن من الغد يوم الثلاثاء ثانيه، رحمه الله.

وفي يوم الاثنين ثامنه وصل محب الدين محمد بن الشحنة قاضي قضاة حلب وكاتب سرها إلى القاهرة، وطلع من الغد إلى السلطان، وخلع عليه كاملية بسمور.

وفي يوم الاثنين خامس عشره خلع السلطان علي القاضي جمال الدين يوسف بن الباعوني كاملية السفر.

وفي يوم الثلاثاء، سادس عشره لبس القاضي صلاح الدين، خليل بن محمد بن السابق، كاتب سر دمشق خلعة السفر.

وفي يوم السبت العشرين منه نفى السلطان السيفي دقماق اليشبكي إلى البلاد الشامية، وأنعم بإقطاعه على حفيده ولد المقام الفخري عثمان.

وفي يوم الاثنين ثاني عشرينه وصل ركب الحاج الأول وأميره عبد العزيز بن محمد الصغير، ثم وصل المحمل من الغد في يوم الثلاثاء صحبة أمير الحاج الأمير سونجبغا اليونسي الناصري أحد أمراء العشرات ورأس نوبة.

وفيه سافر جانبك الظاهري شاد بندر جدة إلى البلاد الحجازية.

وفي يوم الأربعاء رابع عشرينه ولد للأمير أزبك من ططخ الظاهري الساقي ولد من بنت السلطان الملك الظاهر جقمق وسمي محمداً، وتفرقت حواشيه لبشارة الأعيان.

وفي يوم الاثنين تاسع عشرينه وصل قصاد بير بضع[1] بن جهان شاه ابن قرا يوسف إلى القاهرة.

وفي هذا الشهر فشا الموت بالقاهرة كثيراً بغير الطاعون، وعظم ذلك عندما نقلت الشمسُ إلى برج الحوت.

[٢٠٥] وفيه ـ أيضاً ـ انحلت الأسعار، فأبيع القمح بثمانمائة // درهم الإردب إلى ما دونها، والفول بخمسمائة درهم الإردب إلى ما دونها، والشعير بأربعمائة درهم الإردب إلى ما دونها، وهم في انحطاط ولله الحمد، والدقيق العلامة بمائتين وثلاثين درهماً البطة إلى ما دونها، والخبز بأربعة دراهم الرطل، والجبن المقلي بستة عشر درهماً الرطل، وقس على هذا جميع ما تقدم في السنة الخالية[2].

---

(١) في هامش « أ »: « وبير بضغ بكسر باء العجم، وهي خلاف الباء المعروفة الموحدة، وبعدها ياء مثناة من تحت وراء مهملة ساكنتين، وبضع بضم الباء ثانية الحروف، وفتح الضاد المعجمة وسكون الغين المعجمة ـ انتهى . وبِيرْ بُضَغْ » .

(٢) في « ب »: « هذه السنة ».

صفر

أوله الأربعاء.

فيه تزايدت الأمراض الحادة بالقاهرة، وتوفي جماعة كثيرة من الناس.

وفي يوم الخميس ثانيه طلع قصاد بير بضغ بن جهان شاه إلى القلعة بهدية مرسلهم إلى السلطان، والهدية بغلة هائلة وبعض سلاح وقماش حرير، فقرىء كتابه وقبلت هديته، وأنعم السلطان بالبغلة على الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم.

وفي يوم الاثنين سادسه استعفى الأمير ألطنبغا الظاهري برقوق اللفاف أحد مقدمي الألوف[1] بالديار المصرية لضعف بدنه عن الحركة، وأنعم بإقطاعه وتقدمته على المقام الفخري عثمان، ولد المقام الشريف زيادة على ما بيد الفخري عثمان من تقدمة أخيه المقام الناصري محمد ابن الملك الظاهر جقمق، المنعم بها عليه بعد موت اخيه - المذكور - في سنة سبع وأربعين وثمانمائة.

وفي يوم الأحد تاسع عشره توفي الإمام العالم ناصر الدين محمد بن كزلبغا الإمام بالمدرسة الأشرفية برسباي.

وفي يوم الأحد سادس عشرينه توفي عظيم الدولة وعالمها ورئيسها القاضي كمال الدين أبو المعالي محمد ابن القاضي ناصر الدين أبي المعالي محمد بن البارزي الحموي الأصل والمولد، الجهني، الشافعي، كاتب السر الشريف.

شهر ربيع الأول

أوله الخميس.

فيه لبس القاضي محب الدين ابن الأشقر ناظر الجيوش المنصورة كاملية بسمور باستمراره على وظيفة نظر الجيش.

وفي يوم الجمعة ثانيه حضر المقام الفخري عثمان ولد المقام الشريف صلاة الجمعة عند والده بجامع الملك الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة بالكلفتاه

---

(1) في «أ»: «اللفاف»، والتصويب من النجوم الزاهرة للمؤلف ج١٥ ص ٤٣٩.

والقماش، ورسم له أن يمشي الخدمة الشريفة على عادة أولاد السلاطين.

وفي يوم الاثنين خامسه توفي الشيخ زين الدين طاهر بن محمد بن علي النويري المالكي.

وفي يوم الخميس ثامنه استقر القاضي محب الدين ابن الأشقر ناظر الجيش في كتابة السر عوضاً عن القاضي كمال الدين محمد بن // البارزي بعد موته [٢٠٦] واستقر الصاحب جمال الدين ناظر الخواص في وظيفة نظر الجيوش المنصورة مضافاً إلى ما بيده من نظر الخاص، عوضاً عن القاضي محب الدين ابن الأشقر بحكم انتقاله إلى وظيفة كتابة السر، ونزلا إلى دورهما وبين يديهما وجوه الدولة.

وفي يوم الأحد حادي عشره توفي شهاب الدين أحمد بن يعقوب نقيب القاضي الشافعي، وكان مشكور السيرة.

وفي يوم الاثنين ثاني عشره توفي قانصوه المصارع الأشرفي، وكان من الأفراد.

وفيه عمل السلطان المولد النبوي على العادة في كل سنة.

وفي يوم الأربعاء توفي بدر الدين محمد ابن فتح الدين صدقة المحرقي.

وفي يوم الخميس خامس عشره لبس القاضي محب الدين ابن الأشقر كاتب السر [خلعة] باستقراره في الأنظار المتعلقة بوظيفة كتابة السر.

قلت: وكان أخذ من القاضي محب الدين - المذكور - جميع تعلقات كتابة السر من قبله كالحمايات[١] والمستأجرات إلى ديوان الذخيرة، ولبسه للوظيفة بالاسم لا غير.

وفي يوم السبت سابع عشره نودي بالقاهرة على الذهب الظاهري كل دينار بمائتي درهم وخمسة وثمانين درهماً، وهدد من زاد في صرفه على ذلك.

وفي يوم الأحد ثامن عشره توفي أبو بكر المصارع أحد من أنشأه الملك الظاهر من أولاد الناس[٢].

---

(١) في « أ » : «الحمايات».

(٢) في « ب »: « من الأوباش ».

وفي يوم الاثنين تاسع عشره كان أول خمسين النصارى.

وفي يوم الثلاثاء عشرينه طلب شرف الدين موسى التتائي الأنصاري ناظر الجوالي نصارى القاهرة لأنه بلغه أنهم يشترون الجواري المسلمات وينصرونهن، فأمرهم بإحضار ما عندهم من الجواري لينظر في أمرهن، فإن وجدها مسلمة كانت في الأصل أو الذي سباها من بلادها كان مسلماً ردها إلى الإسلام، وأمر صاحبها ببيعها، فاستولى على جماعة منهن، وهو في تتبع ذلك.

قلت: ولا بأس بهذه الفعلة الصالحة، بل ينبغي لكل مسلم أن يفحص عن مثل هذه القضية، وينم بها إلى الحكام، ولو شق ذلك على أعيان الدولة من الأقباط - قبحهم الله تعالى.

[٢٠٧] وبعد // الخماسين تناقص الموت قليلاً، وانحطت الأسعار كثيراً.

وفي يوم الجمعة سلخه، ويوافقه سادس عشرين برمودة، لبس السلطان القماش الأبيض على العادة في كل سنة.

شهر ربيع الآخر

أوله السبت.

استهل هذا الشهر والموت فاش في الناس، لكن بغير طاعون، وأما الضعف فكثير جداً.

وفيه انحط سعر الغلال، فأبيع القمح بأربعمائة درهم الإردب إلى ما دونها وفوقها، والفول بثلاثمائة درهم الإردب إلى ما دونها، والشعير بمائتيّ درهم الإردب إلى ما دونها، والرطل الخبز بدرهمين، ولله الحمد.

وفي يوم السبت مستهله توفي الشيخ ولي الدين الرومي الحنفي نزيل جامع الأزهر، وكان للناس فيه اعتقاد.

وفي يوم الاثنين ثالثه استقر الشريف معز بن هجار بن وُبَيْر بن نخبار في إمرة الينبع عوضاً عن عمه سنقر بن وبير على مال كبير.

وفي يوم الثلاثاء رابعه توفي الرئيس سعدالدين أبو غالب القبطي الأصل الحنفي ، المعروف بابن عويد السراج .

وفي يوم الخميس سادسه لبس القاضي علاء الدين ابن وجيه [خلعة] نظر جيش حلب بعد عزل ابن الشحنة ، وحصل بولايته لأهل حلب سرور زائد[1] لبغضهم في ابن الشحنة ـ المذكور ـ حسداً له .

وفي يوم السبت ثامنه عقد مجلس بالقضاة بحضرة السلطان، وادعى السلطان علي محب الدين ابن الشحنة أن عنده وديعة للأمير تغري برمش نائب حلب نحو ثلاثين ألف دينار، فنزل ابن الشحنة على البيان بعد أن اعترف أنه لم يكن عنده لتغري برمش ـ المذكور ـ سوى أوبعة آلاف دينار، وأنه ردها إليه، فلما نزل إلى داره تكلّم فيه أرباب الدولة عند السلطان فآل أمره إلى أنه يحمل للخزانة الشريفة مبلغاً من الذهب له جرم، اختلف في قدره، من عشرة آلاف دينار إلى ما دونها.

قلت: كل ذلك بوادر لأخذ السلطان أموال أهل الدولة .

وفي يوم الاثنين عاشره توفي الأمير سيف الدين ألطنبغا بن عبد الله اللفاف بطالاً بداره، ودفن من يومه، يأتي ذكره في آخر السنة .

وفيه لبس الشيخ علي المحتسب العجمي [خلعة] نظر التربة الناصرية ، حيث دفن الملك الظاهر برقوق بالصحراء ، وهذا النظر يكون لكتاب السر على ما شرط الواقف ، فوليها الشيخ علي باليد ، واستقلعها من القاضي محب الدين ابن الأشقر كاتب السر .

// وفي يوم الجمعة رابع عشره توفي بطرق النصارى أبو الفرج النصراني [٢٠٨] اليعقوبي ودفن من الغد.

وفي يوم الأحد سادس عشره لبس الشريف معز أمير ألينبع كاملية خضراء بسمور ؛ خلعة السفر.

وفي هذا الشهر وصل الأمير يشبك من جانبك المؤيدي المعروف بيشبك

---

(١) في « أ » : «سروراً زائداً ».

الصوفي المعزول عن نيابة طرابلس قبل تاريخه من ثغر دمياط بطلب، لمرض حصل له ، ورسم له بالتوجه إلى القدس الشريف ليقيم به بطالاً ، وأمره السلطان أن يقيم بالقاهرة ما شاء لعمل مصالحه .

جمادى الأولى

أوله الأحد.

في يوم الخميس خامسه رسم السلطان بتوجه القاضي محب الدين ابن الأشقر كاتب السر الشريف إلى حبس المقشرة ليحبس بها بعد أن أوسعه سباً، فشفع فيه من حضر من أرباب الدولة، فرسم له بأن يتوجه إلى بيت الأمير دولات باي المؤيدي المحمودي الدوادار الكبير على أن يحمل إلى الخزانة الشريفة خمسة آلاف دينار أو يتوجه إلى المقشرة، فنزل - المذكور - إلى بيت الأمير دولات باي الدوادار وأقام به إلى بعد ظهر يومه، فأذعن إلى حمل المبلغ المذكور، فرسم بإطلاقه، فركب وتوجه إلى داره وانقطع عن الخدمة السلطانية إلى يوم يأتي ذكره، وأخذ في حمل المبلغ.

وسبب هذه القضية الفاحشة أن شخصاً من العرب وقف إلى السلطان وادعى أن إقطاعه خرج عنه في العام الماضي بغير موجب، فلما سمع السلطان كلام البدوي التفت إلى القاضي محب الدين - المذكور - وقال للبدوي: هذا الفاعل التارك هو الذي أخرج إقطاعك - يعني أيام ولايته لنظر الجيش - ثم أمر به. انتهى.

وفي هذا اليوم - أيضاً - طلب السلطان الزيني عبد الرحمن بن الكويز، ورسم بالترسيم عليه في بيت الأمير تمربغا الدوادار الثاني حتى يرد إلى الأمير قرقماس الأشرفي أحد أمراء الطبلخانات وقريب الملك الأشرف برسباي ما أخذه منه من ثمن قرية ابتاعها قرقماس منه بالدقهلية، والقرية تسمى منية العرايا من أعمال القاهرة، والثمن - المذكور - نحو أربعة آلاف دينار. وكان لما باعها الزيني [٢٠٩] عبد الرحمن - المذكور - لقرقماس من سنيات //، استأجرها بمبلغ هائل، فلما انقضت مدة الإجارة واستولى عليها قرقماس لم يجدها تفي بالمبلغ المعين من

الخراج في كل سنة، فشكاه إلى السلطان، فطلبه السلطان وألزمه برد الثمن إلى قرقماس ـ المذكور ـ وأخرج السلطان القرية ـ المذكورة ـ إلى الذخيرة السلطانية، واستمر ابن الكويز في الترسيم أياماً حتى عمل المصلحة وأفرج عنه، ووردت القرية إليه.

وفي أوائل هذا الشهر وردت الأخبار من النواب بالبلاد الشامية بعود جهان شاه بن قرا يوسف صاحب تبريز وبغداد من ديار بكر بن وائل إلى جهة بلاده بعد أن أقام بديار بكر وحواشيه تحاصر مدينة آمد وماردين نحو السنتين، وأقام جيشه على حصار جهان كير بن علي بك بن قرايلك بآمد قريبًا من سنتين، وكذلك على ماردين، ثم رحلوا بعد ذلك بغير طائل، وداموا في هذه المدة الطويلة بديار بكر، ورحلوا ولم يستولوا على قلعة واحدة من قلاعها، غير أنهم استولوا على مدينة ماردين ما خلا قلعتها لا غير، والمقصود من ماردين قلعتها.

ولما أراد جهان شاه الرحيل من جهة ديار بكر أظهر الصلح بينه وبين جهان كير بن علي بك بن قرايلك وتصاهرا باللفظ، وأرسل جهان شاه خلعته إلى جهان كير، ثم سافر.

قلت: وكان عود جهان شاه من ديار بكر على رغمه، لأنه[1] بلغه أن بابوراً ابن باي سنقر بن شاه رخ بن تيمورلنك وصل إلى الري، وأنه يريد المشي على بلاد جهان شاه ـ المذكور ـ انتهى.

وفي يوم الاثنين تاسعه، لبس القاضي محب الدين ابن الأشقر خلعة الاستمرار على وظيفة كتابة السر، وباشر الوظيفة على عادته.

قلت: وما كان أغناه عن لبس هذه الكاملية التي غرم قبل لبسها خمسة آلاف دينار، وقد استراح المرحوم القاضي كمال الدين ابن البارزي من هذا النموذج القبيح.

وفي يوم الاثنين سادس عشره، خرجت تجريدة من القاهرة إلى البحيرة، وفيها زيادة على مائتي مملوك من المماليك السلطانية، وعليهم الأمير خشقدم

(١) في «أ»: «وأنه».

٢١٠] الناصري المؤيدي حاجب الحجاب، والأمير يشبك من سلمان شاه المؤيدي // الفقيه، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة.

وفي هذا اليوم عمل السلطان الموكب بالحوش السلطاني من قلعة الجبل، وأبطل موكب القصر بالكلية، وهذا شيء لم نعهده ولا سمعنا بمثله في سالف الأعصار.

وفي يوم الخميس تاسع عشره، عمل السلطان الموكب بالقصر على العادة، وأبطل ما كان أمر به من عمل الخدمة بالكلفتاه بالحوش السلطاني، لما بلغه أنه أشيع عنه أنه قد عجز عن الحركة والمشي من الدور السلطانية إلى القصر، ولما انفض الموكب خرج السلطان من باب القصر ماشياً إلى باب الستارة، فلما كان في أثناء الطريق تقدم عن الأمراء بالمشي حتى صار أمامهم، ثم قال: يشاع عني أني عجزت عن المشي، انظروا إليّ كيف أمشي.

وفي يوم الجمعة سابع عشرينه توفي الأمير برسباي المؤيدي أحد أمراء العشرات، وأنعم بإقطاعه من الغد على السيفي جانم الساقي الظاهري جقمق، وأنعم بإقطاع جانم ـ المذكور ـ وهو حصة من جبين القصر[1] على حفيده سيدي محمد ابن المقام الفخري عثمان ابن الملك الظاهر جقمق.

وفي هذا الشهر ورد الخبر بقتل الملك الكامل خليل ابن الملك الأشرف أحمد ابن العادل غازي صاحب حصن كيفا في العشر الأخير من شهر ربيع الأول من هذه السنة، قتله ولده الملك الناصر صبراً، دخل عليه في أناس قلائل بالليل وقتلوه وبايع لنفسه، وتم أمره على أنه تخلّف عن طاعته عدة أناس غيرة لما فعله من قتل أبيه، لا جزاه الله خيراً.

جمادى الآخرة

أوله الاثنين.

في يوم الثلاثاء ثانيه، ويوافقه سادس عشرين بؤنه ـ أحد شهور القبط ـ

---

(١) المقصود بذلك «شبين القناطر»، محافظة القليوبية.

أخذ قاع النيل، فجاءت القاعدة - أعني الماء القديم - خمسة أذرع وأربعة وعشرين إصبعاً، ولله الحمد.

واستمرت الزيادة في كل يوم.

وفي يوم الاثنين ثامنه - ويوافقه ثاني أبيب - تماسك عن الزيادة في اليوم المذكور وثانيه، بل قيل: إنه نقص إصبعاً واحداً، واستمرت الزيادة في كل يوم.

وفي يوم الخميس حادي عشره، سافر الأمير تنبك البردبكي الظاهري برقوق - أحد مقدمي الألوف - إلى ثغر رشيد لحفظ الثغر - المذكور - من مفسدي الفرنج.

وفي هذه الأيام استقر السلطان بالقاضي زين الدين عمر ابن القاضي شهاب الدين أحمد بن السفاح الحلبي في كتابة سر حلب، عوضاً عن ابن الشحنة، ورسم له بحمل // التشريف إلى حلب. [٢١١]

وفي يوم الثلاثاء سلخه، وهو تاسع عشرينه وصل إلى القاهرة من ثغر دمياط الأمير جانبك اليشبكي والي القاهرة، المتوجه قبل تاريخه إلى بلاد التركية لعمل المراكب بسبب الجهاد في سبيل الله - تعالى - وطلع إلى السلطان، وأخلع عليه فوقاني بطرز ذهب.

وفي هذا الشهر كان الفراغ من مدرسة الأمير زين الدين يحيى الأستادار، التي أنشأها بخط الحبانية على بركة الفيل، وأما مصروفها فمال جزيل.

وفيه فرق الشيخ علي المحتسب على الفقراء طعاماً كثيراً بأمر السلطان، فلا أعلم من أي جهة هو، ومن له شيء فله أجره.

شهر رجب

أوله الأربعاء.

في يوم الأحد خامسه رسم السلطان بنفي الأمير قانصوه المحمدي الأشرفي الساقي - كان في أول دولة أستاذه - إلى مدينة حلب من غير أمر يوجب ذلك.

وقانصوه - هذا - من خيار أبناء جنسه.

وفي يوم الثلاثاء سابعه، رسم السلطان بحبس قاضي القضاة ولي الدين محمد السنباطي المالكي في المقشرة.

وسببه أن شخصاً مسلماً ادّعى عنده على شخص يهودي من تجار الجاركس بأنه لا يطالبه بحقه إلاّ من الشرع الشريف، فحكم عليه قاضي القضاة - المذكور - بذلك، فلم يرض اليهودي بالحكم، وقال: أنا أشتكي من حيث شئت والخاطر خاطري في طلب حقي. فكرر القاضي عليه الكلام على لسان الترجمان، فلم يسمع، فضربه القاضي وحبسه، ثم أطلقه، فشكا اليهودي - المذكور - القاضي إلى السلطان،. فطلب السلطان قاضي القضاة - المذكور - فقال: الذي فعلته هو الشرع. فقال السلطان ما معناه: إنّ السياسة هي تجري مجرى الشرع، وأنت حكمت بغرض. ثم غضب، وأمر به إلى الحبس، فعزل القاضي نفسه في الحال، وقام من المجلس وتوجه إلى جامع الناصر بالقلعة، وأقام به قليلاً حتى شفع فيه ونزل إلى داره معزولاً إلى أن أعيد في يوم الخميس تاسعه.

وفي يوم السبت حادي عشره وصل الأمير حاج إينال اليشبكي نائب الكرك إلى القاهرة، وأخلع عليه (السلطان) خلعة الاستمرار وهو يظهر الاستعفاء من النيابة المذكورة.

وفي يوم الاثنين ثالث عشره - ويوافقه سابع مسرى أحد شهور القبط - زاد البحر أربعين إصبعاً، وكان زاد قبل تاريخه// أربعين أخرى على دفعتين، [٢١٢] عشرين في عشرين، ثم زاد في يوم الثلاثاء رابع عشره ثلاثين إصبعاً، فتكون زيادته في أربعة أيام مائة إصبع وعشرة أصابع. وبقي للوفاء اثنان وعشرون[١] إصبعاً، فزاد في يوم الأربعاء خامس عشره - ويوافقه تاسع مسرى - أربعاً وعشرين إصبعاً، أوفى في الستة عشر ذراعاً وزاد إصبعين من الذراع السابع عشر، فنزل المقام الفخري عثمان ابن السلطان الملك الظاهر جقمق في وجوه

(١) في « أ »: « اثنين وعشرين ».

الدولة حتى خلق المقياس، ثم عاد وفتح خليج السد على العادة، ثم عاد إلى القلعة، فحصل للناس بهذا الوفاء سرور زائد إلى الغاية، ولله در الأديب ناصر الدين ابن النقيب - رحمه الله - حيث يقول في هذا المعنى :

كأن النيل ذو فهم ولب   لما يبدو لعين الناس منه
فيأتي عند حاجتهم إليه   ويمضي حيث يستغنون عنه

(الوافر)

وفي يوم السبت ثامن عشره، أنعم على الأمير حاج إينال - المذكور قبل تاريخه - بإمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق عوضاً عن الأمير مازي الظاهري برقوق بحكم لزوم مازي بيته، واستقر في نيابة الكرك عوضاً عن الحاج إينال - الأمير طوغان دوادار السلطان بدمشق، واستقر في دوادارية السلطان بدمشق السيفي خشكلدي الدوادار الثالث بالقاهرة، واستقر في الدوادارية الثالثة عوضاً عن خشكلدي - المذكور - شخص لا أعرفه من أولاد الناس يدعي ابن جانبك، كان بخدمة السلطان قديماً في أيام إمرته.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشرينه، استقر النصراني سليمان اليعقوبي بطرق النصارى عوضاً عن أبي الفرج النصراني المتوفي قبل تاريخه، وذلك بعد شغورها أشهراً إلى أن قدم سليمان - هذا - من بلاد الصعيد.

وفي يوم السبت خامس[1] عشرينه نودي على النيل بزيادة إصبع واحد[2] لتتمة ستة عشر إصبعاً من الذراع السابع عشر، وكان للبحر نحو سبعة أيام لم يزد شيئاً. واختلفت الأقوال في عدم زيادته - والله أعلم - ثم استمرت الزيادة بعد ذلك في كل يوم / / على ما سيأتي ذكره عند انتهاء الزيادة. [٢١٣]

---

(١) في هامش «أ»: «حاشية: صوابه ثامن عشره، نودي على النيل بثلاثة أصابع لتتمة ستة عشر من الذراع السابع عشر، ثم نقص يوم الأحد أربعة أصابع لانكسار مقطع من لسان سنيت، وأقام إلى يوم الجمعة رابع عشرينه زاد ثلاثة أصابع، واستمرت الزيادة».

(٢) في «أ»: «وفي يوم السبت خامس عشرينه نودي على النيل بإصبع واحد، نودي على النيل بزيادة أصبع واحد لتتمة...».

وفي أواخر العشر الأخير من هذا الشهر أشيع بمجيء أبي الخير النحاس إلى القاهرة، وأنه وصل على النجب، ونزل بتربة الأمير طيبغا الطويل الناصري بالصحراء خارج القاهرة، ثم انتقل منها إلى القاهرة، وتحدثت جماعة برؤيته، وماجت أهل الدولة لذلك.

قلت: وهذا من أغرب ما اتفق في زماننا هذا، فإن السلطان لما نكب أبا الخير - المذكور - وصادره، ووقع له ما حكيناه فيما تقدم في هذا الكتاب من الدعوى عليه بمجلس الشرع وحبسه أياماً[1]، ثم بعد ذلك كله أخرج منفياً إلى طرسوس، وكان خروجه من القاهرة في الثلث الأول من ليلة الجمعة ثامن عشرين جمادي الآخرة سنة أربع وخمسين وثمانمائة، ودام في حبس طرسوس، ثم حبس بقلعتها على أقبح حال، (و) من ثم وهو في ضيق عظيم إلى الغاية، ونال من يعاديه منه ما هو فوق غرضه، وصار السلطان يتفقده في كل قليل بعصيات، وهو أنه كلما أشيع بالقاهرة ممن يحبه أو يبغضه بمجيئه من حبس طرسوس يتكلم فيه بعض من له غرض في إبعاده، فيبرز مرسوم السلطان إلى نائب طرسوس بضرب أبي الخير - المذكور - فيضرب على رجليه وتارة على بدنه، فكان جملة ما ضرب في مدة حبسه نحو الألف عصاة - تخميناً - على نفذات متفرقة، ولم يزل في محبسه في ضيق وإبعاد وحواشيه متفرقة بذل وصغار إلى أن أشيع ما أشيع على حين غفلة، ولم يعلم أحد من عظماء الدولة بمجيئه ولا بكيفية الإفراج عنه، حتى ولا كاتب السر وغيره ممن هو أقرب للملك من كاتب السر - المذكور - وأخذ أعيان الدولة في تكذيب الخبر، وبقي الناس في أمر مجيئه على قسمين، واستمر ذلك مدة إلى ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

شعبان

أوله الخميس.

ففي يوم الخميس ثامنه وصل إلى القاهرة جانبك بن عبد الله الظاهري جقمق من بندر جدة، وصحبته قصاد صاحب الحبشة من المسلمين - ملك جبرت - فعمل السلطان الموكب بالحوش السلطاني من قلعة الجبل بالكلفتاه

---

(1) في الأصل: «أيام».

والقماش ، وقد انقطع السلطان عن التوجه إلى القصر [السلطاني][1] من نحو شهر ، وذلك لضعف حركته فيما أظن .

وفي يوم الجمعة تاسعه طلع أبو الخير النحاس في بكرته إلى القلعة ودخل إلى السلطان بالقلعة من الدهيشة، صحبة سيدي عبد العزيز ابن سيدي // [٢١٤] يعقوب ابن أخي الخليفة القائم بأمر الله حمزة، ليشفع ـ المذكور ـ فيه على لسان الخليفة، ولم يكن عند السلطان في ذلك الوقت من أعيان الدولة سوى الأمير تمربغا الدوادار الثاني والأمير أسنباي الظاهري، فقام السلطان لابن أخي الخليفة المذكور وأجلسه، ودخل أبو الخير النحاس وقبل رجل السلطان، فلم يلتفت إليه السلطان، بل نهره وأوسعه سباً ولعناً وتوبيخاً، وأخذ يعدد له أفعاله القبيحة في أيام وصلته بالسلطان، ثم أمر بحبسه بالبرج من قلعة الجبل بعد أن اعتذر لابن أخي الخليفة لعدم قبول شفاعته، بل قال: أنا كنت أريد (أن) أوسطه، فلأجل الخليفة عفوت عنه . ثم أنعم على عبد العزيز ـ المذكور ـ بمائة دينار، وانفض المجلس إلى أن أصبح السلطان من الغد في يوم السبت، جلس على الدكة بالحوش السلطاني، وأحضر أبا الخير ـ المذكور ـ في الملأ من الناس، ثم أمر بضربه، فضرب بين يديه بيد الطواشية ما يقارب ألف عصاة أو ما دونها ـ تقريباً ـ على رجليه وسائر بدنه، وشرع السلطان يذكر أفعاله القبيحة، ثم أمر بحبسه ثانياً بالبرج من القلعة، فتحيّر الناس من هذه الأفعال المتناقضة، وهي كونه أفرج عنه سراً وأحضره إلى القاهرة، فظن كل أحد بعود ـ المذكور ـ إلى أعظم مما كان عليه، ثم لما وقع له ما ذكرناه من الإخراق والضرب والحبس تحقق كل أحد إبعاده ونزوله إلى البهموت، وقد كثر كلام الناس في ذلك، فمنهم من يقول: أمر السلطان بإطلاقه لا مجيئه إلى القاهرة، فحنق عليه لما قدم إلى القاهرة. فيرد على قائل هذا الكلام قول من يقول: إذا كان كذلك فمن أين لأبي الخير (بـ) النجب التي جاء عليها بعد خروجه من حبس طرسوس مع ما كان عليه من الذل لولا توصية السلطان لمن يعينه على ذلك ؟ وأيضاً كيف تمكّن من المجيء من نواب البلاد الشامية ؟ لو لم يكن معه ما يدفعهم عن تعويقه من

---

(١) مضاف من « ب ».

المراسيم السلطانية، ومنهم من يقول: كان أمره قد انبرم مع السلطان، وأن الجماعة الذين يخافونه اجتهدوا ووعدوا السلطان بوعود كثيرة أضعاف ما وعده [٢١٥]- المذكور - وسهروا عليه. وأظن هذا هو الأقوى، والله أعلم، ولله در // القائل:

بعثت في حاجتي رسولا يكنى أبا درهم فتمت
ولو سواه بعثت فيها لم تحظ نفسي بما تمنت

(مخلع البسيط)

وفي هذا اليوم أخذ أبو عبد الله التركي المغربي من بيته إلى بيت الوالي، ورسم عليه، ثم ادعى عليه بمجلس القاضي المالكي أو غيره بأنه التزم للسلطان عن أبي الخير النحاس بمائة ألف دينار أو أكثر، فقال: أنا قلت إنْ ولاه ما عينه من الوظائف، ولم يقع ذلك، وعرف كيف أجاب، فاستمر في الترسيم إلى يوم الثلاثاء ثالث عشره، طلب إلى القلعة، فطلع وفي رقبته جنزير، ثم عاد إلى الترسيم من غير جنزير، وقد أشيع أنه وقع في حق قاضي القضاة شرف الدين يحيى المناوي الشافعي بأمور شنيعة، ودام في الترسيم على ما سيأتي ذكره.

وفيه نودي على النيل بزيادة إصبع واحد لتتمة ثماني[1] عشرة إصبعاً من الذراع الثامن عشر، وكان الموافق لهذا اليوم أول توت، يوم النوروز.

وفي يوم الأربعاء رابع عشره أخرج أبو الخير النحاس من حبسه ببرج القلعة منفياً إلى البلاد الشامية ليحبس بقلعة (الـ) صبيبة، فنزل على حالة نستعيذ بالله منها، وهو أنه راكب على بغلة وفي رقبته باشة وجنزير، وصحبته جماعة من الجبلية موكلون به، وقد شقوا به شارع القاهرة إلى أن خرج من باب النصر والمشاعلي ينادي عليه: هذا جزاء من يكذب على الملوك، ويأكل مال الأوقاف، ونحو ذلك. ورسم السلطان بأن يفعل به ذلك في كل بلد يمر بها إلى أن يصل إلى محبسه، وما ربك بظلام للعبيد.

وفي يوم الخميس خامس عشره، استقر الأمير حاج إينال في نيابة حماه، عوضاً

(١) في «أ»: «ثمان عشرة».

عن الأمير سودون الأبوبكري المؤيدي بحكم عزله وتوجهه على الإمرة المنعم بها قبل تاريخه على الحاج إينال ـ المذكور ـ وهي تقدمة ألف بدمشق.

وفيه رسم بفتح سد قناطر بحر منجا، فتوجه الأمير زين الدين الأستادار بتجمل زائد[1]، وتوجه صحبته غالب أهل الدولة حتى رأوا فتح السد ـ المذكور ـ واتفق أمر مزعج، وهو أنه لما وقف والي القاهرة على الجسر وفتح السد من عدة أماكن والناس وقوف للفرجة، فكانت طائفة من العوام واقفة على الجسر ـ المذكور ـ والماء قد عمل من تحته، فهوّر بهم الجرف ونزلوا البحر، فلما أرادوا النهوض منه انهار عليهم جرف آخر فطمهم // الجميع، فماتوا عن [٢١٦] آخرهم، ولم يوقف لهم على خبر[2]، وكانوا زيادة على عشرين نفراً، فما شاء الله كان.

وفي يوم الجمعة سادس عشره، ورد الخبر بموت الجمالي يوسف بن يغمور نائب قلعة صفد بها.

وفي يوم الاثنين تاسع عشره وصل السيفي دقماق اليشبكي المنفي قبل تاريخه إلى مدينة القدس، فرحّب السلطان به ورد له إقطاعه الذي كان بيده قديماً.

وفي يوم الثلاثاء سابع عشرينه جلس السلطان بالحوش، وحضر القضاة

---

(١) في هامش «أ» قوله: «حاشية: يوم الخميس خامس عشر شعبان، وبات تلك الليلة في جامعه الذي أنشأه ببولاق، وأوقد وقيداً عظيماً، على كل شرافة قنديل ومئذنة، وكانت ليلة عظيمة».
«حاشية: وكان الأمير زين الدين يحيى الأستادار عمر حمالة ليسيرها للبحر الملح بثلاث طبقات وسبع قلوع، فعومها في ذلك اليوم إلى شبرا، وكان صحبته الأمير إينال الأجرود ـ الذي تسلطن في سنة سبع وخمسين ـ وتنم من عبد الرزاق أمير مجلس، وقانباي الجاركسي أمير آخور، ودولات باي الدويدار الكبير، وتمربغا الدويدار الثاني ـ الذي تسلطن في سنة اثنتين وسبعين ـ وكاتب السر ابن الأشقر، وناظر الخاص يوسف، والوزير ابن الهيصم، وغالب أرباب الدولة من الأمراء والمباشرين، ويقال: إنه أمد الكل بالمآكل والمشارب والفاكهة والحلوى، وكان ذلك اليوم آخر سعده، فإنه أخذ في أول صفر سنة سبع وخمسين وثمانمائة كما يأتي في هذا الكتاب».

(٢) في هامش «أ»: «حاشية: وطلع من الذين انهار بهم الجسر جماعة، وغرق جماعة لا يحصى عددهم كثرة، مع أنهم حذروا فلم يقبلوا وممن غرق خولي الجسر يوسف النفيلي بمرأي من كاتبه».

الأربعة[1]، ثم حضر والي القاهرة بأبي عبد الله التركي المغربي، وكان التركي قد أقام قبل تاريخه ببيت قاضي القضاة الشافعي المناوي أياماً، فلما مثل التركي بين يديّ السلطان سأل السلطان قاضي القضاة شرف الدين يحيى المناوي الشافعي عن أمر التركي وما وجب عليه، فقال القاضي: يا مولانا السلطان، ثبت عليه عند نائبي نجم الدين ابن النبيه لمولانا السلطان عشرة آلاف دينار، فقام ابن النبيه في الحال وأخبر السلطان بذلك، فنهر السلطان ـ القاضي الشافعي عند مقالته عشرة آلاف دينار، وقال: ما أسأل إلاّ عمّا وجب عليه من التعزير، أيش العشرة آلاف دينار؟ ولم تحسن مقالة القاضي الشافعي ببال أحد من الحاضرين، ثم أجاب ابن النبيه بأن قال: أما المال فقد ثبت عندي، وأما أمر التعزير فهو إلى القاضي شمس الدين ابن خيرة. فقال ابن خيرة: حكمت عليه بتغريبه سنتين، وأما التعزير فلمولانا السلطان على ما وقع منه من الأيمان الحانثة. فلما سمع السلطان كلام ابن خيرة أمر بالتركي فطرح على الأرض وضرب ضرباً مبرحاً يزيد على مائتيّ عصاة وأقيم، فتكلم فيه ابن (الـ) نبيه وأحضر محضراً مكتتباً عليه بدمشق بواقعة وقعت له لما كان قاضياً بها، فأمر به السلطان ثانياً فضرب ـ أيضاً ـ نحو ما ضرب أولاً، واختلفت الأقوال في عدد الضرب، فأكثر ما قيل ستمائة عصاة، وأقل ما قيل أربعمائة، ثم أنزل في الترسيم إلى بيت الأمير جانبك والي القاهرة.

قلت: كل ذلك لمعاداة أرباب الدولة له بسبب تكلمه لأبي الخير النحاس وانتمائه إليه قديماً وحديثاً.

وفي هذا الشهر عزل السلطان الإمام محب الدين محمد الطبري، إمام مقام إبراهيم ـ عليه السلام ـ بالمسجد الحرام، ثم أعاده بعد أيام.

شهر رمضان

أوله السبت.

[٢١٧] في يوم الاثنين ثالثه، وصل إلى القاهرة من البحيرة الأمير خشقدم //

---

(١) في «أ»: «الأربع».

الناصري حاجب الحجاب، والأمير يشبك من سليمان شاه المؤيدي الفقيه أحد أمراء العشرات ورأس نوبة بمن معهما من المماليك السلطانية.

وفي يوم الأربعاء خامسه أخرج أبو عبد الله التركي المغربي المالكي من حبس الرحبة وفي رقبته الجنزير ماشياً إلى بيت الأمير جانبك والي القاهرة ببين القصرين، ثم ركب من هناك وخرج منفياً في الترسيم إلى بلاد المغرب.

وفي يوم السبت (ثامنه)[1] سافر القاضي محب الدين محمد ابن الشحنة قاضي قضاة حلب بعد أن أقام بالقاهرة أشهراً لا لأمر يستحق الإقامة بها، وأخذت منه جمل مستكثرة، وأخرجت عنه وظيفتي نظر جيش حلب وكتابة سرها حسبما تقدم.

وكان لما قدم إلى القاهرة حدثته نفسه بأن يلي كتابة السر بالديار المصرية في حياة القاضي كمال الدين ابن البارزي، فلم يصل إلى ذلك، واتفق مرض ابن البارزي ثم موته، فعند ذلك اجتهد ابن الشحنة ـ المذكور ـ في السعي وبذل الأموال ووعد بأشياء كثيرة، ودامت الوظيفة شاغرة أياماً كثيرة إلى أن طلب السلطان القاضي محب الدين ابن الأشقر ناظر الجيوش المنصورة، وولاه كتابة السر عوضاً عن القاضي كمال الدين ابن البارزي، وتولى الصاحب جمال الدين ناظر الخواص نظر الجيش، عوضاً عن القاضي محب الدين ـ المذكور ـ مضافاً إلى ما بيده من نظر الخاص حسبما تقدم ذكره.

وفيه وصل مبارك شاه نائب الكرك، وعزل وانحط قدره، وتحقق السلطان سوء سيرته، وأخذ أمره من يومئذٍ في إدبار إلى أن سافر من القاهرة في التاريخ المذكور.

وفي يوم الاثنين عاشره ـ ويوافقه ثامن عشرين توت أحد شهور القبط ـ فيه انتهت زيادة النيل إلى اثني[2] عشر إصبعاً من عشرين ذراعاً، وهذه غاية زيادة النيل في هذه السنة، إلا أنه ثبت إلى أواخر بابة.

---

(١) مضاف من «ب».

(٢) في «أ»: «اثنتيّ عشرة أصبعاً».

وفي يوم الخميس العشرين منه برز المرسوم الشريف بحضور المقام الغرسي خليل ابن الملك الناصر فرج ابن الملك الظاهر برقوق بن أنص من ثغر الإسكندرية إلى القاهرة ليتوجه إلى الحجاز الشريف، وكتب له بالمقر الكريم، والعلّامة والده، وكانت الناس في سفره على قسمين: ما بين مكذّب ومصدق، إلى أن برز (ت) المراسيم الشريفة فتمّن كل أحد بصدق الخبر.

قلت: وهذه الواقعة من الغرائب، فإننا لا نعلم أحداً من أولاد السلاطين حج في الدولة التركية بعد وفاة والده إلاّ هذا، على أنه شوكته قوية جداً، وغالب الأمراء والمماليك مماليك أبيه الناصر فرج وجده الظاهر برقوق.

[٢١٨] وفي أواخر هذا الشهر رسم // السلطان بإخراج نصف إقطاع الأمير جانبك النوروزي المعروف بنائب بعلبك للسيفي بردبك التاجي الخاصكي، وكلاهما مقيم بمكة، فأما جانبك النوروزي فباش المماليك السلطانية بمكة، وأما بردبك التاجي فناظر الحرم وشاد العمائر ومحتسب بمكة، ورسم لبردبك أن يكون من جملة أمراء العشرات.

وهذا الإقطاع أصله كان بين الأمير جانبك ـ هذا ـ وبين الأمير تغري برمش الفقيه نائب قلعة الجبل نصفين بالسوية، فلما نفى السلطان تغري برمش ـ المذكور ـ أنعم بما كان يخصه من الإقطاع ـ المذكور ـ على شريكه جانبك النوروزي هذا، وسيره إلى مكة في سنة إحدى وخمسين وثمانمائة، فاستقل جانبك بالإقطاع مدة إلى أن بدا للسلطان إخراج نصفه، وهو ما كان بيد تغري برمش لبردبك ـ هذا ـ في التاريخ المذكور.

شوال

أوله الأحد.

في يوم الخميس رابعه، استقر الأمير تغري بردي القلاوي الظاهري جقمق وزيراً بالديار المصرية، مضافاً إلى ما بيده من كشف الأشمونين والبلاد الجيزية، عوضاً عن الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم بحكم استعفائه عن الوزر، وأنعم السلطان على تغري بردي ـ المذكور ـ بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار

المصرية، مما كان بيد المقام الفخري عثمان ولد المقام الشريف ليستعين بذلك على كلف الدولة.

وكانت خلعة تغري بردي ـ المذكور ـ بالوزر أطلسين متمراً وعليه فوقاني بطرز ذهب ، وهذه خلعة الأتابكية بالديار المصرية.

وأخلع على زين الدين فرج بن ماجد بن النحال كاتب المماليك السلطانية بوظيفة نظر الدولة ، مضافاً إلى ما بيده من كتابة المماليك، وكانت هذه الوظيفة شاغرة منذ ولي الصاحب أمين الدين ـ المذكور.

وفي يوم الاثنين تاسعه عملت الخدمة بالكلفتاه بالدهيشة من الحوش السلطاني، ورسم السلطان بأن تكون الخدمة دائماً في كل يوم اثنين وخميس بالدهيشة. وهذا ـ أيضاً ـ شيء لم نعهده.

وفي يوم الثلاثاء عاشره، استقر السيفي قاني باي طاز البكتمري في نيابة قلعة صفد بعد شغورها أشهراً بعد وفاة يوسف بن يغمور.

وفي هذا اليوم ـ أيضاً ـ وصل المقام الغرسي خليل ابن الملك الناصر فرج إلى القاهرة// ونزل عند صهره ـ زوج أخته خوند شقراء ـ الأمير جرباش [٢١٩] المحمدي الناصري، أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية، وكان دخوله إلى القاهرة من ساحل شبرا بعد ثلث الليل، واستمر في بيت أخته والناس تتردد إليه ما عدا الأمراء إلى يوم الخميس ثاني عشره، طلع إلى القلعة بعد انقضاء الخدمة، قبل نزول مباشري الدولة، واجتمع بالسلطان الملك الظاهر جقمق بالدهيشة من الحوش السلطاني، ووافي دخول الغرسي خليل إلى الدهيشة خروج السلطان من القاعة إليها، وتلاقيا على إيوان الدهيشة، فلما أن وقع بصر المقام الغرسي خليل على السلطان وقرب منه أراد تقبيل الأرض، فمنعه السلطان من ذلك ،تعانقا طويلاً، وقبل كل منهما الآخر، وجلسا من غير مقعد ولا مرتبة، وتحدثا ساعة إلى أن طلب السلطان خلعة المقام الغرسي خليل، وهي كاملية مخمل بفرو سمور بمقلب سمور، وقيد له فرساً بسرج ذهب وكنبوش زركش، وتم السلطان واقفاً إلى أن تم لبس المقام الغرسي الكاملية، وعاد وقبّل يد السلطان، فقبّل

السلطان يده، فأهوى المقام الغرسي إلى رجل السلطان فقبلها غصباً، فنزل السلطان ـ أيضاً ـ على رجل المقام الغرسي وقبّلها وتباكيا، وقال له[1] السلطان: أنا مملوكك ومملوك والدك وجدك، ثم استأذن الصاحب جمال الدين يوسف ـ ناظر الجيش والخاص ـ السلطان في توجه المقام الغرسي إلى زيارة القرافة وتربة جده الملك الظاهر برقوق، فقال السلطان: يتوجه حيث شاء. ثم التفت إلى المقام الغرسي وقال له: أنا ما أسمع الكلام الفشار، اركب وانزل، وسر حيث أردت من غير حجر. ثم سأل الصاحب جمال الدين ـ أيضاً ـ السلطان في توجه المقام الغرسي خليل إلى المقام الفخري عثمان ولد المقام الشريف، فاستغاث السلطان وقال: لا، بل عثمان يتوجه إليه ويقبّل يده، وما يكفي أننا قللنا أدبنا وما نزلنا إلى سيدي حتى هو طلع إلينا، فيتوجه إلى عثمان ـ أيضاً ـ ؟! هذا لا يمكن أبداً. فألح المقام الغرسي في ذلك فلمْ يجبه السلطان إلى ذلك، وانفض المجلس، ونزل من حيث طلع ـ من باب السر ـ إلى بيتْ صهره الأمير جرباش، وفرشت الشقق الحرير تحت رجليّ فرسه ونثر على رأسه الذهب والفضة.

واستحسنت الناس ما فعله السلطان مع المقام الغرسي وزيادة الإكرام له ـ انتهى.

وسبب إحضار المقام الغرسي من الإسكندرية أن السلطان لما أمر بحج ولده المقام الفخري عثمان في هذه السنة فعلم خواص مماليكه أنه قوي عليه الضعف وخشوا أن يموت في غيبتهم في الحج، فتخرج المملكة من أيديهم، فقووا على السلطان حتى أبطله من الحج، وقالوا له: «إلى العام القابل»، فلما أن رأى السلطان ذلك وعلم من نفسه الضعف، وعلم أن ولده إذا تسلطن لا يخلوه، فأرسل خلف المقام الغرسي ليعهد إليه بالسلطنة، ويجعل ولده من جملة الأمراء، فاستشار أخصاءه في ذلك، فلم يمكنوه من فعل ذلك ـ أيضاً ـ ولم يزالوا به حتى خلع نفسه وعهد لولده المقام الفخري عثمان ـ كما سيأتي ـ ولعمري كان رأيه هو الصواب.

---

(١) «وقال له»: مكرر في «أ».

وفي يوم الجمعة ثالث عشره نزل المقام// الفخري عثمان ولد السلطان [٢٠١ب] الملك الظاهر جقمق إلى المدرسة الظاهرية برقوق بعد صلاة الجمعة، وحضر بالمدرسة ـ المذكورة ـ عقد ولد شيخه الشيخ زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفي، ثم ركب من المدرسة ـ المذكورة ـ وتوجّه إلى المقام الغرسي خليل ابن الملك الناصر فرج بدار صهره الأمير جرباش المحمدي أحد مقدمي الألوف، وسلّم عليه، ثم ركب وعاد إلى القلعة.

وفي ليلة الأربعاء ثامن عشره توفي الزيني خشقدم بن عبد الله اليشبكي مقدم المماليك ـ كان في الدولة الأشرفية برسباي ـ يأتي ذكره مع من توفي في هذه السنة إن شاء الله تعالى.

وفيه ورد الخبر بمقتل طوغان نائب الكرك على ما سيأتي ذكره أيضاً.

وفي يوم الخميس تاسع عشره، برز أمير حاج المحمل الأمير دولات باي المحمودي المؤيدي الدوادار الكبير بالمحمل إلى بركة الحاج، وكان الحاج في هذه السنة ركباً واحداً، وهذه حجة دولات باي ـ المذكور ـ بالمحمل ثاني مرة، ثم بعد خروج الأمير دولات باي إلى بركة الحاج برز إليه المرسوم الشريف بأن يرسل مملوكه ـ أعني دواداره السيفي فارس ـ بجماعة من الحاج أمامه كالركب الأول، ففعل ذلك، وسافر المقام الغرسي خليل ابن الملك الناصر فرج صحبة المحمل بعد يومين.

وكان سفر السيفي فارس الدوادار من البركة في ظهر يوم السبت حادي عشرينه، وسافر أستاذه الأمير دولات باي بالمحمل في ليلة الأحد ثاني عشرينه بعد طلوع القمر.

وفي يوم الجمعة عشرينه ـ ويوافقه سابع هاتور ـ لبس السلطان القماش الصوف الملوّن وألبس الأمراء المقدمين على العادة في كل سنة.

وفي يوم الثلاثاء رابع عشرينه، خلع السلطان على السيفي ظقتمر الناصري البارزي رأس نوبة الجمدارية، ورسم له أن يتوجه إلى القدس الشريف لإحضار الأمير يشبك الصوفي نائب طرابلس ـ كان ـ إلى القاهرة ليتجهّز منها ثم

يعود إلى دمشق أتابكاً بها، ورسم لطقتمر - المذكور - أن يتوجه إلى دمشق - أيضاً - ويقبض على أتابكها الأمير خير بك المؤيدي، ويحمله إلى الصبيبة ليسجن بها.

وفيه رسم بنقل الأمير يشبك طاز المؤيدي حاجب حجاب طرابلس إلى نيابة الكرك عوضاً عن طوغان المقتول قبل تاريخه، واستقر عوضه في حجوبية طرابلس الأمير مغل باي البجاسي نائب قلعة الروم بمال // وعد به، واستقر في [٢٢١] نيابة قلعة الروم ناصر الدين محمد والي الحجر بقلعة حلب.

ذو القعدة

أوله الثلاثاء.

في يوم الأحد سادسه، رسم السلطان بحبس تقي الدين عبد الرحمن بن حجي ابن عز الدين الشافعي قاضي قضاة طرابلس بحبس المقشرة، فتوجهوا به على حمار إلى المقشرة وهو ينادي عليه بشوارع القاهرة: هذا جزاء من يزور المحاضر.

ثم أمر السلطان من وقته بحبس ماماي الخاصكي الدوادار السيفي بيبغا المظفري بالبرج من قلعة الجبل.

وكان ماماي - هذا - هو المتوجه إلى طرابلس لكشف خبر ابن عز الدين - المذكور - فعاد ماماي من طرابلس وعرف السلطان بحسن سيرة ابن عز الدين - المذكور - فلم يلتفت السلطان إلى كلامه، وحمله على الغرض، وفعل به وبابن عز الدين ما ذكرناه.

واستمر ماماي بالبرج إلى يوم الاثنين سابعه، أطلق ورسم بنفيه إلى حماه، فتجهّز وتوجه إلى حماه بعد أيام، واستقر في وظيفته - أعني الدوادارية - السيفي قانصوه النجمقدار الظاهري جقمق.

وفي يوم الخميس عاشره، وصل إلى القاهرة الأمير يشبك الصوفي ليتجهّز بالقاهرة، ثم يتوجه إلى دمشق على أتابكيتها.

وفيه رسم السلطان بالإفراج عن الأمير جانبك المحمودي من حبس المرقب، وأن يتوجه بطالاً إلى طرابلس.

وفي يوم الاثنين رابع عشره، وصل إلى القاهرة الأمير تنبك البردبكي الظاهري أحد مقدمي الألوف بها وحاجب الحجاب - كان - المتوجه قبل تاريخه إلى حفظ ثغر رشيد.

وفي يوم الاثنين ثامن عشرينه ، خلع السلطان على الأمير يشبك من جانبك المؤيدي المعروف بالصوفي باستقراره أتابك العساكر بدمشق، عوضاً عن الأمير خيربك بحكم القبض عليه حسبما تقدم ذكره.

وفي هذا الشهر انحطت الأسعار في جميع المأكولات انحطاطاً زائداً بالنسبة إلى ما كانت عليه فيما مضى من تلك السنين، وذلك لعموم الريّ بالنيل في جميع بلاد الديار المصرية وتغليق تخضير أراضيها، فأبيع القمح بثلاثمائة وعشرين درهماً الإردب إلى ما دونها، وأبيع الفول بثلاثمائة درهم الإردب إلى ما دونها، وأبيع الشعير بمائة وأربعين درهماً الإردب إلى ما دونه، والدقيق العلامة بمائة وعشرين درهماً البطة إلى ما دونها، والخبز بدرهم ونصف الرطل، واللحم الضاني باثنيّ عشر درهماً الرطل، واللحم البقري بتسعة دراهم الرطل، والجبن المقلي بثمانية دراهم الرطل، // والجبن الأبيض بستة دراهم الرطل، والشيرج [٢٢٢] باثني عشر[1] درهماً الرطل، وقس على ذلك.

وفي هذه الأيام ثبت سعر الدينار الظاهري الذي زنته درهم وقيراطان بثلاثمائة وعشرين درهماً، وهذا شيء لم يعهد مثله.

ذو الحجة

أوله الأربعاء.

ففي يوم الخميس ثانيه توجه الأمير يشبك الصوفي - المقدم ذكره - إلى محل إقامته بدمشق.

وفي يوم السبت حادي عشره قدم القاضي بدر الدين حسن بن المزلق إلى القاهرة ، ولبس كاملية بفرو سمور.

---

(١) في «أ»: «باثني عشرة درهماً».

وفي يوم الثلاثاء رابع عشره شكا شخص من الحلبيين يسمى أحمد بن العطار على القاضي محب الدين ابن الشحنة قاضي قضاة حلب، وذكر عنه أشياء شنيعة، وادّعى أحمد - المذكور - أنه يثبت في جهة ابن الشحنة - المذكور - مائة ألف دينار تناولها من أوقاف حلب وغير ذلك بالطريق الشرعي، وذكر - أيضاً - أن ابن الشحنة هدم مسجداً وأدخله في داره التي بناها بحلب، فلما سمع السلطان كلام المذكور رسم بهدم دار ابن الشحنة والقبض عليه وحبسه بقلعة حلب، وكتب بذلك مرسوماً شريفاً على يد بشير الساعي، ثم ندب السلطان بعد ذلك السيفي ألطنبغا الطربائي إلى التوجه إلى حلب بسبب ابن الشحنة والكشف عن أحواله، وسافر بعد أيام.

وفي يوم الخميس سادس عشره، استقر القاضي حسام الدين محمد ابن تقي الدين عبد الرحمن بن بريطع قاضي قضاة حلب، عوضاً عن ابن الشحنة.

وفي يوم الاثنين عشرينه استقر أسنبغا الكبكي نائب بعلبك في نيابة القدس، وأضيف إليه نظر الحرمين بعد وفاة القاضي أمين الدين عبد الرحمن بن الديري.

وفي الثلاثاء حادي عشرينه، تكلّم الوزير تغري بردي القلاوي مع السلطان في عزل زين الدين فرج ناظر الدولة عن نظر الدولة، فعزل السلطان فرجاً[1] - المذكور - عن نظر الدولة وأبقى معه كتابة المماليك على عادته أولاً.

وفي يوم الخميس ثالث عشرينه، وصل إلى القاهرة مبشر الحاج السيفي فارس دوادار الأمير دولات باي الدوادار، وأخبر بالأمن والسلامة.

وفي يوم الجمعة رابع عشرينه، حضر السلطان الملك الظاهر جقمق صلاة الجمعة بجامع القلعة على عادته وبه توعك، وبعد خروجه من الصلاة // غشي [٢٢٣] عليه، فأرجف في القاهرة بموته، ولهج الناس بذلك، فأصبح من الغد في يوم السبت خامس عشرينه حضر الخدمة في الدهيشة من القلعة، وحضرت الأمراء من غير كلفتاه، وعلم على عدة قصص، ثم أصبح في يوم الأحد سادس عشرينه ركب من القلعة ونزل إلى بيت ابنته زوجة الأمير أزبك من ططخ الظاهري

---

(١) في «أ»: «خرج».

الساقي أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، فلم يطل الجلوس عندها وعاد إلى القلعة من وقته. وكان سكن أزبك ـ المذكور ـ يومئذ في الدار التي هي خلف حمام بشتك بالقرب من جامع الأمير سودون من زاده.

وفي يوم الاثنين سابع عشرينه، عمل السلطان الخدمة بالحوش لقصاد جهان شاه بن قرا يوسف متملك تبريز وغيرها، وكان قدوم القصاد ـ المذكورين ـ لإعلام السلطان بأن جهان شاه كسر عساكر يابور بن باي سنقر بن شاه رخ بن تيمورلنك، واستولى على عدة بلاد من ممالكه، وأن عسكر جغتاي ضعف أمره لوقوع الوباء في خيولهم ومواشيهم.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشرينه ضرب السلطان القاضي جلال الدين عبد الرحمن بن الأمانة ـ أحد نواب الحكم الشافعية ـ بيده عشرة عصي، لكونه حكم على بعض العوام أنه لا يطالب إلاّ بحكم الشرع الشريف.

وفي هذه السنة وقع ببلاد المشرق فتن عظيمة، فمن ذلك الحروب التي وقعت بين أولاد باي سنقر بن شاه رخ بن تيمورلنك، وهي مستمرة إلى يومنا هذا، ثم ما وقع بين يابور بن باي سنقر بن شاه رخ بن تيمورلنك وبين جهان شاه بن قرا يوسف بن قرا محمد متملك تبريز، وأظن الفتنة بينهما كائنة لأن كلاً منهما عنده طمع في الإستيلاء على ممالك الآخر، ومن ذلك ما وقع لملوك حصن كيفا من ديار بكر، وهو أن الملك الكامل صاحبها قتله الملك الناصر ولده صبراً بين يديه وملك الحصن من بعده، واستوثق له الأمر من شهر ربيع الأول من السنة حسبما تقدم ذكره، ويأتي فيمَنْ[1] توفي هذه السنة، إلى شهر رمضان من السنة ـ أيضاً ـ وثب علي الناصر ـ المذكور ـ في ثامنه ابن عمه الملك حسين ابن الملك عثمان ابن الملك الأشرف ، دخل الحصن وقتل جماعة كثيرة من أعوان الناصر، ثم طلع إلى قلعة الحصن وقتل الناصر صبراً، فكانت مدة ملكه نحو ستة أشهر، ولم يتهن[2] بالملك بعد أبيه.

---

(١) في « أ » : « فيما ».

(٢) المراد : « يهنأ ».

قلت: لا جرم، أن الله عامله من جنس فعله الذي فعله بأبيه الذي هو سبب // إيجاده بإذن الله، ولكن كما تدين تدان، وما ربك بظلام للعبيد. [٢٢٤]

ثم ساق الملك حسن - المذكور - وأتى بالملك الناصر أحمد ابن الملك الكامل أخي الناصر المقتول - وكان الناصر هذا هو ولي عهد أبيه الكامل، لأنه أكبر أولاده - وملكه الحصن، واستفحل أمره وتم.

قلت: وأمر الناصر هذا من الغرائب، لأنه كان قد خرج في أيام أبيه الكامل إلى بعض القطر لأمر ما، فوثب أخوه الناصر في غيبته على أبيه الكامل وقتله وتملك الحصن، فاستمر الملك الناصر أحمد هذا مشتتاً عن بلاده حتى كان ما كان من قتل أخيه ودخوله إلى الحصن سلطاناً، وتم أمره ولقب بالملك الكامل كأبيه.

وكان دخول الناصر إلى الحصن بعد قتل أخيه باثني[1] عشر يوماً - أعني في عشرين شهر رمضان.

ولما استفحل أمره قتل عدة كبيرة من الذين كانوا ثاروا مع أخيه على أبيه كما ذكرنا بعض هذه الواقعة في حوادث شهر ربيع الأول من هذه السنة.

ووقع - أيضاً - في هذه السنة بين أولاد علي بك بن قرايلك فتن كثيرة، واستولى حسن بن علي بك بن قرايلك على آمد وأخذها من أخيه جهان كير بن علي بك بن قرايلك، وأرسل بمفاتيحها إلى السلطان الملك الظاهر جقمق سلطان الديار المصرية، فشكر له السلطان ذلك، ورد إليه مفاتيح آمد، واستحسن منه هذه الفعلة.

وفي هذه السنة - أيضاً - استولى الشريف بركات بن حسن بن عجلان أمير مكة المشرفة على مدينة حلى من أطراف اليمن عنوة، وأخرج صاحبها عنها، وجعل إقامة ولده بها.

---

(١) في «أ»: «باثنتي عشرة يوماً».

وفي هذه السنة شرع الرئيس سعد الدين إبراهيم بن الجيعان في عمارة مدرسته على النيل بساحل بولاق بين الحجازية والبرابخية.

أمر النيل في هذه السنة

كانت القاعدة - أعني الماء القديم - خمسة أذرع وأربعة وعشرين إصبعاً، وكان مبلغ الزيادة في هذه السنة - أيضاً - تسعة عشر ذراعاً واثنا عشر إصبعاً.

* * *

ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة

(١) توفي الشيخ علاء الدين ، علي ابن قطب الدين أحمد القلقشندي[١] ، الشافعي ، أحد علماء الشافعية في يوم الاثنين ، مستهل المحرم ، ودفن من الغد في يوم الثلاثاء .

وكان مولده بالقاهرة في ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وسبعمائة، ونشأ بها، وحفظ القرآن الكريم وعدة متون في مذهبه، وتفقه بعلماء عصره كشيخ الإسلام سراج الدين عمر // البلقيني، وولده قاضي القضاة جلال الدين، [٢٢٥.] والعلامة عز الدين ابن جماعة، والعلامة سراج الدين ابن الملقن، وغيرهم. وأخذ علم الحديث عن الشيخ زين الدين العراقي، والشيخ نور الدين الهيثمي، وسمع الحديث على جماعة كالبرهان الشامي، والعلاء ابن أبي المجد، والجمال الحلاوي، وسمع - أيضاً - على العراقي والهيثمي، وبرع في الفقه والأصول والعربية والمعاني والبيان والقراءات ، وشارك في عدة علوم، وتصدى للإفتاء والتدريس والإشغال عدة سنين، وانتفع به الطلبة، وتفقه به جماعة من الأعيان، وولي تدريس الشافعي عوضاً عن الشيخ نور الدين التلواني، وطلب لقضاء دمشق فامتنع، ورشح[٢] لقضاء الديار المصرية غير مرة، وكان سنه حين تصدر للتدريس دون

---

(١) هو « علي بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن علي القلقشندي .

له ترجمة في : ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٢ ، السخاوي. التبر المسبوك ص ٤٠٤ - ٤٠٦ ، الضوء اللامع ج ٥ ص ١٦١ - ١٦٣ تر ٥٥٧ ، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٣ .

(٢) في « أ »: «وربح»، وهو خطأ. والتصويب من النجوم الزاهرة للمؤلف ج ١٦ ص ١٢ .

العشرين سنة، وولي تدريس الشافعية بالمدرسة الشيخونية عوضاً عن قاضي القضاة شمس الدين القاياتي، وولي تدريس القراءات بمدرسة السلطان الملك الناصر حسن بالرملة تجاه قلعة الجبل، وتدريس الحديث بجامع ابن طولون عوضاً عن الحافظ شهاب الدين ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ وولي مشيخة المدرسة التي أنشأها تغري بردي المؤذي الدوادار الكبير بخط صليبة ابن طولون وتدريسها ـ أيضاً، ولما توفي تولاها من بعده ولده برهان الدين إبراهيم، ولازم الحضور من بعده، وتصدّر للتدريس.

(٢) وتوفي الشيخ الإمام العالم المقرىء المجيد ناصر الدين محمد بن كزلبغا[١] شيخ القراء بالديار المصرية ، الحنفي ، إمام المدرسة الأشرفية برسباي[٢] بالعنبرانيين[٣] في يوم الأحد تاسع عشر صفر .

وأصل والده مملوكاً تركياً[٤] من مماليك الأمير ألطنبغا الجوباني نائب الشام، وكان مولد الشيخ ناصر الدين ـ المذكور ـ في أوائل القرن ـ تقريباً ـ وكان بارعاً في علم القراءات ، جيد الصوت ، عديم النظر في القراءات في المحراب ، أوحد أهل زمانه في علم التجويد فصيحاً ، مؤدياً لكتاب الله ـ تعالى ـ أحسن تأدية ، لم يكن في زمانه مثله في تجويد الحروف ومعرفة مخارجها . وكان فيه حدة مزاج وسوء خلق وسطوة على الطلبة على قاعدة بعض أبناء الأتراك ، وكان إذا احتد تحصل له غتمة[٥] زائدة خارجة عن الحد .

---

(١) ويعرف بابن الجندي ، وابن كزلبغا ـ له ترجمة في : ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٢ ـ ١٣، السخاوي . التبر المسبوك ص ٤١٥، الضوء اللامع ج ٨ ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥ تر ٨٢٠، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٤ .

(٢) بناها « الأشرف برسباي » سنة سبع وعشرين وثمانمائة للهجرة ـ راجع : علي مبارك . الخطط ج ٢ ص ١١٠ .

(٣) كانت لبائعي العنبر ، وكانت تقع فيما بين الحريريين الشرابيين وقيسارية العصفر ، تجاه الخراطين .

راجع : المقريزي . الخطط ج ٢ ص ١٠٢ ـ ١٠٣ .

(٤) كذا بالأصل ، وصوابه : « مملوك تركي » .

(٥) أي عجمة في النطق .

وكان له حرمة عظيمة على أرباب الوظائف بالمدرسة الأشرفية كالمؤذنين والفراشين بها، رحمه الله تعالى.

(٣) وتوفي عظيم الدولة ورئيسها وعالمها القاضي كما الدين أبو المعالي محمد[١] ابن القاضي / / ناصر الدين أبي المعالي محمد ابن القاضي كمال [٢٢٦] الدين محمد بن عثمان بن محمد بن عبد الرحيم بن هبة الله البارزي، الجهني، الشافعي، الحموي الأصل والمولد والمنشأ، المصري الدار والوفاة، كاتب السر بها، وصهر السلطان الملك الظاهر جقمق.

سألته عن مولده فقال: مولدي بحماه في ذي الحجة سنة ست وتسعين وسبعمائة.

قلت: ونشأ بحماه في حفظ القرآن الكريم وعدة متون، وصلى التراويح بالناس في الديار المصرية لما قدم مع والده في سنة تسع وثمانمائة، ثم عاد إلى حماه، وحفظ التمييز[٢] في الفقه، وقرأه على الحافظ برهان الدين الحلبي المعروف بالقوف[٣]، ثم قدم إلى الديار المصرية مع والده - أيضاً - بعد قتل الناصر فرج بن برقوق صحبة الأمير الكبير شيخ المحمودي - أعني المؤيد - في سنة خمس عشرة وثمانمائة، وأخذ عن علماء عصره - قد استوعبنا ذكرهم في تاريخنا المنهل الصافي

---

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٦٧٧ - ٦٧٨ تر ٢٣٢٢، المنهل الصافي مج ٣ ق ١٧٣ أ - ١٧٤ أ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٣ - ١٨، السخاوي. التبر المسبوك ص ٤١٧ - ٤٢٠، الضوء اللامع ج ٩ ص ٢٣٦ - ٢٤٠ تر ٥٨٣، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٣ - ٢٩٤.

(٢) التمييز في فروع الفقه الشافعي، ألفه شرف الدين، هبة الله بن عبد الرحيم بن البارزي الحموي (ت ٧٣٨ هـ)، وعليه شرح لبهاء الدين، محمد بن علي الأنصاري (ت ٧٥٣ هـ).
راجع: حاجي خليفة. كشف الظنون ج ١ ص ٤٨٥.

(٣) هو «إبراهيم بن محمد بن محمد بن خليل، سبط ابن العجمي» (ت ٨٤١ هـ)، له ترجمة في:
ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ١٠٨ - ١١٥، ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ١ ص ٢٦ تر ٦٩، المنهل الصافي ج ١ ص ١٤٧ - ١٥٣ تر ٧٠، السخاوي. الضوء اللامع ج ١ ص ١٣٨ - ١٤٥.

والمستوفي بعد الوافي - حتى برع في الفقه والأصول العربية وعلمي المعاني والبيان، ومهر في المنظوم والمنثور، لاسيما في الأدب والإنشاء والترسل، وباشر نيابة كتابة السر عن والده في عنفوان شبيبته في الدولة المؤيدية شيخ، ثم وليها استقلالاً بعد وفاة والده في يوم السبت خامس عشرين شوال سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة إلى أن صرف بصهره علم الدين داود بن الكويز، وتولى نظر الجيش عوضاً عن علم الدين - المذكور - واستمر في وظيفة نظر الجيش إلى أن صرف بالزيني عبد الباسط بن خليل الدمشقي في يوم الاثنين سابع ذي القعدة سنة أربع وعشرين وثمانمائة ، فلزم - المذكور - داره على أجمل وجه إلى أن طلبه الملك الأشرف برسباي وولاه كتابة سر دمشق بعد موت بدر الدين حسن، في شهر رجب سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة، ثم أضيف إليه قضاء القضاة بدمشق في يوم الأربعاء مستهل شعبان سنة خمس وثلاثين وثمانمائة، فباشر القضاء وكتابة السر إلى أن طلبه الملك الأشرف إلى الديار المصرية وولاه كتابة سر مصر، بعد عزل الصاحب كريم الدين ابن كاتب المناخ في يوم السبت العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين، فباشر الوظيفة إلى أن صرف بالشيخ محب الدين محمد بن الأشقر، في يوم الخميس سابع شهر رجب سنة تسع وثلاثين، فلزم داره إلى أن أعيد إلى قضاء دمشق عوضاً عن سراج الدين عمر بن موسى // [٢٢٧] الحمصي - مسئولاً - في ذلك - في يوم الثلاثاء مستهل شهر رجب سنة أربعين وثمانمائة، وتوجه إلى دمشق وباشر قضاءها وخطابة الجامع الأموي.

ولما كان بدمشق كتب إليه الشرفي يحيى بن العطار يقول :

يا سيداً جد بالنوى لي   وطال ما جاد بالنوال
من منذ سافرت زاد نقصي   يا طول شوقي إلى الكمال
(مخلع البسيط)

فأجابه القاضي كمال الدين وأنشدنيها من لفظه رحمه الله :

خيالك في عيني يؤنس وحدتي   على أن داء الشوق في مهجتي أعيا
فإن مات من فرط اشتياقي تصبري   أعلله بالوصل من سيدي يحيى
(الطويل)

واستمر في قضاء دمشق إلى أن طلبه صهره الملك الظاهر جقمق لما كان

مدبر مملكة الملك العزيز يوسف، فقدم القاهرة بعد سلطنة الملك الظاهر جقمق، واستقر في كتابة السر عوضاً عن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، في يوم الثلاثاء سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، وهذه آخر ولاياته، فإنه استمر في الوظيفة إلى أن توفي في التاريخ المقدم ذكره، وكثر أسف الناس عليه لكثرة محاسنه وعظيم كرمه.

ولقد كان من محاسن الدنيا علماً وفضلاً وكرماً وسؤدداً وسياسة وتواضعاً وحلماً. وهو أحد من أدركناه من الأفراد في معناه، يضيق هذا المختصر عن إيراد ما ذكرناه في ترجمته في تاريخنا المسمى بالمنهل الصافي، رحمه الله تعالى. ولله در القائل:

حلف الزمان ليأتين بمثله ... حنثت يمينك يا زمان فكفر
(الكامل)

(٤) وتوفي الشيخ زين الدين، طاهر بن محمد بن علي النويري[١]، المالكي، أحد فقهاء المالكية، وأحد مشايخ القراء في يوم الاثنين خامس شهر ربيع الأول، وسنه نيف على ستين سنة تقريباً.

كان إماماً فقيهاً عالماً بارعاً محققاً ديناً خيراً صالحاً متواضعاً، مليح الشكل، حسن الهيئة، رضي الخلق، ساكناً، عديم النظير، قل أن يتصف أحد في عصره بمحاسنه، رحمه الله - تعالى - وعفا عنه.

(٥) وتوفي الملك الكامل خليل ابن الملك الأشرف أحمد ابن الملك العادل سليمان[٢]، صاحب حصن كيفا[٣] قتيلاً بيد ولده في شهر ربيع الأول.

---

(١) هو « زين الدين، أبو الحسن، طاهر بن محمد بن علي بن محمد بن محمد بن مكين »، له ترجمة في:

ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨، السخاوي. التبر المسبوك ص ٤٠٠ - ٤٠١، الضوء اللامع ج ٤ ص ٥ - ٦، السيوطي. نظم العقيان ص ١٢٠ تر ٩٢، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٤.

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٩٩ - ٤٠٠، الضوء اللامع ج ٣ ص ١٩١ - ١٩٢ تر ٧٣٤، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٥.

(٣) حصن كيفا: بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة، بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر. =

وسبب ذلك أن ولده المدعو بالملك الناصر دخل عليه ليلاً ومعه جماعة وقتله صبراً وملك بعده، وتم أمره إلى شهر رمضان من // السنة، وثب الملك [٢٢٨] حسن ابن عمه وقتله، وسلطن أخاه أحمد، ولقبه بالملك الكامل على لقب أبيه.

وكان الملك الكامل هذا قد تسلطن بعد قتل أبيه الملك الأشرف أحمد في سنة ست وثلاثين وثمانمائة، وكان له شعر ونظم كثير ذكرنا منه نبذة جيدة في ترجمته في تاريخنا المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي. وكان نظمه بحسب الحال، رحمه الله تعالى.

(٦) وتوفي شهاب الدين أحمد بن يعقوب[١]، نقيب القاضي الشافعي في يوم الأحد حادي عشر شهر ربيع الأول، وكان مشكور السيرة، محبباً للناس، رحمه الله تعالى وعفا عنه.

(٧) وتوفي السيفي قانصوه الأشرفي[٢] برسباي المصارع في يوم الاثنين ثاني عشر شهر ربيع الأول، وهو في أوائل الكهولية.

وهو أحد من أدركناه من الأفراد في القوة وفن الصراع، مع الشجاعة والإقدام، وحسن الشكالة، وتمام الخلقة، رحمه الله ـ تعالى ـ وعفا عنه.

(٨) وتوفي بدر الدين، محمد ابن فتح الدين صدقة المحرقي[٣] في يوم الأربعاء رابع عشر شهر ربيع الأول.

= راجع: ياقوت. معجم البلدان ج ٢ ص ٢٦٥، البغدادي. مراصد الإطلاع ج ١ ص ٤٠٧.

(١) هو «شهاب الدين، أبو العباس، أحمد بن يعقوب بن أحمد بن عبد المنعم بن أحمد، المعروف بابن يعقوب».

له ترجمة في: السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٩٦ ـ ٣٩٧، الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٤٥ تر ٦٨٢.

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨ ـ ١٩، السخاوي. التبر المسبوك ص ٤٠٩، الضوء اللامع ج ٣ ص ١٩٨ تر ٦٧٨.

(٣) هو «محمد بن محمد بن أبي بكر بن أيوب المحرقي»، له ترجمة في: السخاوي. التبر المسبوك ص ٤١٦، الضوء اللامع ج ٩ ص ٥٦ تر ١٥٧.

كان من بياض الناس[1] ، ونسبته إلى المحرقة - قرية بالجيزية من أعمال القاهرة - رحمه الله .

(٩) وتوفي أبو بكر المصارع المعروف بابن الإمام[2] - أحد أولاد الناس الذين أنشأهم الملك الظاهر جقمق - في يوم الأحد ثامن عشر شهر ربيع الأول .

وكان والده إمام الأمير جاركس القاسمي المصارع، ونشأ أبو بكر هذا على هيئة الأجناد، وكان يقرأ في المحافل بالجوق بغير أجرة، وكان عالماً بفن الصراع، وله فيه اليد الطولى، وكان من جملة المماليك السلطانية أرباب الجوامك إلى أن تسلطن الملك الظاهر جقمق تحرك له بعيض سعد وتولى خدمة الإمام الليث بن سعد والإمام الشافعي - رضي الله عنهما - وعدة زوايا بالقرافتين الكبرى والصغرى، فباشر أوقافهم بعسف، وأثرى من ذلك - وحسابه على الله - وتولى ذلك من بعده يوسف شاه العلمي معلم السلطان وكبير المعمارية، وباشر ذلك بعد أبي بكر - المذكور - رحمه الله تعالى.

(١٠) وتوفي الشيخ المعتقد المعروف بالشيخ ولي الدين الرومي[3] الحنفي ، نزيل الجامع الأزهر في يوم السبت مستهل شهر ربيع الآخر ، وهو في أوائل الكهولية .

وكان على قدم جيد من العبادة والانقطاع بالجامع المذكور، وكان يكتب الخط المنسوب، وفيه محاسن، رحمه الله.

[٢٢٩] (١١) وتوفي الرئيس سعد الدين أبو / / غالب القبطي الحنفي المعروف بابن عويد السراج[4] في يوم الثلاثاء رابع شهر ربيع الآخر ، ودفن من الغد .

---

(١) المقصود بذلك : أعيان الناس.

(٢) ويعرف - كذلك - بابن الشاطر . له ترجمة في : السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٩٧ - ٣٩٨، الضوء اللامع ج ١١ ص ١٠٠ - ١٠١ تر ٢٩١ .

(٣) له ترجمة في : السخاوي . التبر المسبوك ص ٤٢١، الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢١٠ تر ٩١٣.

(٤) سماه « السخاوي »: « إبراهيم »، له ترجمة في:
السخاوي. التبر المسبوك ص ٤٠٨ - ٤٠٩، الضوء اللامع ج ١١ ص ١٢٠ تر ٣٧٥.

وكان لديه فضيلة، وله مشاركة جيدة ومحاضرة حسنة، وكان يحب طلبة العلم، ويجتنب القبط والنصارى، وكان جماعة للكتب، وبالجملة فإنه كان خير أبناء جنسه، رحمه الله.

(١٢) وتوفي الأمير سيف الدين ألطنبغا بن عبد الله الظاهري برقوق المعلم المعروف باللفاف[١]، أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية بطالاً، في يوم الاثنين عاشر شهر ربيع الآخر، ودفن من يومه.

أصله من مماليك الملك الظاهر برقوق، وطالت أيامه في الجندية والخمول، ثم صار من جملة معلمي الرمح في الدولة الأشرفية برسباي، واستمر على ذلك إلى أن كانت الوقعة بين الملك الظاهر جقمق وبين الأتابك قرقماس الشعباني، أصابت ألطنبغا - المذكور - جراحات، وتقنطر عن فرسه، فعرف له الملك الظاهر جقمق ذلك وقربه، وأنعم عليه بإقطاع السيفي قلمطاي[٢] الإسحاقي الأشرفي الخاصكي، ثم بعد مدة يسيرة أنعم عليه بإمرة عشرة زيادة على ما بيده، عوضا عن الأمير سودون المغربي الظاهري برقوق بعد نفيه، ثم بعد مدة يسيرة أنعم عليه بإمرة طبلخاناه زيادة على ما بيده، عوضاً عن الأمير أقطوه الموساوي الظاهري برقوق بعد نفيه - أيضاً - ثم ولاه نيابة الإسكندرية، فأقام بالإسكندرية مدة وعزل وقدم القاهرة على إقطاعه إلى أن أنعم عليه بإقطاع الأمير سودون السودوني الظاهري برقوق بعد نفيه - أيضاً - زيادة على ما بيده، وجعله من جملة الأمراء الألوف، وأمره بالجلوس، ثم أنعم عليه بعد سنين في سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة بإمرة مائة وتقدمة ألف، بعد موت الأمير تمرباي رأس نوبة النوب، فاستمر على ذلك إلى أن ضعف وحصل له بوادر الاخلاط، استعفى ولزم داره مدة يسيرة، وتوفي كما تقدم ذكره.

---

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردى: الدليل الشافي ج ١ ص ١٥٢ تر ٥٤٢، المنهل الصافي ج ٣ ص ٨٠ - ٨٢ تر ٥٤٤، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨ - ١٩، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٩٧، الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٢٠ تر ١٠٣٢، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٥.

(٢) كان رأس نوبة في دولة «الأشرف إينال»، له ترجمة في:
ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٤٩ تر ١٨٨٥، المنهل الصافي مج ٣ ص ٣٦ أ - ٣٧ أ، السخاوي. الضوء اللامع ج ٦ ص ٢٢٤ تر ٧٥٢.

وكان رجلاً ديّناً خيراً عاقلاً عفيفاً عن المنكرات والفروج، رأساً في لعب الرمح، تركي الجنس، وعنده سلامة باطن، وقلة معرفة في كل شيء، حتى إنه كان يضعف رأيه عن مباشرة إقطاعه، رحمه الله.

(١٣) وهلك بطرق النصارى أبو الفرج اليعقوبي النصراني[١] في ليلة الجمعة رابع عشر شهر ربيع الآخر، ودفن من الغد في سقر وبئس المصير.

[٢٣٠] (١٤) وتوفي / / الأمير برسباي[٢] المؤيدي الساقي، أحد أمراء العشرات في يوم الجمعة سابع عشرين جمادي الأولى، وأنعم بإقطاعه على السيفي جانم الساقي الظاهري جقمق.

وأصل برسباي - هذا - من مماليك الملك المؤيد شيخ، وصار خاصكياً في الدولة الأشرفية برسباي، ثم صار ساقياً في الدولة الظاهرية جقمق، ثم أنعم عليه الملك الظاهر جقمق بإمرة عشرة، بعد موت الأمير إينال الكمالي الناصري، فاستمر من جملة أمراء العشرات إلى أن مات في التاريخ المذكور.

وكان عاقلاً ساكناً ديّناً نادرة في أبناء جنسه، رحمه الله تعالى.

(١٥) وتوفي الجمالي يوسف بن يغمور[٣] نائب قلعة صفد في أوائل شعبان.

ومولده بالقاهرة في حدود التسعين وسبعمائة تخميناً، ونشأ بها، وقاسى خطوب الدهر ألواناً في الدولة الناصرية، وتشتت في البلاد الشامية سنين إلى أن جعله الملك الظاهر ططر خاصكياً، ودام في ذلك سنين طويلة، ثم صار في آخر الدولة الأشرفية مقدم البريدية إلى أن نقله الملك الظاهر جقمق إلى نيابة قلعة

---

(١) له ترجمة في: السخاوي. التبر المسبوك ص ٤٠٩، الضوء اللامع ج ١١ ص ١٢٧ - ١٢٨ تر ٤٠٩.

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ١ ص ١٨٦ تر ٦٥٢، المنهل الصافي ج ٣ ص ٢٧٩ تر ٦٥٣، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٩، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٩٨، الضوء اللامع ج ٣ ص ١٠ تر ٤٣.

(٣) له ترجمة في: ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٩ - ٢٠، السخاوي. التبر المسبوك ص ٤٢١ - ٤٢٢، الضوء اللامع ج ١٠ ص ٣٣٨ تر ١٢٧٨.

صفد، فدام بها سنين، ثم نقل إلى أتابكية صفد، وتولى عوضه الأمير بيسق اليشبكي إلى أن قدم الجمالي يوسف - المذكور - إلى القاهرة ، وأعيد إلى نيابة قلعة صفد ثانياً، وعزل بيسق اليشبكي ، فدام على ذلك إلى أن مات بها، رحمه الله تعالى .

(١٦) وتوفي السيد الشريف شرف الدين محمد الحسني المعروف بصهر نور الدين السفطي[١] في يوم الأحد ثامن عشر شعبان .

وكان أولاً تاجراً في بعض الحوانيت، ثم عانى الخدم الديوانية بعد موت صهره نور الدين ، فولي عوضه عدة وظائف ، رحمه الله تعالى .

(١٧) وتوفي الملك الناصر[٢] صاحب الحصن قتيلاً في ثامن شهر رمضان ، تقدم ذكر قتله في ترجمة والده في هذه السنة ، وتولى عوضه أخوه أحمد .

(١٨) وتوفي الشيخ الإمام العلامة زين الدين عمر ابن الأمير سيف الدين قديد القلمطاوي[٣] بمكة المشرفة في ثامن عشر شهر رمضان وسنه ثمان وستون سنة .

وكان إمام عصره في العربية والتصريف، وله مشاركة في عدة علوم، وكان متقشفاً لا يتجمل في ملبسه ولا مركبه، وكان زيه على هيئة أولاد الأجناد - الحلقة - مع دين وعقل وسكون ، رحمه الله تعالى .

(١٩) وتوفي الأمير الطواشي زين الدين خشقدم الرومي اليشبكي[٤] مقدم

---

(١) لم أهتد إلى مصدر لترجمته .

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨ .

(٣) له ترجمة في : ابن تغري بردى : الدليل الشافي ج ١ ص ٥٠٣ تر ١٧٥٠، المنهل الصافي مج ٢ ق ٣٢٦، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٢٠ ، السخاوي. التبر المسبوك ص ٤٠٨، الضوء اللامع ج ٦ ص ١١٣ - ١١٤ تر ٣٥٨، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٧ .

(٤) له ترجمة في : ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ١ ص ٢٨٥ تر ٩٨٠، المنهل الصافي مج =

[٢٣١] المماليك ـ كان ـ في ليلة الأربعاء ثامن عشر شوال وسنه نيف على / / سبعين سنة .

وخشقدم ـ هذا ـ أصله من خدام الوالد ـ رحمه الله ـ اشتراه في نيابته لحلب قبل الثمانمائة، وقدمه إلى الملك الظاهر برقوق في جملة مماليك وخدام، فأنعم به الظاهر (برقوق) على الأمير فارس الحاجب، ثم ملكه الأمير يشبك الشعباني الأتابك بعد قتل الأمير فارس الحاجب في سنة اثنتين وثمانمائة وأعتقه، ودام بخدمته إلى أن قتل يشبك عاد إلى خدمة والدي ـ رحمه الله ـ ثانياً، ودام عنده إلى أن توفي والدي ـ رحمه الله ـ صار من جملة الجمدارية عند الملك المؤيد شيخ، واستمر على ذلك إلى أن ولي نيابة تقدمة المماليك السلطانية بعد موت الملك المؤيد، ودام على ذلك سنين إلى أن نقله الملك الأشرف برسباي إلى تقدمة المماليك السلطانية بعد موت افتخار الدين ياقوت الأرغون شاوي في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، واستمر على وظيفته إلى أن قبض عليه الملك الظاهر جقمق وحبسه بثغر الإسكندرية، لممالأته إلى الملك العزيز يوسف ابن الملك الأشرف برسباي، فدام في حبس الإسكندرية مدة ثم أطلق، ورسم له بالتوجه إلى المدينة النبوية، فتوجه إلى المدينة الشريفة، ودام بها مدة طويلة، ثم قدم القاهرة بطالاً، واستمر بها إلى أن مات في التاريخ المذكور.

وكان حشماً، طوالاً، جسيماً، جميلاً ، إلاّ أنه كان متعاظماً شحيحاً عارياً من كل فضيلة، ضنيناً برأي نفسه، ولله در أبي العلاء المعري حيث يقول:

فوا عجبا كم يظهر الفضل ناقص ... ووا أسفا كم يدعى النقص فاضل
وكيف تنام الطير في وكناتها ... إذا نصبت للفرقدين الحبائل
(الطويل)

(٢٠) وتوفي الأمير طوغان[1] نائب الكرك قتيلاً بنواحي الكرك في أواخر سنة ست وخمسين .

= ٢ ق ٣٨ أ ـ ٣٩ أ. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٢٠ ـ ٢١، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٩٩، الضوء اللامع ج ٣ ص ١٧٤ تر ٦٧٧، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٩٧.

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ١ ص ٣٧٣ ـ ٣٧٤ ـ تر ١٢٨٢، المنهل =

وطوغان ـ هذا ـ أصله من مماليك الأمير نوروز الحافظي، وقيل من مماليك الأمير آقبردي المنقار المؤيدي، ثم صار من جملة المماليك السلطانية سنين طويلة إلى أن جعله الملك الظاهر جقمق خاصكياً، ثم ولاه نيابة دمياط، ثم نقله إلى البلاد الشامية على إمرة، ثم صار بعد مدة طويلة أمير // طبلخاناه بدمشق [٢٣٢] ودوادار السلطان بها، وحج أمير حاج (المحمل) الشامي غير مرة، ثم نقل إلى نيابة الكرك في سنة ست وخمسين ـ المذكورة ـ عوضاً عن الأمير إينال اليشبكي المعروف بحاج إينال بحكم انتقال إينال إلى نيابة حماه، فتوجّه إلى الكرك، وبعد أيام يسيرة ركب بمماليكه وكبس بعض الأعراب الطائعة وقاتلهم وظفر منهم بجماعة، فأسرف في قتلهم، ثم نزل بمكان هناك فعادوا عليه العرب من وقتهم فقاتلهم ثانياً، فكسروه وقتلوه أشر قتلة.

وكان مهملاً وضيعاً أهوج ظالماً، سيء الخلق، إلّا أنه كان مشهوراً بالشجاعة مع طيش وخفة، رحمه الله تعالى.

(٢١) وتوفي القاضي أمين الدين عبد الرحمن[1] ابن قاضي القضاة شمس الدين محمد، وأخو شيخ الإسلام سعد الدين الديري الحنفي بالقدس الشريف في يوم السبت رابع ذي الحجة، وهو على ولاية نظر القدس والخليل.

سألته عن مولده فقال: بالقدس الشريف في شعبان سنة سبع عشرة وثمانمائة. وأمه أم ولد، وكانت لديه فضيلة، وله نظر جيد، ويكتب الخط المنسوب، وعنده تكارم مع طيش وخفة وإظهار النعمة على ديون كان يتحملها، رحمه الله تعالى.

= الصافي مج ٢ ق ١٦٩ ب، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٢١، السخاوي. التبر المسبوك ص ٤٠١، الضوء اللامع ج ٤ ص ١٢ تر ٤٣، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٧.

(١) هو «عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن سعد بن أبي بكر»، له ترجمة في: ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ١ ص ٤٠٦ ـ ٤٠٧ تر ١٤٠٠، المنهل الصافي مج ٢ ق ٢١١أ، السخاوي. التبر المسبوك ص ٤٠٢، الضوء اللامع ج ٤ ص ١٣٤ ـ ١٣٥ تر ٣٥٣، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٨.

(٢٢) وتوفي بدمشق في هذه السنة - أيضاً - القاضي جمال الدين يوسف بن الصفي الكركي الأصل[١] .

ومولده بالكرك في حدود السبعين وسبعمائة - تقريباً - وقدم القاهرة فقيراً مملقاً قبل سنة ثمانين وسبعمائة، ثم عاد إلى بلده، ثم قدمها ثانياً في سنة اثنتين وتسعين في خدمة قاضي القضاة عماد الدين الكركي واستوطنها، ثم اتصل بخدمة التاجر برهان الدين إبراهيم المحلي فحسنت حاله عنده، ثم خدم بالطالع والنازل إلى أن ولي الوظائف الجليلة بالبلاد الشامية، ثم قدم القاهرة فولي بها كتابة السر بعد موت القاضي علم الدين داود بن الكويز في سنة ست وعشرين وثمانمائة ، فلم تطل مدته وعزل ولزم داره إلى أن ولي نظر جيش دمشق، بعد موت بدر الدين حسين في سنة إحدى وثلاثين، ثم أضيف إليه في بعض الأحيان كتابة سر دمشق، ثم استعفى عن ذلك كله لكبر سنه، ولزم داره بدمشق إلى أن [٢٣٣] مات في هذه // السنة، وخلف مالاً جزيلاً، وورثه ابنه موسى ناظر جيش طرابلس.

وكان عارياً من الفضيلة، عارفاً بقلم الديونة على عادة الأقباط، ومات وسنه نحو التسعين سنة، عفا الله عنا وعنه.

* * *

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ٢ ص ٨٠٢ تر ٢٦٩٨، المنهل الصافي مج ٣ ق ٣١٥، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٢١، السخاوي . التبر المسبوك ص ٤٢١، الضوء اللامع ج ١٠ ص ٣١٨ - ٣١٩ تر ١١٩٦ .

سنة سبع وخمسين وثمانمائة

أهلّت هذه السنة وسلطان الديار المصرية الملك الظاهر أبو سعيد جقمق العلائي الظاهري برقوق وهو متوعك، والخليفة القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة، وقضاة القضاة: الشافعي قاضي القضاة شرف الدين يحيى المناوي، والحنفي شيخ الإسلام سعد الدين ابن الديري، والمالكي قاضي القضاة ولي الدين السنباطي، والحنبلي قاضي القضاة بدر الدين ابن عبد المنعم البغدادي.

والأمراء: أتابك العساكر إينال العلائي الناصري، والمقام الفخري عثمان ابن السلطان، وأمير سلاح جرباش الكريمي الظاهري، وأمير مجلس تنم من عبد الرزاق المؤيدي، والأمير آخور [الكبير] قاني باي الجاركسي، ورأس نوبة النوب أسنبغا الطياري الناصري، والدوادار الكبير دولات باي المحمودي المؤيدي، وحاجب الحجاب خشقدم المؤيدي، وباقي مقدمي الألوف: تنبك البردبكي حاجب الحجاب - كان - وطوخ من تمراز الناصري، وجرباش المحمدي الناصري، وشاد الشراب خاناه يونس الآقبائي أمير طبلخاناه، والخازندار قراجا الظاهري بإمرة طبلخاناه، والزردكاش لاجين الظاهري أمير عشرة، ونائب القلعة يونس العلائي الناصري، والأمير آخور الثاني يَرْشْبَاي الإينالي المؤيدي، ورأس نوبة ثاني جانبك القرماني، والدوادار الثاني تمربغا[1] الظاهري على إمرة عشرة، والحاجب الثاني نوكار على إمرة عشرة ضعيفة،

(١) في هامش «أ»: «حاشية: صوابه تغري بِرْدي القلاوي».

والزمام والخازندار فيروز النوروزي، ومقدم المماليك مرجان العادلي المحمودي، ووالي القاهرة جانبك اليشبكي أمير عشرة.

ومباشروا الدولة: كاتب السر محب الدين ابن الأشقر، وناظر الجيش والخاص الصاحب جمال الدين يوسف بن كاتب جكم، والوزير الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم، والأستادار زين الدين يحيى - قريب ابن أبي الفرج - ونائب كاتب السر معين الدين ابن العجمي، وناظر الدولة فرج بن النحال[1]، وهو - أيضاً - كاتب المماليك السلطانية، ومحتسب القاهرة الشيخ علي العجمي الخراساني، وناظر الإسطبلات السلطانية // برهان الدين إبراهيم بن الديري. [٢٣٤]

نواب البلاد الشامية وغيرها: نائب الشام الأمير جلبان، ونائب حلب الأمير قاني باي الحمزاوي، ونائب طرابلس يشبك النوروزي، ونائب حماه حاج إينال اليشبكي، ونائب صفد بيغوث المؤيدي الأعرج، ونائب غزة جانبك التاجي المؤيدي، ونائب الكرك يشبك المؤيدي المعروف بطاز، ونائب ملطية جانبك الجكمي، ونائب الإسكندرية برسباي البجاسي، ونائب دمياط بيغوث المؤيدي، وباقي نواب القلاع يطول الشرح في ذكرهم، ومن ذكرناه هو المصطلح.

المحرم

أوله الجمعة.

في يوم الخميس سابعه أرجف بموت السلطان الملك الظاهر جقمق.

وفيه ورد الخبر بموت الشهابي أحمد بن أبي الفرج متولي قطيا.

وفي يوم السبت تاسعه خرج السلطان الملك الظاهر جقمق من قاعة الدهيشة إلى الدهيشة ماشياً وجلس من غير أن يستند إلى أحد، وعلم على عدة مناشير وقصص، ثم عاد إلى القاعة. وكان ذلك آخر خروجه إلى الدهيشة، واستمر متمرضاً بقاعة الدهيشة وهو يعلم في بعض الأحيان وينفذ في بعض الأمور، ودام على ذلك إلى ما سيأتي ذكره.

---

(١) في هامش «أ»: «حاشية: فرج بن النحال عزل عن نظر الدولة في ذي الحجة».

وفي هذه الأيام لهج بعض الناس بأن الملك الظاهر رسم بتوجه المقام الغرسي خليل ابن الملك الناصر فرج من عقبة إيلاء إلى القدس الشريف، ولم يكن لذلك حقيقة.

وفي يوم الأربعاء عشرينه وصل إلى القاهرة الأمير جانبك النوروزي مقدم المماليك السلطانية بمكة المشرفه بن معه من المماليك السلطانية، ودخل إلى الملك الظاهر جقمق إلى القاعة المذكورة، ثم خرج من عنده وقبل يد المقام الفخري عثمان ابن الملك الظاهر.

وفي اليوم - المذكور - تكلّم السلطان الملك الظاهر مع بعض خواصه في خلع نفسه من المملكة وسلطنة ولده المقام الفخري عثمان في حياته، فروجع في ذلك فلم يقبل، ورسم بجمع الخليفة والقضاة من الغد في يوم الخميس حادي عشرينه إلى الدهيشة وقت آذان الفجر، وبعده، وخلع الملك الظاهر جقمق نفسه وتسلطن ولده المقام الفخري عثمان.

* * *

[٢٣٥] سلطنة السلطان الملك المنصور // فخر الدين، أبي السعادات عثمان

أقيم في السلطنة بعد خلع أبيه الملك الظاهر جقمق في الثانية من يوم الخميس الحادي والعشرين من المحرم، فكانت البيعة بعد طلوع الشمس بخمسة وعشرين درجة، وركوبه من القصر إلى الدهيشة بأبهة السلطنة على نحو الثلاثين درجة، وكان الطالع عند بيعته برج الحوت على سبعة وعشرين درجة منه، والغارب برج السنبلة، والمتوسط برج القوس، والساعة ساعة المريخ، والقمر بالوجه الثالث من العقرب. وتوجه الأمراء، والخليفة القائم بأمر الله حمزة، والقضاة الأربعة[١] بين يديه مشاة ما عدا الخليفة، وجلس على تخت[٢] الملك، وقبل الأمراء الأرض بين يديه، وحمل الأمير الكبير إينال العلائي الناصري القبة والطير على رأسه إلى أن جلس بالقصر ـ المذكور ـ وخلع على الخليفة، وعلى الأمير الكبير كل منهما أطلسين مثمراً[٣]، وقيد لكل واحد منهما فرساً بسرج ذهب وكنبوش زركش، وأنعم على الخليفة بألف دينار وإقطاع زائد على ما بيده، واستمر الملك

---

(١) في « أ » : « الأربع ».

(٢) التخت : هو المقعد أو السرير الذي يجلس عليه السلطان في الإيوان والمواكب ، ويقال له : سرير الملك ، ويُتخذ من أبنية كالرخام ونحوه ، أو خشب ، أو فرش محشوة متراكبة ، ويكون مرفوعاً على هيئة منابر الجوامع إلا أنه مستند إلى الحائط ، حتى لا يتساوى الجالس عليه مع جلسائه ، وقد يبالغ في صنعه على نحو ما فعل « الظاهر بيبرس » من الجلوس في صدر الخيمة على تخت مصنوع من أبنوس وعاج مصفح بالذهب مسمر بالفضة ، غرم عليه ألف دينار .

راجع : القلقشندي . صبح الأعشى ج ١ ص ١٣٢ ـ ١٣٣ ، ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٦٦٧ .

(٣) في « أ » : «مشمر».

المنصور بالقصر إلى أن نزل الخليفة والأمراء إلى منازلهم، خرج هو - أيضاً - من بعدهم وتوجه من داخل القصر إلى منزله بالحوش السلطاني من القلعة، وهذا بخلاف العادة، فإن عادة الملوك يجلسون بالقصر ثلاثة أيام، فلم يفعل الملك المنصور ذلك ، بل توجه إلى منزله - حسبما ذكرناه.

ولم يدخل الدهيشة[1] - أيضاً - وإنما فعل ذلك مراعاة لوالده ، فإنه متمرض بقاعة الدهيشة . انتهى .

وفي يوم الجمعة ثاني عشرينه وصل الأمير دولات باي المحمودي المؤيدي الدوادار أمير حاج المحمل بالمحمل إلى بركة الحجاج ، ووصل - أيضاً - صحبته المقام الغرسي خليل ابن الملك الناصر فرج بن برقوق . وكان الركب الأول قد سبقه إلى بركة الحاج بيوم ، وكان أمير الركب الأول السيفي تمرباي الدوادار الثاني بخدمة دولات باي المذكور .

وفي يوم السبت ثالث عشرينه جلس السلطان الملك المنصور عثمان على الدكة الملاصقة لباب البحرة من الحوش السلطاني، وأخذ وأعطى، وحكم بين الرعية، وخلع على الأمير دولات باي، وعلى ولديه كل منهما كاملية بفرو سمور، ثم خلع على الأمير عيسى بن عمر الهواري أمير // العربان بالوجه [٢٣٦] القبلي، وعلى جماعة أخر من مشايخ العربان باستمرارهم على عادتهم.

وفي يوم الأحد رابع عشرينه طلع المقام الغرسي خليل ابن الملك الناصر فرج من تربة جده الملك الظاهر برقوق إلى القلعة، وسلم على السلطان الملك المنصور عثمان، فأخلع عليه كاملية صوف بنفسجي بمقلب سمور، ثم خرج المقام الغرسي من عند الملك المنصور وتوجه إلى الملك الظاهر جقمق، فدخل

---

(١) الدهيشة : قاعة كبيرة مرتفعة البناء ، كانت مفروشة بأنواع البسط والمقاعد الزركش ، بناها الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ، سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، وبلغ مصروفها خمسمائة ألف درهم ، سوى ما قدم من دمشق وحلب وغيرها من مستلزمات البناء .

راجع: المقريزي الخطط ج ٢ ص ٢١٢ ، السلوك ج ٢ ص ٢١٢، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ١٣٦ - ١٣٧ .

إليه وسلّم عليه كما فعل الأمير دولات باي بالأمس، ثم نزل وقد رسم له أن يسافر إلى ثغر دمياط من يومه .

وكان أولاً مقام الغرسي خليل بالإسكندرية، فاختار هو دمياط، فأنعم له بذلك، وسافر من يومه .

وفي يوم الاثنين خامس عشرينه أنعم السلطان الملك المنصور بإقطاعه الذي كان بيده في أيام والده الملك الظاهر جقمق على الأمير تنم من عبد الرزاق المؤيدي أمير مجلس، وأنعم بإقطاع الأمير تنم ـ المذكور ـ على الأمير يونس الآقبائي شاد الشراب خاناه، وصار الأمير يونس ـ المذكور ـ أمير مائة ومقدم ألف، وأنعم بإقطاع يونس ـ المذكور ـ وهي إمرة طبلخاناه على الأمير جانبك القرماني الظاهري برقوق أحد أمراء الطبلخاناه ورأس نوبة ثان[1]، وأنعم بإقطاع جانبك ـ المذكور ـ على الأمير يشبك الناصري أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، وأنعم بإقطاع الأمير يشبك ـ المذكور ـ على الأمير كزل السودوني المعلم، وكان لكزل ـ المذكور ـ مدة سنين بطالاً .

وفي يوم الثلاثاء سادس عشرينه حضر السلطان الملك المنصور عثمان خدمة القصر على العادة قديماً؛ فإن والده الملك الظاهر جقمق كان قد أبطل خدمة السبت والثلاثاء من القصر ـ حسبما ذكرناه في السنين الماضية في هذا الكتاب ـ ثم خرج الملك المنصور من القصر ودخل إلى البحرة من الحوش السلطاني بعدما خلع على الأمير لاجين الزردكاش باستقراره شاد الشراب خاناه عوضاً عن الأمير يونس بحكم انتقاله إلى تقدمة ألف، وخلع على الأمير جانبك الظاهري جقمق رأس نوبة باستقراره زردكاشاً عوضاً عن لاجين ـ المذكور.

[٢٣٧] ولما جلس الملك المنصور بالبحرة أرسل طلب إلى عنده مباشري الدولة// وحضر الأمير قاني باي الجاركسي أمير آخور، والأمير فيروز النوروزي الزمام والخازندار، وكلمهم في أمر النفقة، وطال جلوسهم عند السلطان إلى قريب

---

(١) في «أ» : «ثاني».

الزوال، ثم انفض المجلس على أن الصاحب جمال الدين يوسف ناظر الجيش والخاص يقوم من ماله بمائة ألف دينار للخزانة الشريفة برسم نفقة المماليك السلطانية، والتزم الزيني يحيى الأستادار بحمل ثلاثين ألف دينار بعد أمور، ووقع الاتفاق على صرف النفقة في أول شهر ربيع الأول، وذلك لعجز بيت المال عن القيام بنفقة المماليك السلطانية، فإن الملك الظاهر جقمق لم يدع في الخزانة شيئاً ، ولا الدرهم الفرد ، كل ذلك والملك الظاهر جقمق في قيد الحياة غير أنه على خطة.[1] .

وفي يوم الخميس ثامن عشرينه ، أخلع السلطان الملك المنصور عثمان على الأمير جانبك الظاهري جقمق بشد بندر جدة، على عادته في السنين الماضية.

وفيه - أيضاً - خلع السلطان على عدة من الخاصكية وندبهم للتوجه إلى البلاد الشامية، وعلى يدهم تقاليد النواب باستمرارهم، وهم: السيفي جانم البهلوان الأشرفي إلى نائب الشام الأمير جلبان، والسيفي طوخ الخاصكي النوروزي إلى نائب حلب الأمير قاني باي الحمزاوي، والسيفي برسباي الأشرفي الأمير آخور - كان - إلى نائب طرابلس الأمير يشبك النوروزي، والسيفي قايتباي الأشرفي إلى نائب حماه الأمير حاج إينال اليشبكي، والسيفي دولات باي إلى نائب صفد الأمير بيغوث الأعرج المؤيدي، والسيفي سودون يكرك - أعني مجرى باللغة التركية - إلى نائب غزة الأمير جانبك التاجي المؤيدي، وخشقدم السيفي قراجا إلى نائب الكرك والقدس، والسيفي إينال الظاهري جقمق إلى نائب الإسكندرية الأمير برسباي البجاسي، والسيفي تمر الأشرفي الخاصكي إلى نائب قلعة دمشق وقضاتها وأرباب وظائفها.

وفي يوم السبت سلخه[2] قبض السلطان الملك المنصور عثمان على الأمير زين الدين يحيي - قريب ابن أبي الفرج - الأستادار ورسم بالحوطة على جميع

---

(١) في هامش «أ»: «وفيه - أي يوم السبت ثامن عشرين صفر سنة سبع - عزل السلطان قاضي القضاة الشافعية يحيى المناوي، وولي قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني، بمبلغ يقال: إنه ثلاثة آلاف دينار». وقد أشير إلى أنها «حاشية».

(٢) أي في مرض الموت .

موجوده وحواشيه، واستقر الأمير جانبك الظاهري شاد [بندر] جدة في الأستادارية عوضه، وخلع عليه لوقته.

[٢٣٨] وسبب نكبة زين الدين // الأستادار - المذكور - عدم القيام بما التزمه لأجل نفقة المماليك، ولأمر غير ذلك ذكرناه في ترجمته في تاريخنا المسمى بالمنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، وسر الناس بالقبض على زين الدين - المذكور - سروراً زائداً؛ لأنه كان في أيام ولايته ظلم وعسف، وطال واستطال، واستولى على عدة إقطاعات للجند والأمراء، وعلى عدة جهات كالرزق الموقوفة على المساجد والربط، واخترع مظالم، وأحدث أموراً لم يفعلها أحد من قبله من الأستادارية، فلذلك كثر ماله وعمر العمائر الهائلة المشهورة به، وبنى الجوامع والربط والسبل من ذلك المال الخبيث، فإنه كان قبل ولايته الأستادارية فقيراً مملقاً لا يملك إلّا ما يتجمل به بين الناس لا غير، فعلم من ذلك أن جميع هذه العمائر من هذا المال الذي هو من دماء المسلمين، فللّه در القائل حيث يقول:

بنى جامعاً لله من غير ماله فكان بحمد الله غير موفق
كمطعمة الأيتام من كد فرجها لك الويل لا تزني ولا تتصدقي[1]
(الطويل)

وفيه أنعم الملك المنصور على الأمير بردبك البجمقدار - أحد أمراء العشرات ورأس نوبة - بإقطاع من الذخيرة، وأنعم بإقطاع بردبك - المذكور - على السيفي سودون من سلطان الخاصكي الظاهري جقمق رأسَ نوبة الجمدارية، وصار من جملة الأمراء، وأنعم السلطان - أيضاً - على السيفي جانبك القجماسي الأشرفي المعروف بدوادار سيدي بإمرة عشرة - أيضاً - مما كان في الذخيرة.

وفيه استقر الأمير قاني باي المؤيدي - أحد أمراء العشرات - من جملة رءوس النوب، وكذلك الأمير جاني بك من أمير الأشرفي استقر من جملة رءوس النوب.

وفي آخر هذا اليوم تسلّم الأمير جانبك الظاهري - زين الدين الأستادار

(١) في «أ»: «ولا تتصدق».

من القلعة، ونزل به إلى داره على أنه يعاقبه ويقوم بنفقة المماليك بما يأخذه منه في مصادرته.

وتسلَّم - أيضاً - صهره تاج الدين ابن المقسي وطواشيه، وأخذهم الجميع إلى داره.

وأصبح الأمير جانبك من الغد أخبر السلطان أن زين الدين الأستادار أقر أن في حاصله مائة ألف دينار، وأنه وجد منها أربعة وأربعين ألف دينار، وأنه في طلب الباقي.

صفر

أوله الأحد.

في يوم // الاثنين ثانيه أخلع الملك المنصور على الأمير الطواشي فيروز [٢٣٩] النوروزي الزمام والخازندار بعود الذخيرة إليه.

وفيه وجد لزين الدين الأستادار في قاعته بدرب شمس الدولة من القاهرة سبعة وأربعون ألف دينار، فصار الجملة نيفاً وتسعين ألف دينار.

وفيه أخلع السلطان على الأمير قشتم المحمودي الناصري بنيابة البحيرة على عادته أولاً.

وفيه أنعم السلطان على السيفي قانصوه المحمدي الأشرفي بإمرة عشرة مما كان - أيضاً - متوفراً.

وفي يوم الاثنين - هذا - توفي الملك الظاهر أبو سعيد جقمق العلائي الظاهري برقوق بين المغرب والعشاء، فبات تلك الليلة والعزاء[١] حوله إلى أن جهز من الغد وصلى عليه بمصلاة باب القلة بالقلعة، وحضر ولده السلطان الملك المنصور عثمان الصلاة عليه، وصلى عليه الخليفة القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة، فكان يوماً مشهوداً لم نر لملك جنازة كجنازته لعدم الغوغاء وكثرة الناس

(١) في «أ»: العزي».

والخفر الذي حصل على جنازته، بخلاف جنائز الملوك. كل ذلك لكون ولده تسلطن في حياته.

ودفن بتربة الأمير قاني باي الجاركسي الأمير[1] آخور التي جددها وأنشأها عند دار الضيافة بالقرب من قلعة الجبل، ومات وسنه نيف على التسعين سنة، رحمه الله.

وفيه استقر القاضي أبو الفضل ابن كاتب السعدي ناظر ديوان[2] المفرد.

وفي يوم الأربعاء رابعه نودي بالأمان والنفقة للمماليك السلطانية في آخر الشهر - أعني صفر هذا.

وفيه نقل زين الدين الأستادار من بيت الأمير جانبك الأستادار إلى القلعة بطبقة الأمير قراجا الخازندار على أنه يقوم بخمسمائة ألف دينار، ثم استقر الحال في الغد - أي يوم الخميس - على ثلاثمائة ألف دينار، خارجاً عن المبلغ المتقدم الذي أخذ منه قبل تاريخه، وهو النيف على التسعين ألف دينار، فتكون الجملة أربعمائة ألف دينار.

وفي يوم الخميس - هذا - وقف بعض العوام تجاه باب المدرج - أحد أبواب قلعة الجبل - إلى أن ينزل الناصري محمد بن أبي الفرج نقيب الجيش فرجموه وأفحشوا في أمره، كما فعلوا معه ذلك - أيضاً - في أمسه، فنزل ابن أبي الفرج - المذكور - إلى بيت الأمير تمربغا الدوادار الثاني، // [٢٤٠] ثم شكا إلى السلطان ما وقع به، فنودي بأن لا يقف أحد عند باب المدرج من العوام، ومن وقف وقع به ما هو كيت وكيت من أنواع العذاب.

وفي يوم السبت سابعه خلع السلطان على الشيخ على المحتسب، وعلى الأمير جانبك اليشبكي والي القاهرة، وعلي الناصري محمد نقيب الجيش باستمرارهم على وظائفهم.

وفي يوم الاثنين تاسعه خلع السلطان الملك المنصور عثمان علي الأمير قراجا

---

(١) «الأمير»: مكرر في «أ».

(٢) «ديوان»: مكرر في «أ».

العمري - المتولي قبل تاريخه نيابة بعلبك - باستقراره كاشف الشرقية بالوجه البحري من أعمال القاهرة عوضاً عن عبد الله الكاشف، وأراح الله المسلمين من عبد الله - المذكور - فإنه كان بئس الرجل سيرة وفعلاً، ظلم وعسف في ولايته، وطالت أيامه، وقاست أهل تلك النواحي منه شدائد، ألا لعنة الله على الظالمين.

وفيه أخلع علي يوسف شاه العلمي معلم المعمارية باستمراره على وظيفته.

وفيه عوقب زين الدين يحيى الأستادار وعصر بالمعاصير ، وضرب على سائر أعضائه ، وحضر الناصري محمد بن أبي الفرج نقيب الجيوش المنصورة عصره ؛ فإن السلطان كان ألزم نقيب الجيش - المذكور - أن يتولى عقوبة زين الدين ، وقال له : ما أعرف الخمسمائة ألف دينار إلاّ منك ، فلهذا صار نقيب الجيش يتولى عقوبته .

ثم عوقب زين الدين من الغد ثانياً، واستمر في المصادرة والعقوبة إلى ما سيأتي ذكره.

وفي يوم الثلاثاء عاشره استقر زين الدين فرج بن النحال كاتب المماليك السلطانية ناظر ديوان المفرد، عوضاً عن أبي الفضل ابن الحكيم المستقر في الوظيفة قبل تاريخه بمدة يسيرة.

وفيه استقر تنم رصاص الخاصكي شاد بندر جدة عوضاً عن الأمير جانبك الأستادار.

وفي يوم الخميس ثاني عشره قبض السلطان الملك المنصور عثمان على جماعة من الأمراء المؤيدية، وهم: الأمير دولات باي المؤيدي المحمودي الدوادار الكبير، والأمير يرشباي الإينالي المؤيدي الأمير آخور الثاني وأحد أمراء الطبلخاناه، والأمير يلباي الإينالي المؤيدي رأس نوبة وأحد أمراء العشرينات. وكان مسك دولات باي من قاعة الدهيشة، ويرشباي من الإسطبل السلطاني، ويلباي من سوق الخيل، // وقيدوا الجميع وداموا بالقلعة، إلى بعد أذان الظهر [٢٤١

أنزلوا بالقيود على البغال والأوجاقية[1] خلفهم على العادة، والمماليك الأشرفية من الخاصكية وغيرهم بالسيوف والرماح والدرق تمشي حولهم إلى أن أوصلوهم إلى بحر النيل، ولم يكن معهم من الأمراء المقدمين سوى الأمير أسنبغا الطياري رأس نوبة النوب، والأمير خشقدم المؤيدي حاجب الحجاب، وسافروا من ساعتهم إلى ثغر الإسكندرية، وحصل للمماليك الأشرفية بالقبض على هؤلاء المؤيدية سرور[2] زائداً إلى الغاية .

قلت: وهكذا شأن الدنيا، فإني رأيت جماعة المؤيدية تمشي مع الأمراء الأشرفية الذين قبض عليهم الملك الظاهر جقمق في سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة على هذه الهيئة بعينها ، فكما تدين تدان ، فلا شك أنهم جوزوا من جنس عملهم .

وكان مسفر الأمير دولات باي الأمير جانبك الظاهري جقمق الزردكاش ، وقد استقر نائب الإسكندرية في الباطن عوضاً عن برسباي البجاسي بحكم عزله ، ثم حمل إليه التقليد بعد يومين .

وكان مسفر يرشباي الأمير سودون من سـ 'طان الظاهري الذي تـأمر عشرة من أمسه في هذه الدولة .

وتوجه ـ أيضاً ـ معهم من المماليك السلطانية نحو المائة مملوك.

قلت : وبمسك هؤلاء الأمراء اتضع أمر المؤيدية وارتفع حال الأشرفية.

وفي يوم الاثنين سادس عشره أنعم السلطان على الأمير قرقماس قريب الملك الأشرف بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية عوضاً عن الأمير دولات باي المحمودي المؤيدي الدوادار، وأنعم بإمرة قرقماس ـ المذكور ـ وهي إمرة طبلخاناه على جانبك النوروزي رأس نوبة وأحد أمراء العشرات، والقادم من مكة المشرفة في موسم هذه السنة.

وفيه استقر الأمير تمربغا الدوادار الثاني في الدوادارية الكبرى عوضاً عن

(١) الأوْجَاقيّ : هو الذي يتولى ركوب الخيل للتسيير والرياضة ـ راجع : القلقشندي . صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٤ .

(٢) في الأصل : « سروراً» .

دولات باي - المذكور - وأنعم عليه زيادة على ما بيده بإقطاع الأمير يرشباي الأمير آخور الثاني المقبوض عليه، والإقطاع إمرة أربعين، وكان بيده إمرة عشرة وزيادة، ثم أنعم عليه بالإقطاع - المذكور - وهو طبلخاناه، فصار جميع ما بيده نحو التقدمة //، لكن استرجع منه إمرة عشرة بعد ذلك يشبك الظاهري، [٢٤٢] ودقت الطبلخاناه على بابه؛ واستقر الأمير أسنباي الجمالي الظاهري أحد أمراء العشرات دواداراً ثانياً عوضاً عن تمربغا الدوادار - المذكور - على إقطاعه، إمرة عشرة من غير زيادة كما كان تمربغا أولاً.

وفيه استقر الأمير سنقر الأمير آخور الثالث أمير آخورا ثانياً عوضاً عن يرشباي على إقطاعه إمرة عشرة من غير زيادة، واستقر الأمير بردبك الظاهري أحد أمراء العشرات أميراً آخورا ثالثاً عوضاً عن سنقر المذكور.

وفيه استقر الأمير جانبك اليشبكي أحد أمراء العشرات ووالي القاهرة زردكاشاً كبيراً، عوضاً عن الأمير قرا جانبك المتولي نيابة الإسكندرية في أمسه، مضافاً إلى ما بيده من ولاية القاهرة والحجوبية وشد الدواوين، وما مع ذلك.

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشره أنعم السلطان على الأمير سونجبغا اليونسي الناصري ورأس نوبة بإقطاع الأمير يلباي الإينالي بحكم القبض عليه، وأنعم بإقطاع سونجبغا - المذكور - وإقطاع الأمير جانبك النوروزي نائب بعلبك على جماعة من الخاصكية، كل منهم أمير عشرة، وهم: السيفي قانبك (و) السيفي يشبك من أزدمر الدوادار والسيفي قوزي الساقي الظاهري جقمق والسيفي يشبك البجمقدار الظاهري جقمق.

واستقر سنبطاي الظاهري ساقياً عوضاً عن قوزي، واستقر خير بك الأشرفي دوادارا عوضاً عن قانبك.

وفيه عوقب زين الدين الأستادار أشد عقوبة حتى أشرف على الهلاك وهو لا يتكلم غير كلامه الأول، وهو يقول: لا أملك إلا ما هو مكتوب في أيديكم.

هذا والبيع مستمر في أمتعته وأملاكه في كـل يوم في الاسـواق ، وإلى الآن لم يغلق ما أورده مائتي ألف دينار .

وفي هذه الأيام كثر إلحاح المماليك على السلطان في طلب إقطاعات الفقهاء والمتعممين.

وكان سبب تجرئهم على ذلك إخراج السلطان لإقطاعات زين الدين الأستادار الموقوفة عليه وعلى جوامعه ومساجده، وكان ذلك شيئاً كثيراً، حتى إنه فرق على خلق كثير من المماليك السلطانية.

[٢٤٣] وفيه استعفى الوزير الأمير تغري بردى القلاوي الظاهري // جقمق عن الـوزر، فأعفى على أنه يقوم بالكلف السلطانية في يومه ومن الغد.

وفي يوم الأربعاء ثامن عشره وقف مماليك زين الدين الأستادار إلى السلطان، وكانوا زيادة على ثمانين مملوكـاً، وهؤلاء غير الكتـابية الصغـار؛ وهذا شـيء لم نعهده لمتعمم، فأبقى السلطان منهم نحو الثلاثين مملوكاً في بيت السلطان على جوامكهم ، وقطع من بقي ، وأمر بصرف الجميع .

وفيه عقد مجلس بالقضاة الأربعة بين يدي السلطان بسبب أملاك زين الدين الموقوفة عليه وعلى جوامعه ومساجده وربطه وعلى وجوه البر والصدقة.

وسبب ذلك أمر، وهو أن زين الدين كان قد وعد السلطان الملك الظاهر جقمق بأن يفضل له بعض جوامك المماليك في كل شهر أكثر من عشرة آلاف دينار أو شـيء من هذا المعنى، ثم سكت الملك الظاهر عنه وجرى ما جرى، فبلغ الملك المنصور ذلك، فنـدب القاضي شـرف الدين مـوسى التتائي وكيـل بيت المال بأن يـدعي عـلى زين الـدين ـ المـذكـور ـ بـألف ألف دينـار وتسعمـائـة ألف دينار وثلاثين ألف دينار على ما قيل، فأرسل القاضي الشـافعي من المجلس جماعـة من موقعي الحكم حتى يسمع جوابه، فقال زين الدين: ما عندي إلا ألفا ألف دينار، فشهد الموقعون عليه بذلك، وعادوا بالخبر إلى السلطان والقضاة، فقال القاضي شرف الدين يحيى المناوي لشيخ الإسلام قاضي القضاة سعد الدين الديري الحنفي: ما تقول يا مولانا شيخ الإسلام في أملاكه وأوقافه؟ فقال: قد

ثبت عندي أوقافه، وحكمت بها من مدة طويلة، لكني أبقيت الخلاف ولم أحكم إلا على مقتضى مذهبي. فقال بعض من حضر: هذا لما وقف كانت ذمته مشغولة بأزيد من مائة ألف دينار، فالوقف غير صحيح. ثم انفض المجلس وقد ألزم قاضي القضاة ولي الدين السنباطي المالكي بالحكم في حل أوقافه بهذا المقتضى، وحكم بعد ذلك وأبيعت أوقافه، واستمر في المصادرة إلى ما سيأتي ذكره.

وفي يوم الخميس تاسع عشره خلع السلطان الملك المنصور عثمان على الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم بإعادته إلى الوزر عوضاً عن الأمير تغري بردي القلاوي الظاهري جقمق، واستقر القلاوي في كشف الوجه // [٢٤٤] القبلي[١].

وفي يوم السبت حادي عشرينه عمل السلطان الخدمة بالحوش السلطاني بسبب قصاد الحبشة.

وفي يوم الاثنين ثالث عشرينه رسم السلطان الملك المنصور للأمير جرباش الكريمي الظاهري برقوق أمير سلاح المعروف بقاشق بأن يلزم داره بحكم كبر سنه وعجزه عن الحركة، وأنعم بإقطاعه على الأمير قراجا الظاهري جقمق الخازندار، وأنعم بإقطاع قراجا ووظيفته على الأمير أزبك من ططخ الظاهري الساقي أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، وأنعم بإقطاع أزبك على الأمير بتخاص العثماني الظاهري برقوق.

وفيه ـ أيضاً ـ استقر الأمير تنم من عبد الرزاق المؤيدي أمير مجلس ـ أمير سلاح عوضاً عن الأمير جرباش الكريمي المقدم ذكره.

وفيه خلع على الأمير تمربغا الدوادار الكبير خلعة الإنظار على عادة الدوادارية من قبله.

وفي يوم الثلاثاء رابع عشرينه استقر الأمير تنبك البردبكي الظاهري برقوق أمير مجلس، عوضاً عن الأمير تنم المنتقل إلى إمرة سلاح في أمسه.

---

(١) في هامش «أ»: «حاشية: يعني البهنساوية».

وفيه عزل السلطان جماعة من البوابين[1] الخاصكية المؤيدية ، وولى عوضهم جماعة من الخاصكية من حاشيته . وكلما وقع شيء من ذلك انحط قدر المؤيدية في الدولة .

وفي يوم الأربعاء خامس عشرينه وصل إلى القاهرة مملوك الأمير قاني باي الحمزاوي نائب حلب وصحبته - أيضاً - مملوك حاجبها ونائب قلعتها، وقبلوا الأرض بين يدي السلطان الملك المنصور عثمان، وأخبر مملوك نائب حلب - المذكور - أن مخدومه الأمير قاني باي نائب حلب قبل الأرض للسلطان وابتهج بسلطنته وسر بذلك سروراً زائداً، وأنه مملوكه ومملوك والده الملك الظاهر - رحمه الله - فرحب السلطان به وبرفيقيه، ونزلوا إلى محل إقامتهم.

وفيه ورد الخبر من حلب المحروسة - أيضاً - أنه ثبت على القاضي محب الدين ابن الشحنة مبلغ بمحضر - ستين ألف دينار - مما تناوله في أيام ولايته من ريع الأوقاف التي تحت نظره وغيرها بغير طريق شرعي.

وفي يوم الخميس سادس عشرينه قرىء تقليد السلطان الملك المنصور عثمان بالقصر الكبير السلطاني من قلعة الجبل، فجلس السلطان على كرسي الملك، وجلس الخليفة القائم بأمر الله أبي البقاء حمزة، والقضاة الأربعة[2] [٢٤٥] تحت، وقرأه // القاضي محب الدين ابن الأشقر كاتب السر الشريف إلى أن نجز من قراءته خلع السلطان عليه كاملية خضراء بمقلب سمور، ثم خلع على الخليفة فوقاني بطرز زركش، وخلع على القضاة الأربعة[3].

وفيه خلع علي القاضي تقي الدين عبد الرحمن بن نصر الله بنظر بندر جدة على عادته .

وفي يوم السبت ثامن عشرينه خلع السلطان على شيخ الإسلام علم الدين صالح البلقيني بقضاء الشافعي بالديار المصرية، بعد عزل القاضي شرف

---

(١) البوابون : واحدهم بابا ، وهو لقب عام لجميع رجال الطست خاناه ، ممن يتعاطى الغسل والصقل وغير ذلك - راجع : القلقشندي . صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٧٠ .

(٢) في « أ »: «الأربع».

(٣) نفسه.

الدين يحيى المناوي، ونزل إلى داره وبين يديه وجوه الدولة، وقد ازدحم الناس لرؤيته، وكان يوماً مشهوداً.

وفيه أعيد عبد الله الكاشف لولاية الكشف بالشرقية، وعزل الأمير قراجا العمري.

وفيه استقر السيفي يشبك القرمي والي القاهرة، عوضاً عن الأمير جانبك اليشبكي بحكم رغبته عنها.

شهر ربيع الأول

أوله الاثنين.

فيه كان ابتداء الوقعة التي خلع فيها الملك المنصور عثمان من السلطنة. وسبب ذلك، أنه لما كان يوم الاثنين - المذكور - أمر السلطان الملك المنصور فيه بالنفقة على المماليك، وبات السلطان ليلة الاثنين بالحريم، وأبطل خدمة القصر، وباتوا الأمراء في دورهم، فلما كان وقت السحر ركب الجميع وأرادوا الطلوع إلى القلعة فأحاط بهم المماليك السلطانية ومنعوهم من الطلوع ما خلا الأمير تنم من عبد الرزاق أمير سلاح فإنه بدر بالطلوع وفاتهم، فرجع الأمير الكبير إينال العلائي إلى بيته ومعه أمراء الألوف بأجمعهم والقوم حولهم، والمقدمون هم: الأمير تنبك أمير مجلس، والأمير أسنبغا الطياري رأس نوبة النوب، والأمير خشقدم حاجب الحجاب، والأمير جرباش المحمدي كرد، والأمير يونس المشد، والأمير طوخ من تمراز، والأمير قرقماس الأشرفي، والأمير الكبير إينال المذكور.

ثم بعد ساعة هينة قبض فرقة من المماليك السلطانية - أيضاً - على الأمير قراجا الخازندار أحد مقدمي الألوف - أيضاً - وأتوا به إلى بيت الأمير الكبير، فصار جملة مقدمي الألوف تسعة، إلا أن قراجا أمسك وحبس بمكان هو والأمير تغري بردي المعزول عن الوزر والأمير بردبك الأمير آخور الثالث.

ثم تكاثر الجمع عند الأمير الكبير من الأمراء الطبلخانات والعشرات

والخاصكية والمماليك ولازالوا به حتى وافقهم على الركوب، ولبس آلة الحرب، ولبس الجميع آلة القتال وتحالفوا // على خلاف الملك المنصور عثمان [٢٤٦] وحواشيه وموافقة الأمير الكبير إينال العلائي.

وانتقل الأمير الكبير بمن معه من بيته تجاه الكبش إلى البيت المعد قديماً لسكني من يلي الإمرة الكبرى في العادة تجاه قلعة الجبل، أعني بيت قوصون.

وكان سبب تغير المماليك السلطانية أنه بلغهم أن السلطان يريد (أن) يفرق النفقة على أقوام بالكامل، وعلى أقوام بحكم النصف، وعلى آخرين بحكم الربع، وقيل: إن النفقة كانت مبلغ سبعة وعشرين ألف درهم التي كان أمر بتفريقها، فعلم كمية النصف والربع، فلما بلغ ذلك المماليك السلطانية عظم عليهم ما سمعوا وتوغرت خواطرهم، ثم بلغهم خبر آخر، وهو أنه قيل لهم: إن السلطان كان اتفق مع حواشيه ومماليك أبيه الظاهرية أنه يقبض على جماعة كثيرة من الأمراء والخاصكية، فثاروا عليه بهذا المقتضى.

وقبل أن يخرج الأمير الكبير من بيته حلف جميع الأمراء على طاعته، وكانوا جمعاً كبيراً، وأرسل عدة من المماليك السلطانية ليحضروا الخليفة إلى عنده فحضر الخليفة، ثم ساروا إلى البيت ـ المذكور ـ تجاه القلعة وشرعوا في القتال، واستعد الملك المنصور ـ أيضاً ـ لقتالهم، ونزل إلى المقعد بباب السلسلة، وترامى الفريقان بالنبل والمكاحل، وقتل بينهم خلق كثير من الزعر والمتفرجين وغيرهم، وهذا بعد أن أرسل الأمير الكبير إلى السلطان مع الأمير سونجبغا اليونسي والأمير نوكار الحاجب الثاني وبردبك دواداره يطلب منه أن يرسل إليه جماعة من الأمراء، وهم: الأمير تمربغا الدوادار الكبير، والأمير أسنباي الجمالي الدوادار الثاني، والأمير لاجين شاد الشراب خاناه، فأبي السلطان تسليمهم، فأعادهم مرة ثانية، فأبي السلطان ـ أيضاً ـ وعوق عنده سونجبغا ـ المذكور ـ ونوكار، ، وأرسل بردبك دوادار الأمير الكبير وصهره، فعند ذلك وقع القتال واشتد (ت) الحرب.

ولما كان وقت الظهر من اليوم المذكور رسم الأمير الكبير بأن تنقب مدرسة

السلطان حسن ، فنقبوا نقباً من جهة حدرة البقر[1] ودخلوا منه إلى المدرسة ـ المذكورة ـ وعمروا سلم السطح ، وتوصلوا منه إلى المآذن[2] ورموا على القلعة .

واستفحل أمر الأمير الكبير بأخذ المدرسة ـ المذكورة ـ واستمر أمره في كل يوم في نمو، وأمر الملك المنصور ومن معه من مماليك أبيه وغيرهم في إدبار، ودام القتال إلى ليلة الأربعاء، نزل إليهم من القلعة الأمير جانبك الظاهري جقمق الأستادار // والأمير بردبك الظاهري جقمق البجمقدار أحد أمراء العشرات [٢٤٧] ورأس نوبة، واستمر نزول الخاصكية والمماليك في كل يوم من عند الملك المنصور إلى عند الأمير الكبير، يدخلون تحت طاعته، فقوى بذلك جيش الأمير الكبير وكثر حزبه حتى تزايد عن الحد، ولعله صار بقدر من عند الملك المنصور ثلاث مرار.

هذا والخليفة القائم بأمر الله حمزة مقيم عند الأمير الكبير، وقد أرسل أحضر جميع أقاربه خوفاً من أن يطلع منهم أحد إلى القلعة، وقد أشيع بين الناس أن الخليفة خلع الملك المنصور من السلطنة .

ولما كان يوم الخميس رابعه نزل من عند السلطان إلى الأمير الكبير الأمير سونجبغا اليونسي رأس نوبة، والأمير نوكار الحاجب الثاني، والزيني عبد الرحمن ابن الكويز، وشهاب الدين الإخميمي الإمام ؛ ومشوا في الصلح ونزلوا معهم بمنديل الأمان إلى الأمير الكبير.

وكان متكلم القوم الإخميمي، وترددوا مرتين، وكثر الكلام بين الفريقين، وطلب الأمير الكبير جماعة من السلطان وطلب السلطان جماعة منه، وآخر الأمر انفصل المجلس على غير صلح، وعوق الأمير الكبير عنده سونجبغا ونوكار، وأرسل الإخميمي وحده، فعاد القتال في الحال على العادة.

---

(١) حدرة البقر : مكانها الآن شارع المظفر ، ابتداء بالسيوفية وانتهاء بحديقة مسجد السلطان حسن ـ راجع : علي مبارك. الخطط ج ٢ ص ١٥٧ .

(٢) في « أ »: « الموازن ».

فلما وقع ذلك التفت الخليفة إلى الأمير الكبير وسأله بالسلطنة، فامتنع امتناعاً هيناً، ثم أجاب بعد ذلك، بعد أن سأل الخليفة الأمراء والمماليك عن سلطنته فقال الجميع بلسان واحد: نحن راضون بالأمير الكبير.

وصرحوا بذلك غير مرة، وقبل بعض الخاصكية الأرض بين يديه، وقال الخليفة: قد خلعت الملك المنصور، وكرر ذلك غير مرة بحضرة الملأ من الناس.

وأصبح يوم الجمعة خامسه حضر الصاحب جمال الدين ناظر الخاص والجيش، ثم حضرت القضاة عند الأمير الكبير بالمقعد، وشاهدوا الرمي بالمدافع والنفوط والنشاب من القلعة على الخليفة والأمير الكبير ، حتى إن بعض الرمى بالمكاحل وصل إلى باب السر الذي بالشارع عند حدرة البقر ، بل وعدى الباب ووصل إلى الدور المجاورة للباب .

ولما حضرت القضاة عند الخليفة والأمير الكبير تكلموا في خلع الملك المنصور عثمان، وأطالوا الكلام إلى أن طلبوا بدر الدين ابن المصري أحد موقعي الدست، وأملاه قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني ألفاظاً كتبها تتضمن خلع الملك المنصور من السلطنة، ذكر فيها نحوا مما حكيناه في هذه الأيام، ثم أمره بأن يثب قائماً على رجليه ويقرأها بأعلى // صوته، فنهض قائماً وقرأها على [٢٤٨] العسكر، وخلع الملك المنصور عثمان من السلطنة. وكان ذلك الوقت في أوائل الساعة الثالثة - تقريباً - من يوم الجمعة - المذكور - فكانت مدة سلطنته ثلاثة وأربعين يوماً ، وترشح الأمير الكبير للسلطنة ، بل صرح له الخليفة والقضاة بذلك لما قرئت الورقة على العسكر ، فإن قاضي القضاة علم الدين صالح سأل العسكر عن سلطنته ثلاث مرات ، فصاحوا كما صاحوا أولاً ، ولقب بالملك الأشرف ، لكنه لم يلبس شعار الملك ولا أبهة السلطنة ، وصار الناس في مخاطبته على أقسام ، فمن الناس من يقول : أغاه ، ومنهم من يقول : خوند ، ومنهم من يقول : الأمير الكبير ، ومنهم من يقول : يا مولانا السلطان .

واستمرت القضاة عنده، وطلب النجارين فصنعوا منبراً في الحال وأحضروا كرسياً، وخطب بهم في المقعد من البيت - المذكور - قاضي القضاة علم الدين صالح وصلى بهم الجمعة، ثم انصرفوا بعد الصلاة إلى منازلهم.

هذا والقتال عمال في كل يوم، وقتل من الفريقين خلائق.

وفي هذا اليوم وقت الضحوة منه، مرض الأمير أسنبغا الطياري رأس نوبة النوب، وقام من مجلس الأمير الكبير وعليه آلة السلاح بعد أن رمل على علامة (الأمير) الكبير التي كتبها على المراسيم، ودخل إلى البيت وقلع آلة الحرب ولزم الفراش إلى أن مات بعد نصف ليلة السبت، فكان مرضه يوماً واحداً، وغسل في مكانه، وصلى عليه الخليفة والقضاة بمقعد الأمير الكبير، ودفن من يومه بالصحراء.

وكان من محاسن الدنيا، تأتي ترجمته إن شاء الله في آخر هذه السنة مع من توفي بها.

ولما أصبح يوم السبت سادسه، حضرت القضاة وناظر الخواص والجيش وكاتب السر القاضي محب الدين ابن الأشقر، وكتبوا محضراً يتضمن ما وقع في أمسه من خلع الملك المنصور، وحكوا فيه الواقعة من أولها من ركوب المماليك السلطانية وأخذهم الأمير الكبير إلى آخرها، وشهد في المحضر الأمير جانبك الأستادار والأمير بردبك البجمقدار، وشهادتها: أن السلطان الملك المنصور حصل منه قلة أدب في حق الخليفة، ومسك قصاده - أعني سونجبغا ونوكار - وأشياء من // هذا النمط، وحكموا فيه القضاة. [٢٤٩]

وطلب[١] الأمراء من الأمير الكبير أن يلبس السواد الخليفتي ويجلس على سرير الملك، فأبى وقال: في غير هذا الوقت.

وأخذ الأمير الكبير في التحريض على القبض على من يطلع إلى القلعة من العوام بالمآكل، وضرب جماعة كبيرة بالمقارع والعصي بسبب ذلك، ورتب الأمراء المقدمين على المواضع والمخارص التي يطلع منها إلى القلعة، فقعد الأمير خشقدم حاجب الحجاب بجماعة بباب القرافة، والأمير طوخ من تمراز بالمسجد الذي عمره قاني باي الجاركسي والحمامين، وقعد الأمير قرقماس الأشرفي ببيت الأمير نوروز الحافظي تجاه القلعة، وجماعة كثيرة من أمراء الطبلخانات والعشرات

---

(١) في «أ»: وطلبت».

بالمواضع ، مثل صهريج منجك[1] وباب الوزير وقبو السلطان حسن وسويقة منعم وغير ذلك

ووقع في اليوم ـ المذكور ـ قتال شديد بين الفريقين مواجهة وبالنبال، وقتل عدة أناس.

هذا وخيربك القصروي الذي ولاه الأمير الكبير قبل تاريخه والي القاهرة يشتد في طلب الزعر ومن طلع إلى القلعة من العوام بالمأكل، ونقيب الجيش الناصري محمد بن أبي الفرج واقف بين يدي الأمير الكبير وعليه آلة الحرب وبيده عصا ينفذ الأحكام. وصارت الأمراء الألوف تخاطب الأمير الكبير وقوفاً وهو لا يقوم لأحد منهم إلاّ في النادر.

هذا وعسكر الملك المنصور لا يمل ولا يكل من القتال والرمي بالنبال والأسهم الخطائية[1] والمكاحل والمدافع والنفوط ، حتى أبادوا عسكر الأمير الكبير وأحرموا أحداً من عسكره أن يظهر من بيت الأمير الكبير .

على أنه لم يكن عنده من المقاتلين إلاّ جانب يسير من الأمراء والجند ، وغالب من عنده من مماليك أبيه .

وعنده من الأجانب الأمير تنم من عبد الرزاق المؤيدي أمير سلاح، فهذا من مقدمي الألوف لا غير، والأمير كزل السودوني المعلم، أحد أمراء العشرات، والأمير مغلباي الشهابي، أحد أمراء العشرات ـ أيضاً ـ والأمير يونس العلائي نائب قلعة الجبل، والجميع في الترسيم بالحشمة.

وأما من بقي من حواشيه من الأمراء فهم: الأمير قاني باي الجاركسي الأمير آخور الكبير ـ وهو مملوك عم الملك المنصور «الأمير جاركس المصارع // [٢٥٠

---

(١) صهريج منجك : جامع تحت القلعة ، خارج باب الوزير ، أنشأه الأمير « سيف الدين منجك اليوسفي » سنة إحدى وخمسين وسبعمائة للهجرة ، وصنع فيه صهريجاً ، فصار يعرف به.
راجع : علي باشا مبارك . الخطط ج ٥ ص ٢٨٠ ـ ٢٨١ .

(٢) السهام الخطائية : أشار القلقشندي (صبح الأعشى ج ٢ ص ١٤٤) إلى أنها « سهام عظام ، يرمى بها عن قسي عظام توتر بلوالب بجربها ويرمى عنها ، فتكاد تحرق الحجر ».

القاسمي» - والأمير تمربغا الظاهري الدوادار الكبير، أحد أمراء الطبلخانات، والأمير لاجين الظاهري، شاد الشراب خاناه ولالاة السلطان، والأمير أسنباي الجمالي الدوادار الثاني، أحد أمراء العشرات، والأمير أزبك من ططخ الظاهري الخازندار، أحد أمراء الطبلخانات وصِهر السلطان - زوج أخته - والأمير سنقر الظاهري آستادار الصحبة - وهو في ترسيم الحشمة أيضاً - والأمير جانم الظاهري الساقي، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، والأمير قوزي الساقي، أحد أمراء العشرات، والأمير سودون الظاهري أحد أمراء العشرات ورأس نوبة ، والأمير جانبك البواب الظاهري. وهؤلاء الثلاثة تأمّروا في الدولة المنصورية، فهم كالأجناد.

وباقي من عنده خاصكية ومماليك، ولعلهم أقل من ألف نفر، والله أعلم.

وفي يوم الأحد سابعه، رتَّب الأمير الكبير عدة من الأمراء على المواضع التي يتوصل منها إلى القلعة.

واستمر الحال إلى قريب الظهر، ظهر جماعة من عسكر الأمير الكبير إلى جهة سبيل المؤمني، فخرج جماعة من السلطانية ورمى عليهم - أيضاً - جماعة من القلعة، وتقاتلوا قتالاً شديداً بالرماح والسيوف والأطبار، وافترقوا غير مرة والتقوا غير مرة، حتى أردف عسكر الأمير الكبير الأمير طوخ من تمراز من مكانه الذي أكمن فيه عند زاوية الأمير قاني باي الجاركسي وحماميه. والتحم القتال معهم، وقبض السلطانية على السيفي طقتمر البارزي الخاصكي رأس نوبة وقتلوه صبراً تهبيراً بالسيوف، وقتل جماعة أخر من الطائفتين إلى أن ملك عسكر الأمير الكبير سبيل المؤمني من عسكر المنصور الذي بالقلعة، وأطلقوا في البيوت التي بجواره النار، فإن عسكر السلطان كان غالبه على أسطحة البيوت التي هناك، فعملت النار فيهم حتى وصلت إلى سقف السبيل - أيضاً - فأحرقته عن آخره. هذا والقتال مستمر من فوق ومن أسفل، ثم هدموا سور الميدان ودخلوا منه إلى الميدان، فعظم القتال في هذا اليوم حتى إنه قتل فيه أكثر مما قتل من ابتداء الوقعة إلى يوم تاريخه، فكان يوماً مهولاً قاسى الناس فيه شدائد عظيمة وخطوباً وحروباً.

[٢٥١] ولما رأى عسكر السلطان دخول عسكر الأمير الكبير // إلى الميدان انهزموا وولوا الأدبار، لا يلوي أحد منهم على أحد، وطلع السلطان الملك المنصور عثمان من المقعد بالإسطبل إلى القصر السلطاني.

كل ذلك والأمير الكبير لا يتحرك من مكانه، فلما بلغه انهزام القوم ندب الأمير جرباش المحمدي المعروف بكرد - أحد مقدمي الألوف - لأخذ باب السلسلة، فركب جرباش على الفور وخرج إلى باب السلسلة وتسلمه بعد ساعة هينة من غير قتال، فعلى قدر شدة عزم أهل القلعة في هذه السبعة أيام كانت هزيمتهم وتسليمهم القلعة في أسرع ما يكون.

وسبب ذلك أن غالبهم شبان لم تمرّ[1] بهم التجارب ولا لهم خبرة بالحروب ومكابدتها[2]، فقاتلوا أشد قتال، وأظهروا من الشجاعة ما لا يوصف، ولم يحسنوا الهروب ولا تسليم القلعة، وكان يمكنهم بعد أخذ الميدان حفظ القلعة حتى تؤخذ منهم بالأمان، وتعمل مصالحهم في نوع اختاروه - على عادة من سلم القلاع قبلهم - لكنهم لما رأوا أخذ الميدان منهم خارت طباعهم وانقطعت قلوبهم.

وكان وقت أخذهم القلعة وقت العصر - تقريباً - فإننا لم نسمع الآذان في ذلك الوقت لعظم الغوغاء، لاشتغال كل أحد بما هو فيه من شدة القتال، وعظم الخطب في ذلك اليوم. وتفانت الناس، وأصيب خيول كثيرة، وجرح خلائق لا تحصى كثرة، وتهدم دور كثيرة.

ولا نعلم في سالف الأعصار في الدولة التركية بأن قلعة الجبل حوصرت سبعة أيام إلاّ في هذه الوقعة، مع علمي أن الملك الناصر فرج بن برقوق ركب عليه الأمير يشبك الشعباني بجماعة من الأمراء وأقاموا نحو السبعة أيام ملبسين - أيضاً - آلة الحرب، لكن لم يكن القتال كالقتال ولا الحصار كالحصار، فإن جماعة كثيرة من عسكرنا هذا باشروا تلك الوقعة وكلهم قائلون بأنهم لم يروا مثل هذه الوقعة.

(١) في «أ»: «يمرّ».
(٢) في «أ»: «ومكابدته».

وفي مدة هذه الأيام السبعة لم يبطل القتال بالرمي والنفوط والمدافع ساعة واحدة. هذا والزعر تقتل من الطائفتين وتصيبهم السهام، وبالجملة كانت القتلي من الزعر ومن المتفرجين أكثر من الجند .

ولما ملك الأمير جرباش باب السلسلة قبضت المماليك على الأمير تنم من عبد الرزاق المؤيدي // أمير سلاح وأخذوه على فرس وعلى رأسه طاقية خضراء [٢٥٢] من غير تخفيفه[١]، ومظوا به إلى الأمير الكبير والضرب مستمر على رأسه وسائر جسده من الأمراء، وهو يصيح : المروءة المروءة، حتى أدخلوه إلى الأمير الكبير فحبس هناك، ثم قبضوا على الأمير كزل السودوني المعلم وحبسوه عند تنم، ثم قبضوا على عبد الله الكاشف وأنزلوه على فرس مكشوف الرأس بلا تخفيفة، وألبسوه شيئاً كالطرطور ، والدم يسيل على شيبته بعد أن أرادوا الفتك به غير مرة، فصار بعضهم يحميه من ذلك ويقول: يذهب ماله، دعوه حتى يأخذ الأمير الكبير ماله، وأدخلوه على تلك الهيئة القبيحة إلى عند الأمير الكبير.

قلت: وما ربك بظلام للعبيد، فإن عبد الله ـ هذا ـ فعل في ولايته لكشف الشرقية ما لا يفعله إلاّ من ليس له حظ في الإسلام، من أخذ الأموال وسفك الدماء، فلم أدر ماذا يكون جواب الملك الظاهر عند الله ـ تعالى ـ بسبب ولايته لهذا الظالم الغاشم المراق الدم؟!

فلم يكن بعد ذلك إلاّ نحو الخمس درجات وركب الأمير الكبير من محل إقامته والخليفة عن يمينه والأمير تنبك عن يساره، وطلع إلى باب السلسلة، والناس من البيت ـ المذكور ـ إلى باب السلسلة مصطفون وقوفاً دهليزاً واحداً وهو يمر عليهم حتى نزل إلى الحراقة من باب السلسلة وجلس هناك، وشرعت العساكر في النهب والأخذ، فنهبوا شيئاً كثيراً من الأموال والخيول والمتاع، وأخذوا في القبض على الأمراء واحداً بعد واحد، فقبض في الليلة ـ المذكورة ـ على جماعة كثيرة من الأمراء، وهم: الأمير تنم ـ المذكور ـ والأمير كزل المعلم

---

(١) أي من غير عمامة ـ راجع : ماير . الملابس المملوكية ص ٣١ ـ ٣٢.

ـ المذكور أيضاً ـ وعبد الله الكاشف، فهؤلاء الذين ذكرناهم أولاً. وأما الذين قبض عليهم بعد طلوع الأمير الكبير من أمراء الألوف فهم: الأمير قاني باي الجركسي الأمير آخور الكبير، ومن الطبلخانات: الأمير تمربغا الظاهري الدوادار الكبير، والأمير أزبك من ططخ الظاهري الخازندار الكبير، ومن العشرات: الأمير لاجين الظاهري شاد الشراب خاناه ولالاة الملك المنصور عثمان، والأمير سنقر الظاهري العائق الأمير آخور الثاني، والأمير سنقر الظاهري آستادار الصحبة، والأمير جانم الظاهري الساقي، // والأمير سودون من سلطان الظاهري، [٢٥٣] والأمير جانبك ـ وكلاهما تأمر في الدولة المنصورية عثمان.

وتسحب من الأمراء العشرات الذين كانوا عند الملك المنصور عثمان بالقلعة جماعة، وهم: الأمير أسنباي الجمالي الظاهري الدوادار الثاني، والأمير قوزي الظاهري الساقي، والأمير يشبك الظاهري البجمقدار، والأمير مغلباي الشهابي.

وفي الحال نودي في القاهرة بالأمان والاطمئنان[١] والطلوع من الغد إلى القلعة بالكلفتاه[٢] والتتريات[٣] البيض لسلطنة الأمير الكبير، وقلع السلاح في الحال، وبات الناس في أمن وسلامة، وسر الناس بإخماد الفتنة.

* * *

(١) في «أ»: «والأطمان».

(٢) الكلفتاه: طاقية تؤلف هيكل العمامة، لا يلبسها إلا رجال الطبقة الرفيعة ـ راجع: دوزي. المعجم المفصل ص ٣١٢ ـ ٣١٣.

(٣) التتريات: أقبية من الحرير الأحادي اللون، المزركش الحواشي، والمطعم بالذهب ـ نفسه ص ٨١.

ذكر سلطنة السلطان الملك الأشرف، سيف الدين أبي النصر، إينال العلائي الظاهري، ثم الناصري

لما كان صباح يوم الاثنين ثامن شهر ربيع الأول، اجتمع أعيان الدولة من القضاة والأمراء وأرباب الوظائف في الحراقة من الإسطبل السلطاني بحضرة الخليفة والأمير الكبير، وبويع الأمير الكبير بالسلطنة، ولبس أبهة السلطنة من مبيت الحراقة من باب السلسلة في أول ساعة من اليوم ـ المذكور ـ بعد طلوع الشمس بنحو ست درجات في ساعة القمر، والطالع الحمل. وكان قد بويع بالسلطنة غير مرة في أيام الوقعة، يوم الأربعاء ثالثه، وفي يوم الجمعة خامسه، وفي يوم السبت سادسه، وفي عصر يوم الأحد بعد طلوعه إلى باب السلسلة، ولكن لم تحدد سلطنته إلا بعد لبسه أبهة السلطنة.

ولما لبس خلعة السلطنة خرج من مبيت الحراقة ومشى حتى ركب فرس النوبة، وحمل ولده المقام الشهابي أحمد القبة والطير على رأسه حتى طلع إلى القصر وجلس على تخت الملك، وقبلت الأمراء الأرض بين يديه، وخلع على الخليفة فوقاني أخضر وأبيض بطرز زركش، وقيد له فرساً بسرج ذهب وكنبوش زركش، واستمر جلوسه بالقصر إلى يوم الخميس، والأمراء وأعيان الدولة بين يديه، وأخلع في يومه على الأمير يونس العلائي الناصري نائب قلعة الجبل باستقراره في نيابة الإسكندرية، عوضاً عن الأمير قرا جانبك الظاهري، وجلس في باب القلعة عوضه الأمير قانباي الناصري الأعمش.

[٢٥٤] وفيه قبض على // الأمير مغلباي الشهابي، وعلى جماعة أخر، وحبسوا بالركبخاناه بباب السلسلة.

وفي يوم الثلاثاء (تاسعه)[1]، أخلع السلطان الملك الأشرف إينال على جماعة من الأمراء بعدة وظائف:

فخلع على ولده المقام الشهابي أحمد أتابك العساكر عوضاً عن نفسه.

واستقر الأمير تنبك البردبكي الظاهري برقوق أمير سلاح[2]، عوضاً عن الأمير تنم من عبد الرزاق المؤيدي.

واستقر الأمير طوخ من تمراز الناصري أمير مجلس، عوضاً عن الأمير تنبك المذكور.

ولبس الأمير خشقدم المؤيدي خلعة الاستمرار على حجوبية الحجاب.

واستقر الأمير جرباش المحمدي المعروف بكرد أمير آخور كبيراً، عوضاً عن الأمير قاني باي الجاركسي.

واستقر الأمير يونس الآقبائي دواداراً كبيراً، عوضاً عن الأمير تمربغا الظاهري جقمق.

واستقر الأمير قرقماس الأشرفي رأس نوبة النوب، عوضاً عن الأمير أسنبغا الطياري بعد وفاته.

وخلع على الأمير جانبك الظاهري جقمق باستمراره على وظيفة الأستادارية .

ومن غريب ما اتفق في هذه الواقعة أن رجلاً من المماليك السلطانية أصله من عتقاء الأمير جمال الدين يوسف البيري الأستادار، يسمى يلبغا المجنون، وهو من أصحابنا، صار يخرج من بيت الأمير الكبير عند شدة اشتعال الحرب بلا خوذة على رأسه، بل عليه قرقل[3] مخمل عتيق منقوش، فيمشي إلى أن يصير

(١) ساقط من «أ»؛ مثبت من «ب».

(٢) في «أ» : «أمير سلاحاً».

(٣) القرقل : درع يعمل من الصفائح المتخذة من الحديد المتواصل بعضها ببعض ، مع تغشيته=

في وسط الرملة في وقت لا يطيق أحد أن يخرج من بيت الأمير الكبير لعظم الرمي بالنشاب والنفوط، فلما يصير في وسط الرملة يقف وحده هناك فيرمي عله أهل القلعة رمياً عظيماً ويرمي هو ـ أيضاً ـ عليهم فلا يصيبه منهم سهم واحد[1]، ثم يأخذ يلبغا هذا في السب والتوبيخ لهم والرمي عليهم، فيجتمع عليه من أعيان رماة أهل القلعة عدة، ويرمون عليه بالتحرير حتى يصير حوله من النشاب ما لا يحصي كثرة، وهو لا يصيبه منهم شيء، وهو مستمر على رميهم ـ أيضاً ـ وسبهم. فكان لما يتعب يأخذ في ضم النشاب الذي حوله، فكان يلتقط في اليوم من حوله المئتين بل الألوف من النشاب، ولا يستجرىء أحد أن يضم معه شيئاً إلاّ بعض الصغار، على أنه انصاب من الصغار جماعة كثيرة. وكان إذا تعب من الرمي وضم النشاب نام على ظهره وينش على وجهه، واستمر على ذلك في غالب أيام الوقعة، فكان كلما فعل ذلك اشتد غضب السلطان الملك المنصور عليه وأمر بالرمي عليه، فيرمي عليه ما شاء الله أن يرمي فلا يصيبه شيء

فلما أعيا // الملك المنصور أمره، أمر بالنداء للزعر والجند: من أتى بهذا [٢٥٥] الجندي ـ يعني يلبغا المذكور ـ له مائتا دينار. وبالغ بعض الناس حتى قال: إنه سمع المنادي يقول: ألف دينار. فلما نودي بذلك غر بعض الزعر الطمع فجاءه على حين غفلة وحمله من خلفه، فضربه يلبغا ـ المذكور ـ بخنجر كان معه على ما قيل. وقد كان مرة أخرى جاءه عدة من الزعر وحملوه، فنجده بعض عسكر الأمير الكبير وخلصوه منهم، ثم عادوا سرعة إلى بيت الأمير الكبير خيفة من النشاب.

واستمر يلبغا ـ هذا ـ على ذلك إلى أن كان هو السبب للقتال الذي أخذ فيه باب السلسلة، فكان أمر يلبغا ـ المذكور ـ في هذه الوقعة غريباً، ولا يعلم أحد ما كان أمره، فإنه لم يشتهر قبل تاريخه بصلاح ولا فساد، وإنما كان متوسط السيرة.

وقد اختلف الناس في أمره، فمن الناس من يقول: كان معه هيكل منيع، ومن الناس من يقول: كان يتحوط بأدعية عظيمة، ومن الناس من

= بالديباج الأحمر أو الأصفر ـ راجع: القلقشندي. صبح الأعشى ج ٢ ص ١٤٣، مايبر. الملابس المملوكية ص ٧٣ ـ ٧٤.

(١) في «أ»: «سهماً واحداً».

يقول: كان ساحراً. وفي الجملة، كان أمره من الغرائب.

وقد سألته عن ذلك فقال لي: والله لم يكن معي شيء، غير أنني معتقد أنني لن يصيبني إلاّ ما كتب عليّ. وهو صادق في مقالته، فإنه كان قبل ذلك كثير التردد إليّ، ولا أعلم عليه إلاّ خيراً.

وفي يوم الأربعاء عاشره، أشيع في القاهرة بإثارة فتنة بسبب النفقة، وبلغ السلطان أن المماليك السلطانية تقول: ما نأخذ إلاّ مائتي دينار، فنودي بالقاهرة: إن العرض يوم السبت والنفقة يوم الاثنين، وإن أحداً من المماليك السلطانية وغيرهم لا يعدى من الربيع بفرس إلى القاهرة.

وفيه - أيضاً - حمل جماعة من المقبوض عليهم إلى ثغر الإسكندرية في وقت الظهر على البغال في القيود على العادة، وهم:

الأمير تنم أمير سلاح، والأمير قاني باي الجاركسي أمير آخور، والأمير تمربغا الظاهري جقمق الدوادار، والأمير لاجين الظاهري جقمق شاد الشراب خاناه، والأمير أزبك من ططخ الظاهري جقمق الخازندار، والأمير سنقر الظاهري جقمق الأمير آخور الثاني، والأمير جانم الساقي الظاهري جقمق رأس نوبة، والأمير سودون من سلطان الظاهري جقمق رأس نوبة، والأمير جانبك الظاهري البواب - وكلاهما تأمر في الدولة المنصورية.

وسافروا من يومهم.

وفي يوم الخميس حادي عشره، تغيّر ما كان قرره السلطان الملك الأشرف إينال من وظائف // الأمراء، وهو أنه بلغه تغير خاطر المماليك السلطانية بسبب [٢٥٦] توليته لولده المقام الشهابي أحمد لأتابكية العساكر، فأخلع على الأمير تنبك المستقر قبل ذلك في إمرة سلاح بأتابكية العساكر عوضاً عن ولده، واستمر ولده على إقطاع إمرة مائة وتقدمة ألف على عادة أولاد الملوك الذين كانوا قبله، وسكن بالحوش السلطاني تجاه الدهيشة في بيت الملك المنصور عثمان.

وخلع على الأمير خشقدم المؤيدي حاجب الحجاب باستقراره أمير سلاح عوضاً عن الأمير تنبك.

وأخلع على الأمير قراجا الظاهري جقمق باستقراره في حجوبية الحجاب عوضاً عن خشقدم.

وفيه - أيضاً - استقر الأمير تمراز الأشرفي المعروف بالزردكاش دواداراً ثانياً، عوضاً عن أسنباي.

واستقر الأمير جانبك من قجماس الأشرفي برسباي المعروف بدوادار سيدي شاد الشراب خاناه، عوضاً عن الأمير لاجين الظاهري.

واستقر الأمير خيربك المؤيدي الأشقر أمير آخور ثانياً، عوضاً عن سنقر الظاهري العائق.

واستقر الأمير قاني باي الناصري الأعمش نائب قلعة الجبل عوضاً عن الأمير يونس العلائي المتولي نيابة الإسكندرية قبل تاريخه.

وفيه خلع السلطان على القاضي محب الدين ابن الأشقر كاتب السر بوظيفته قديماً - نظر خانقاه سرياقوس - وعلى ولده الشهابي أحمد بمشيخة الشيوخ - أيضاً - وكلاهما عوضاً عن يار علي العجمي الطويل المحتسب.

وفيه أنعم السلطان على الأمير جانبك القرماني الظاهري برقوق بإمرة مائة وتقدمة ألف، واستقر عوضه رأس نوبة ثانياً الأمير يشبك الناصري.

وفيه أنعم السلطان على الأمير أرنبغا اليونسي الناصري بإمرة مائة وتقدمة ألف أيضاً.

وفيه أنعم على الأمير برسباي البجاسي المعزول عن نيابة الإسكندرية بإمرة مائة وتقدمة ألف، عوضاً عن الأمير طوخ أمير مجلس، بحكم انتقال طوخ إلى إقطاع الأمير تنبك أمير سلاح، بعد انتقال تنبك إلى إقطاع الأمير تنم.

والتقدمتان المنعم بهما على جانبك القرماني وأرنبغا، إحداهما عن قاني باي الجاركسي والأخرى عن أسنبغا الطياري.

وفيه - أيضاً - أنعم على جماعة كثيرة بعدة إقطاعات وإمريات طبلخانات وعشرات يطول الشرح في تسميتهم، عوضاً عن الأمراء المقبوص // عليهم. [٢٥٧]

وفي يوم السبت ثالث عشره استقر البدري حسن بن حسين بن الطولوني معلم المعمارية عوضا عن يوسف شاه.

وفيه أعيد عبد الله الكاشف إلى ولاية الشرقية على عادته بعد أن التزم بعمل الجراريف بالأعمال الشرقية في هذه السنة.

وفيه أعيد أمير زاده بن حسين بك بن سالم الدوكاري إلى كشف الوجه القبلي على عادته أولاً.

وفيه استقر الأمير جانبك من أمير الأشرفي برسباي المعروف بالظريف خازنداراً كبيراً، عوضاً عن الأمير أزبك.

وفيه استقر السيفي بردبك دوادار السلطان قديماً وزوج ابنته دواداراً ثالثاً، وأنعم عليه بالإقطاع الذي كان بيد المقام الشهابي أحمد ابن السلطان أيام إمرة أبيه، وهي إمرة عشرة.

واستقر السيفي يشبك الأشقر آستادار الصحبة، عوضاً عن سنقر الظاهري جقمق.

وفي يوم الاثنين خامس عشره ابتدأ السلطان في نفقة المماليك السلطانية، لكل مملوك مائة دينار، وسعر الدينار مائتان وثمانون درهماً فلوساً، فيكون لكل نفر ثمانية وعشرون ألف درهم فلوساً، هذه الكاملة. وأما النصف والربع فمعروف.

على أنه منع العطية من جماعة كثيرة من أولاد الناس [و] المماليك السلطانية والقرانيص، ولم يعطهم إلاّ بحكم النصف والربع وأقل من ذلك.

وفيه خلع على الصاحب جمال الدين يوسف بن كاتب جكم ناظر الجيوش المنصورة والخاص باستمراره على وظيفته.

وفيه خلع على إمامه الشيخ علاء الدين الغزي الحنفي باستقراره في نظر الأوقاف، عوضاً عن علاء الدين على ابن آقبرس، ورسم له - أيضاً - بالتكلم في إقطاع المقام الشهابي أحمد ابن السلطان الملك الأشرف إينال، والتحدث في الجزائر التي هي برسم الخوندات، كل ذلك بعد استقراره إماماً على عادته.

وفيه - أيضاً - استقر القاضي ناصر الدين ابن أصيل موقع السلطان قديماً في نظر الزردخاناه، عوضاً عن القاضي بدر الدين ابن ظهير.

وبعد عصر هذا اليوم نودي بالقاهرة بأن جميع المماليك السلطانية تكون سواء في // أخذ النفقة، لأنه كان في أول هذا اليوم نفق السلطان على المماليك [٢٥٨] السلطانية وعوق جماعة كثيرة منهم، مثل أولاد الناس والقرانيص وما أشبه ذلك، وصرف عليهم بعد ذلك، لكن منهم من أخذ بالكامل، ومنهم (من) أخذ بحكم النصف، ومنهم من أخذ بأقل من النصف. كل ذلك لعجز الخزانة الشريفة، فإن الملك الظاهر جقمق لم يدع في الخزانة مالاً، وكان يفرّق جميع ما كان يحصل في يده أولاً فأول قبل موته، ولم يدع في الحواصل إلاّ المفاتيح والخزنة في كل جهات المملكة، فأما خزانة الذهب فلم يدع فيها لا قليلاً ولا كثيراً، وأما الزردخاناه والشون والإسطبلات السلطانية فترك فيها ربع ما خلف[1] الملوك السالفة أو أقل.

على أنه لم يتجرد في منذ سلطنته إلى البلاد الشامية ولا أرسل تجريدة قط غير مرة واحدة، وهي نوبة [إينال] الجكمي في أول سلطنته، وجميع ما أتلفه إنما هو على النسوة والتراكمين وما أشبه ذلك.

فكل ما وقع بعد موته من الفتن والشرور واضطراب الدولة والمملكة على ولده وغيره إنما هو لقلة الأموال وفراغ الحواصل.

قلت: ولله الحمد والمنة الذي أمات[2] هذا الرجل قبل أن يطرق البلاد الشامية أحد من الخوارج، فإنه كان لا يطيق الخروج لقتاله لما ذكرناه، فكانت البلاد تعود إلى أعظم ما فعل فيها تيمورلنك ـ لعنه الله ـ من النهب والسبي والقتل، هذا إذا لم يتحرّك من مكانه، فإذا أراد الخروج لمقاتلته كان هو يفعل في الديار المصرية من المصادرات وأخذ أموال الناس ما هو أعظم من فعل الخارجي الذي يرد البلاد.

وتصديق ما قلته أنه من يوم وفاته إلى يومنا هذا عجزت الملوك عن القيام بنفقة المماليك السلطانية في هذه المدة الطويلة، بعد المصادرات والضرب والعصر

---

(١) في «أ»: «خلفت».
(٢) في «أ»: «مات».

والسلف والتوزعة على أعيان المباشرين؛ كل ذلك لنفقة واحدة، وهي أقل من أربعمائة ألف دينار، فكيف لو أرادوا النفقة على المماليك وقيام برك السلطنة من الزردخاناه والخيول والخيم وما أشبه ذلك مما يحمله معه في الخزائن السلطانية على عادة الملوك. فما ذكرناه قدر النفقة مرات عديدة، فما كان يحصل ذلك إلاّ بعد [٢٥٩] أمور // لا حاجة في ذكرها.

ولم أرد بذلك التعصب ولا الحط على الملك الظاهر، ولا يخفي ذلك على أدنى من له معقول - انتهى.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشره أخلع السلطان على جماعة من الأمراء أصحاب الوظائف خلع الأنظار على العادة.

وفي يوم الأربعاء سابع عشره وصل الأمير دولات باي المحمودي المؤيدي الدوادار - كان - إلى القاهرة من سجن الإسكندرية، وقبل الأرض بين يدي السلطان الملك الأشرف إينال (ورحّب به السلطان ووعده بكل خير، ونزل إلى داره ووجوه الناس بين يديه، وسر الناس بإطلاقه سروراً زائداً، وكانت مدة القبض عليه وذهابه وسجنه بالثغر ورجوعه سنة وثلاثين يوماً، فانظر إلى قدرة الله فيما وقع لهذا الرجل لما قبض عليه المنصور وبعثه إلى الإسكندرية - كما تقدم - كان عزم غرماؤه تأييد حبسه، فما كان بأسرع من قبض الأشرف إينال عليهم)[1]، وبعث بهم إلى الإسكندرية.

وأغرب من هذا أنه لما خرج الأمير دولات باي - هذا - من مدينة الإسكندرية عائداً إلى الديار المصرية واجه أخصامه هؤلاء الأمراء الظاهرية خارج الإسكندرية وهم بالقيود على تلك الحالة القبيحة، فمشى دولات باي عن بعد وولى وجهه عنهم ولم يظهر الشماتة بهم، بل صار يحمد الله - تعالى - على ما وقع له.

وبلغني أن بعض خدم دولات باي أراد أن يتكلم ويسمع القوم نوعاً من

---

(١) ساقط من «أ»، مضاف من «ب».

التوبيخ، وبدأ بكلمة واحدة، فمنعه دولات باي من ذلك، وقال: قد كفانا الله فيهم.

وفي ليلة الخميس ثامن عشره توفي الأمير جانبك بن عبد الله اليشبكي الزردكاش، وكان ابتداء مرضه من يوم تسلطن الملك الأشرف إينال، ودفن من الغد بتربة طيبغا الطويل بالصحراء، ومات وهو في أوائل الكهولة، وأنعم بإقطاعه على الأمير يونس العلائي الناصري نائب الإسكندرية، وأنعم بإقطاع يونس - المذكور - على الأمير قاني باي الناصري الأعمش نائب قلعة الجبل.

وفي يوم الجمعة تاسع عشره أطلق السلطان الملك الأشرف إينال - زين الدين يحيى الأستادار من محبسه بالقلعة، وخلع عليه كاملية بمقلب سمور، وقيد له فرساً بسرج ذهب وكنبوش زركش، فلبس الكاملية ونزل إلى داره وهو لا يستطيع المشي إلاّ بكلفة مما به من آثار الضرب والعصر، ونزوله على أنه يلبس الأستادارية ويقوم بمائة ألف دينار، نصفها عاجلاً ونصفها آجلاً، فيكون ما وزنه للملك المنصور في أيام مصادرته وما وزنه // الآن جملته مائتا ألف دينار [٢٦٠، وخمسون ألف دينار.

وعزل الأمير جانبك الظاهري جقمق عن الأستادارية، ورسم له بالتوجه إلى بندر جدة على عادته .

وفي يوم السبت العشرين منه استقر نوكار الحاجب الثاني زردكاشاً بعد وفاة جانبك اليشبكي، واستقر عوضه الأمير سمام الحسيني حاجباً ثانياً، وكان سمام قد استقر بالأمس من جملة رءوس النوب.

وفيه استقر جماعة ممن تأمر في هذه الدولة رءوس نوب، وجماعة أخر من الخاصكية أرباب وظائف، حتى وصلت عدة الدوادارية إلى عشرة نفر، وكانوا قبل ذلك خمسة، والسقاة الخاص إلى عشرة وكانوا قبل ذلك ستة، والبجمقدارية - كذلك - واقتحمت الأنذال والأوباش على الرياسة، وأخذ الإقطاعات الهائلة، وصار الواحد منهم لا يقنع إلاّ بعدة إقطاعات، وكان قبل ذلك يود عشر ما ناله الآن، على عادة تقلبات الدول.

كل ذلك والملك الأشرف يعطي كـلاً منهم ما سـأل، ويترضـاهم بكل مـا أمكن، حتى ترسخ قدمه في الملك ويستفحل أمره.

وفي يوم الأحد حادي عشرينه قبض السلطان الملك الأشرف على نيف وثلاثين مملوكاً من المماليك الظاهرية جقمق الخاصكية، وحبس الجميع بالبرج من القلعة.

وكان السلطان قبل تاريخه قد نفى جماعة أخر من الأمراء الظاهـرية والخاصكية، منهم: الأمير سنقر آستادار الصحبة، والأمير شاهين الفقيه، تـوجها إلى القدس الشريف في يوم الاثنين خامس عشره، ثم بعدهما في يوم الثلاثاء سادس عشره توجه سُنْطَبَاي رأس نوبة الجمدارية، ويشبك الظاهري الذي كان تأمر في أمسه، ويشبك الساقي، توجهوا إلى طرابلس، وبعدهم جماعـة أخر، ثم قبض على هؤلاء المذكورين.

وفي يوم الاثنين ثاني عشرينه لبس زين الدين الأستادار خلعة الآستادارية، وأعيد إلى وظيفته بغير سعي منه، وفي الظن أنه يعود إلى ما كان عليه، فجاء بخلاف ما كان في الظن، وباشر على عادته.

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشرينه لبس الأمير بردبك صهر السلطان والدوادار الثالث نظر القرافة، عوضاً عن يوسف شاه العلمي.

[٢٦١] وفيه وصل إلى القاهرة من ثغر دمياط // الأمير يرشباي المؤيدي الإينالي الأمير آخور الثاني - كان - والأمير يلباي الإينالي المؤيدي أحد أمراء العشرينات ورأس نوبة - كـان - وكان إقـامتهما بـالثغر يـوماً واحـداً، وجاءهمـا الطلب من السلطان وطلعـا إلى القلعة، وقبـلا الأرض بين يدي السلطان فـوعدهمـا بكل خير، ونزلا إلى دورهما.

وفي يوم الخميس خامس عشرينه وصل إلى القاهرة من القدس الشريف الأمير سودون الإينالي المؤيدي المعروف بقراقاش أحد أمراء العشرات - كان - ورأس نوبة، وكان له نحو الثلاث سنين مقيماً بالقدس من يوم نفاه الملك الظاهر جقمق، فرحـب السلطان به - أيضاً - ووعده بالنظر في حاله.

وفيه استقر خير بك القصروي والي القاهرة شاد الدواوين.

وخير بك هذا كان قبل توليته ولاية القاهرة من أصاغر المماليك السلطانية الأوباش.

وفي يوم الأحد ثامن عشرينه أخرج الملك المنصور عثمان ابن الملك الظاهر جقمق من محبسه بالقاعة الموسومة بالبحرة بالحوش من قلعة الجبل على فرس بوز مقيداً من غير أن يركب أحد من الأوجاقية خلفه على عادة الأمراء، وأنزلوه من باب القرافة، ومضوا به على المجراة من القرافة الكبرى إلى مصر القديمة إلى أن أوصلوه إلى بحر النيل، وأنزلوه إلى المركب، وسافر من وقته، ومسفره الأمير خير بك المؤيدي الأشقر الأمير آخور الثاني. وهذا شيء لم يعهد مثله من أن سلطان الديار المصرية ينزل على هذه الصورة في وسط النهار والعسكر من الأمراء والخاصكية حوله بالرماح والسيوف وآلات الحرب، والعامة تزدحم على الفرجة عليه، فكان في هذه الكائنة عبرة لمن يعتبر؛ لأنه بالأمس كان سلطان الديار المصرية والمتصرف في الممالك والرعية كيف شاء، وإليه الأمر والنهي، والأمراء والجند والناس بأجمعهم له طائعون ولأمره سامعون، وهو الآن صار في أيديهم كالأسير، وليس له من الحكم لا ما قل ولا ما كثير، حتى ولا على نفسه.

قلت: لا جرم، أن الله ـ تعالى ـ عامله من جنس فعل والده الملك الظاهر جقمق بالملك العزيز يوسف ابن الملك الأشرف برسباي.

وقد ورد في الإسرائيليات أن الله ـ تعالى ـ قال لنبيه داود عليه السلام: «يا داود، أنا الرب الودود، أعامل الأباء بما صنع الجدود». انتهى.

وفي الثلاثاء سلخه ظهر الأمير أسنباي الجمالي الظاهري الدوادار الثاني ـ كان.. بأمان، فتكلّم فيه بعض الأمراء ليتوجه إلى القدس // الشريف بطالاً، [٢٦٢] فرسم له بذلك على أنه يقيم بالقاهرة أياماً ليتجهر بها ثم يسافر.

شهر ربيع الآخر

أوله الأربعاء.

في عصره وصل الأمير جانم ـ قريب الملك الأشرف برسباي ـ من محبسه

بقلعة صفد إلى القاهرة، ونزل بتربة الملك الأشرف برسباي بالصحراء خارج القاهرة، وأصبح يوم الخميس من الغد طلع إلى السلطان وقبل الأرض بين يديه ، فرحب به السلطان وخلع عليه كاملية بمقلب سمور، ووعده بكل خير، وأنزله عند مملوكه وصهره الأمير بردبك الدوادار الثالث ببيت الأمير منجك اليوسفي الذي جدده الأمير تمربغا الدوادار الظاهري جقمق.

وفي ليلة الأحد خامسه سافر الأمير أسنباي الجمالي الظاهري الدوادار الثاني - كان - إلى القدس الشريف.

وفي ليلة الاثنين سادسه توفي الأمير سمام الحسني الظاهري برقوق الحاجب الثاني وأحد أمراء العشرات، ودفن من الغد، وأنعم بإمرته على الأمير جانبك الإينالي الأشرفي برسباي القادم من طرابلس في أمسه - المعروف بقلقز[1]، أعني: بلا أذن - وأنعم بوظيفة الحجوبية الثانية على الأمير بتخاص العثماني الظاهري برقوق.

وفي يوم الاثنين - المذكور - تمت نفقة السلطان على المماليك السلطانية بعد أن ظهر في تفرقتها من العجز ما يستحيا من ذكره من وجوه عديدة.

منها أنها فرقت في أيام كثيرة، فكانت تفرّق في كل (يوم) موكب ثلاث طبقات، لا غير، ثم صارت تفرَّق في كل يوم موكب طبقة واحدة.

ومنها أنها فرقت على ضروب، فأعلى من أخذ من المماليك السلطانية أخذ ثمانية وعشرين ألف درهم، وأدنى من أخذ أخذ ألف درهم، فكان يقع في كل يوم تفرقة أمور شنيعة ممن تعطى له النفقة الناقصة عن أعلى ما ذكر، فكان منهم من يستغيث ويرمي بها ويفحش في اللفظ حتى يأخذ بالكامل، ومنهم من يتركها ويمضي حتى يترضوه، ومنهم من يفعل أعظم من ذلك ويأخذ بالناقص.

وبالجملة كانت هذه التفرقة نوعاً من أنواع العجز الذي ظهر بالديار المصرية.

---

(١) في «أ»: «بلقسز».

وفيه رسم السلطان الملك الأشرف إينال بدوران المحمل[1] في شهر رجب، ولعب الرماحة على عادة من تقدمه من الملوك في السنين الماضية. وكان ذلك بطل من نحو العشر سنين، وعيّن معلم // المحمل الأمير جانبك من أمير [٢٦٣] الأشرفي الخازندار، وذلك بعد أن عيّن السلطان جماعة من أمراء الألوف، فاعترف الجميع بعدم معرفة هذا الفن، فترشح مؤلفه للمعلمية، ورضي كل من الباشات بذلك، فدخل جانبك ـ المذكور ـ وسأل في أن يكون معلماً للمحمل فأجابه السلطان لذلك ـ وقد تقدم أن السلطان يداري الجماعة بكل ما يمكنه ـ فرسم له بذلك، وفي النفس من ذلك ما فيها.

وعين باشات أربعة، وهو الأمير جانبك الأشرفي المعروف بقلقسيز ـ المقدم ذكره في أخذ الإمرة عن سمام الحسني ـ والأمير قانصوه المحمدي الساقي الأشرفي أحد أمراء العشرات، والأمير جانم الساقي ـ أيضاً ـ والأمير كسباي الششماني المؤيدي أحد أمراء العشرات ـ أيضاً.

وكان لدوران المحمل سنين عديدة لم يعمل من منذ أبطله الملك الظاهر جقمق، وسر الناس بعمله.

وفي يوم الثلاثاء سابعه استقر الأمير خيربك المؤيدي الأجرود أتابك دمشق ـ كان ـ والقادم إلى القاهرة قبل تاريخه في نيابة طرسوس بعد تمنع زائد.

وفيه أمسك السلطان جماعة من المماليك الظاهرية جقمق، وقد تداول قبضه عليهم قبل تاريخه.

وفيه استقر الأمير تغري بردي القلاوي الظاهري جقمق كاشف الوجه القبلي من البهنساوية بعد أن كان السلطان الملك الأشرف قد لهج بخروج إقطاعه وإمرته.

وفيه خلع على السيفي أزبك التمرازي بشد خانقاه سرياقوس، وهذا شيء بخلاف العادة، ولم يعهد إلاّ أن السلطان يولي مشيختها ونظرها لا غير، فتجدد ذلك ولم يتم.

---

(١) راجع بشأن عادتهم في ذلك تفصيلاً: القلقشندي. صبح الأعشى ج ٤ ص ٥٧ ـ ٥٨.

وفي يوم الأربعاء ثامنه وصل مسفر الملك المنصور عثمان من الإسكندرية وهو الأمير خيربك الأشقر المؤيدي الأمير آخور الثاني.

وفيه استعفى الأمير خيربك المؤيدي الأجرود من نيابة طرسوس فأعفى.

وفيه رسم للأمير جانم الأشرفي الأمير آخور الكبير - كان - بنيابة طرابلس فلم يقبل، فرسم بإقامته بالقاهرة إلى أن ينحل له إقطاع يليق به بالديار المصرية.

وفي يوم الخميس تاسعه أعيد إلى الصاحب جمال الدين يوسف ناظر الجيوش المنصورة والخاص التكلم في الذخيرة على عادته.

وفي يوم الجمعة عاشره ويوافقه - خامس عشرين برمودة - لبس السلطان الملك الأشرف إينال القماش الأبيض المعتد للصيف على عادة // الملوك. [٢٦٤]

وفيه أطلق السلطان جميع المماليك الظاهرية المقبوض عليهم قبل تاريخه إلى حال سبيلهم، بعد أن حبس جماعة منهم بالبرج بقلعة الجبل نحو العشرين يوماً.

وفي يوم السبت حادي عشره استقر الأمير تمراز الأشرفي برسباي الدوادار الثاني ناظر خانقاه سرياقوس، عوضاً عن القاضي محب الدين ابن الأشقر كاتب السر الشريف، بعد أمور وقعت بين محب الدين - المذكور - وبين يار على الخراساني محتسب القاهرة.

وفي يوم الأحد ثاني عشره عيَّن السلطان جماعة كبيرة من المماليك الظاهرية جقمق لحفظ الثغور، فعيَّن منهم مائة نفر إلى حفظ ثغر رشيد، وعيَّن خمسين إلى ثغر دمياط، وجعل على كل طائفة أميراً من أمراء العشرات.

وفي يوم الثلاثاء رابع عشره استقر قراجا القصروي نائب كختا.

وفي يوم الأربعاء خامس عشره نودي بالقاهرة بخروج المماليك البطالة إلى الأقطار، وتكرر النداء بذلك، وهدد من تخلَّف عن الخروج.

وسبب ذلك أن السلطان لما وثب على الملك المنصور طلب المماليك

البطالة وندبهم للقتال معه، وصار يكتب من ينضم إليه منهم، ووعد أكثرهم بأنه يجعله من جملة المماليك السلطانية إذا صار الأمر له، ووعد جماعة منهم - أيضاً - بنفقة ينفقها عليهمّ ، فلما تسلطن أبعدهم ولم يوف لهم بما وعدهم، فصاروا يقفون له ويطلبون منه إنجاز ما وعدهم بـه، وألحوا في ذلـك، فلم يجد بـداً من أنه ينفيهم خوفاً من وثوبهم ووقوع فتنة، فاشتغلوا عند المنـاداة بأنفسهم وسكتـوا عن الطلب.

على أنه أرجف في اليوم - المذكور - بوقوع فتنة، وطلب السلطان الخليفة وأقاربه إلى عنده، فطلع من ساعته، وأقام بقلعة الجبل بالبحرة من الحوش السلطاني، وكثر الكلام بسبب ذلك، وترقب الناس وقوع فتنة من الغد، ولا يعلم أحد من القائم بذلك، فأصبح الناس في أمن وانفض الموكب على خير وسلامة.

وفيه - أعني يوم الخميس سادس عشره - استقر القاضي ناصر الدين محمد ابن المخلطة - أحد نواب الحكم المالكية، وأحد أخصاء الملك الأشرف إينال - قديماً - في نظر البيمارستان المنصوري، عـوضاً عن شـرف الدين مـوسى التتائي الأنصاري.

وفيه فرّق السلطان النفقة على الأمراء مقدمي الألوف، فأرسل إلى الأمير الكبير تنبك البردبكي الظاهري برقوق بأربعة آلاف دينار، ولمن دونه من أمراء الألوف بثلاثة آلاف دينار، ولمن تجدد // منهم بألفي دينار. [٢٦٥]

وفي يوم الجمعة سابع عشره نزل الخليفة القائم بأمر الله حمزة من القلعة إلى داره بعد أن خلع السلطان عليه كـاملية بمقلب سمـور، وبعث إليه بـأربعين رأساً من السكر المكرر.

وفي يوم الجمعة رابع عشرينه عقد السلطان عقد ابنه المقام الشهابي أحمد على ابنة الأمير دولات باي المحمودي المؤيدي الدوادار الكبير - كان - بجامع القلعة.

وفي يوم السبت خامس عشرينه خلع على شرف الدين موسى التتائي الأنصاري خلعة الاستمرار بوظائفه: الجوالي ووكالة بيت المال وغيرهما.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشرينه وسط السلطان ثلاثة أنفار بعد أن رسم بتسميرهم على الجمال، منهم بلبان الزيني عبد الباسط ورفيقاه.

وسبب توسيطهم أن بلبان ـ المذكور ـ كان يطلب المرأة الجميلة من الخواطىء إلى عنده ويفعل فيها ثم يقتلها ويأخذ ما عليها، ويساعده على ذلك رفيقاه ـ المذكوران ـ حتى هتكهم الله ـ تعالى ـ وكشف سريرتهم ، وظفر بهم .

وفي يوم الخميس سلخه خلع السلطان علي السيد تاج الدين عبد الوهاب باستقراره قاضي قضاة الشافعية بحلب، عوضاً عن القاضي شهاب الدين أحمد ابن الزهري.

وفيه ـ أيضاً ـ استقر القاضي نور الدين علي بن مفلح قاضي قضاة الحنابلة بدمشق، عوضاً عن ابن عمه برهان الدين إبراهيم بن مفلح .

وفيه أنعم السلطان على الأمير سودون الإينالي المؤيدي المعروف بقراقاش بإقطاع عبد الله الكاشف، والإقطاع ـ المذكور ـ إمرة عشرة.

وفيه قبض السلطان على شخص من المماليك الأشرفية برسباي يسمى قجماس وحبسه بالبرج على أنه يعاقبه من الغد ، وسببه أنه أراد إثارة فتنة.

جمادى الأولى

أوله الجمعة.

في عصره قبض السلطان الملك الأشرف على الأمير قراجا الظاهري جقمق حاجب الحجاب، وحبسه بالبحرة من الحوش السلطاني بقلعة الجبل من غير ذنب ولا سبب، وما هو إلاّ أن جماعة الأشرفية صارت توغر خاطر السلطان على المماليك الظاهرية وتخوفه منهم طمعاً في أرزاقهم وإقطاعاتهم ، ولا زالوا به في حق قراجا ـ هذا ـ حتى وافقهم وقبض عليه وحبسه بالبحرة كما ذكرنا إلى ما سيأتي ذكره من توجهه إلى القدس ـ الشريف ـ بطالاً.

// وقراجا ـ المذكور ـ من خيار الأمراء ديناً وعقلاً وكرماً وحشمة وصيانة [٢٦٦] وعفة عن القاذورات والمنكرات والفروج، لم يكن في أبناء جنسه مثله.

وفي يوم السبت ثانيه أنعم السلطان بإقطاع الأمير قراجا ـ المذكور ـ على الأمير جانم قريب الملك الأشرف برسباي، واستقر الأمير جانبك القرماني في حجوبية الحجاب، عوضاً عن الأمير قراجا المذكور.

وفيه عاقب السلطان قجماس المقبوض عليه قبل تاريخه ليقر على من هو القائم بهذا الأمر فلم يقر على أحد.

وفيه قيد الأمير قراجا ورسم بتوجهه إلى ثغر الإسكندرية ليسجن بها، ثم تكلم فيه، وفك قيده من يومه، واعتذر السلطان بنحو ما ذكرناه من أن ذلك فعل بغير إرادته، ورسم بتوجهه إلى القدس ـ الشريف ـ بطالاً، فسافر في يوم الاثنين رابعه.

وفي يوم الثلاثاء خامسه قرىء تقليد السلطان الملك الأشرف إينال بالقصر السلطاني من القلعة، وحضره الخليفة القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة، والقضاة والأعيان، وجلس السلطان على الأرض من غير كرسي، وإلى جنبه الأيمن الخليفة ـ المذكور ـ ثم القضاة على منازلهم، وقرأه القاضي محب الدين ابن الأشقر كاتب السر الشريف، فشكر الناس جلوس السلطان من غير كرسي؛ لأن الخليفة القائم بأمر الله ـ المذكور ـ يوم خلع الملك المنصور عثمان عد من ذنوبه أنه جلس على كرسي يوم قرىء تقليده، وبقي الخليفة تحت رجليه بجانب الكرسي.

قلت: وكذا كان فعل والده الملك الظاهر جقمق مع الخليفة المعتضد بالله أبي الفتح داود يوم قرىء تقليده أيضاً.

ولعل ذلك عادة الملوك السالفة، والله أعلم، فإن (الملك) الظاهر جقمق كان عنده تواضع مع العلماء والفقهاء، فكيف الخلفاء!؟

ثم أن الملك الأشرف بعد القراءة خلع على الخليفة وغيره، وانفض المجلس.

وفي ليلة الجمعة سابعه توفي قاضي القضاة بدر الدين، محمد ابن الشيخ ناصر الدين محمد ابن العلامة شرف الدين عبد المنعم البغدادي الحنبلي، ودفن من الغد، وكانت جنازته مشهودة، رحمه الله. وسيأتي ذكره في آخر السنة إن شاء الله - تعالى - مع من يذكر ممن توفي فيها.

وفي يوم الخميس - المذكور - رسم السلطان بعود الأمير قيز طوغان العلائي الأستادار - كان - إلى دمشق، ورسم - أيضاً - بعود الأمير غرس // الدين خليل [٢٦٧] من شاهين الشيخي أحد مقدمي الألوف بدمشق، وكان جاوز قطيا.

وفي يوم الجمعة ثامنه عقد عقد الأمير يونس الأقبائي الدوادار الكبير على بنت السلطان الملك الأشرف إينال بجامع القلعة، بحضرة السلطان.

وفي يوم السبت تاسعه استقر الشيخ العلامة القاضي عز الدين أحمد، قاضي قضاة الحنابلة بالديار المصرية بعد موت قاضي القضاة بدر الدين ابن عبد المنعم - رحمه الله.

وفيه رسم السلطان بأن يحط عن البلاد بالوجه القبلي والبحري ربع ما كان يطرح عليهم في الأيام الظاهرية جقمق من النطرون. فسرّ الناس بذلك وتباشروا بإزالة المظالم.

وفي يوم الأحد سابع عشره ورد الخبر على السلطان من الوجه القبلي بقتل الأميرين: الأمير تغري بردي القلاوي الظاهري جقمق كاشف البهنساوية، والأمير سونجبغا اليونسي الناصري فرج أحد أمراء الطبلخانات ورأس نوبة، وأمرهما من الغرائب، وهو أن السلطان لما ندب الأمير سونجبغا لمسك الأمير تغري بردي - المذكور - وخرج من القاهرة حتى وصل إلى قرية قمن لاقاه الأمير تغري بردي - المذكور - بالقرب منها وقد علم بما جاء سونجبغا بسببه، فأذعن بالطاعة وتقدّم وسلم عليه، فلما حاذاه قبض عليه سونجبغا وقال له: معي مرسوم شريف بالقبض عليك، ووضع الجنزير في عنقك. فقال تغري بردي: السمع والطاعة، ولا يحتاج لذلك. فقال سونجبغا - لحظ نفس كان بينهما قديماً: لا بد من ذلك. فنادى تغري بردي رفقته: الجيرة. فحطموا على سونجبغا

ورفقته، وكانوا في كثرة ورفقة سونجبغا في قلة، ووقع القتال، فأصاب سونجبغا سهم في رقبته فسقط منه عن فرسه إلى الأرض مغشياً عليه، ثم أفاق فتكلّم كلمة واحدة، ثم قضى نحبه. فلما رأى رفقة سونجبغا ذلك انتدب بعضهم وضرب تغري بردي بالسيف ضربات إلى أن طارت يده ثم مات.

ووقع القتال بين الطائفتين إلى أن انهزم أعوان سونجبغا، وأخذهم ولده وعاد نحو القاهرة، وترك والده سونجبغا ميتاً على الأرض، وكذلك القلاوي.

وقيل غير ذلك. وقد اضطربت الروايات في هذا الخبر لاختلاف أغراض الطائفتين، وأيضاً لضعف الرواة، فإن غالب من كان هناك غير ثقة.

والصحيح أنهما قتلا في ساعة / / واحدة. [٢٦٨]

وفي يوم الاثنين استقر الطواشي لؤلؤ الأشرفي الرومي مقدم المماليك السلطانية بعد عزل الأمير مرجان العادلي المحمودي الحبشي.

وفيه استقر الأمير جانبك من أمير الأشرفي برسباي الخازندار أمير حاج المحمل بعد موت سونجبغا.

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشره رد السلطان إقطاع الأمير يلباي الإينالي المؤيدي بعد موت سونجبغا؛ لأن سونجبغا كان أخذه في الدولة المنصورية عثمان لما قبض على يلباي - المذكور - وحبس بثغر الإسكندرية حسب ما تقدم.

وفي يوم الأربعاء العشرين منه وصلت رمة الأمير سونجبغا إلى القاهرة، ودفنت بالقرافة بالقرب من قبر الإمام الشافعي رضي الله عنه.

وفي يوم الخميس حادي عشرينه نودي بالقاهرة على الدينار الذهب الأشرفي بأن يكون سعره مائتين وخمسة وثمانين درهماً، وكان الدينار - المذكور - قد مشى بين الناس من مدة أشهر وتعاطوه بثلاثمائة درهم وثلاثين درهماً، فشق ذلك على الناس إلى الغاية.

ونودي - أيضاً - بعدم المعاملة بالدينار المنصوري الذي زنته درهم واحد،

وكان هذا الدينار قد ضربه الملك المنصور عثمان في أيام سلطنته، وجعله بمائتين وتسعين درهماً.

وفيه أنعم السلطان علي الأمير يرشباي الإينالي المؤيدي. الأمير آخور الثاني - كان - بإقطاع تغري بردي القلاوي.

وأنعم على الأمير سودون الإينالي المؤيدي - المعروف بقراقاش - بإقطاع عبد الله الكاشف، وكان قد وعد به قبل تاريخه كما تقدم ذكره.

وأنعم على الأمير تنم الحسني الأشرفي بإقطاع برسباي الساقي، وعلى الأمير قلمطاي الإسحاقي الأشرفي برسباي بإقطاع يلبغا الجاركسي بحكم عجزه. لكل واحد إمرة عشرة.

وكان إقطاع يلبغا - هذا - قد وعد به الأمير يلباي - قبل تاريخه - فلما رد إلى يلباي إقطاعه أنعم السلطان بإقطاع يلبغا على تنم وقلمطاي المذكورين.

وفي يوم الجمعة ثاني عشرينه وصلت رمة الأمير تغري بردي القلاوي إلى القاهرة ودفنت - أيضاً - بالقرافة.

وفي يوم السبت ثالث عشرينه أنعم السلطان علي السيفي ازبك المؤيدي الخاصكي، وعلى السيفي أزبك البواب الأشرفي برسباي بإمرة عشرة لكل واحد منهما إمرة خمسة.

[٢٦٩] وكان هذا الإقطاع // - أيضاً - من جملة ما بيد سونجبغا من الإقطاعات.

وفيه استقر قراجا العمري أحد أمراء العشرات ورأس نوبة كاشف إقليم البهنساوية عوضاً عن تغري بردي القلاوي.

وفيه استقر الأمير يلباي والأمير سودون قراقاش كل منهما رأس نوبة.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشرينه نودي على الدينار الذهب بأن يكون سعره على عادته (بـ) ثلاثمائة وعشرين درهماً.

وفيه استقر الأمير تنم والأمير قلمطاي كل منهما رأس نوبة من جملة رءوس النوب.

وفيه كتب مرسوم شريف بعود محب الدين ابن الشحنة إلى حلب بعد أن قارب قطيا أو تجاوزها على أقبح وجه.

وفي يوم الجمعة تاسع عشرينه كان الفراغ من مدرسة الرئيس سعد الدين إبراهيم بن الجيعان التي أنشأها بخط بولاق على شاطىء النيل بين قاعة الحجازية والبرابخية، وأقيم بها الخطبة، وصلى فيها الجمعة، وحضر فيها جماعة من أعيان الدولة.

جمادى الآخرة

أوله السبت.

فيه توفي الأمير دولات باي المحمودي المؤيدي الدوادار الكبير - كان - وأحد مقدمي الألوف الآن، ودفن من يومه بالصحراء خارج القاهرة.

قلت: لا مفر من الموت، ومن لم يمت بالسيف مات بغيره، وهو أنه لما قبض عليه الملك المنصور عثمان وحبسه بثغر الإسكندرية وقد قصد حاشية المنصور أخذ روحه، فلم يلبث في السجن غير أحد وثلاثين يوماً وخلصه الله على يد الملك الأشرف إينال، وأنعم عليه الأشرف - المذكور - بإمرة مائة وتقدمة ألف بعد موت الأمير أرنبغا اليونسي، فلم تطل مدته ومرض ولزم الفراش حتى توفي، فكانت مدة أيامه بعد الإفراج عنه تقارب مدة أيام حبسه، فإنه قبض عليه يوم الخميس سابع عشر صفر، وقدم القاهرة في يوم الأربعاء سابع عشر شهر ربيع الأول، يأتي ذلك كله في هذا الكتاب مفصلاً إن شاء الله تعالى.

وفي يوم الاثنين ثالثه أنعم السلطان بإقطاع دولات باي الدوادار على الأمير خيربك المؤيدي أتابك دمشق - كان - وهو إمرة مائة وتقدمة ألف، بعد أن أخرج السلطان ما كان في الإقطاع من الزيادات، فأنعم بقرية منبابة تجاه بولاق // على الخليفة، وقرية أخرى بالوجه القبلي على الأمير جانبك الظاهري [٢٧٠] جقمق شاد بندر جدة.

وفي يوم الأربعاء خامسه ورد الخبر بموت الأمير قانصوه النوروزي أحد

مقدمي الألوف بدمشق، وأنعم بإمرته على الأمير قانبك المحمودي المؤيدي أحد الأمراء البطالة بدمشق.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشره عينّ السلطان تجريدة إلى البحيرة نحو ثلاثمائة مملوك من المماليك السلطانية، وعليهم الأمير طوخ من تمراز الناصري أمير مجلس.

وفيه أخذ قاع النيل فجاءت القاعدة - أعني الماء القديم والذي أضيف إليه من زيادة هذه السنة - ثمانية أذرع وخمسة أصابع.

وفي يوم الجمعة رابع عشره وصل إلى القاهرة القاضي محب الدين محمد بن الشحنة بعدما كان رسم السلطان بعوده إلى حلب ثانياً، فلما بلغه ذلك أرسل وعد السلطان بمال كثير، فرسم له بالقدوم فقدم في اليوم - المذكور - وحمل إلى الخزانة الشريفة نحو العشرة آلاف دينار - على ما قيل - وطولب بأكثر من ذلك، وهو الآن في شغل بنفسه بسبب ما طولب به.

قلت: وهذا دأب هذا الشقي؛ فإنه لم يزل يحمل ذمته ويحمل إلى أرباب الدولة الأموال الكثيرة والتحف حتى يبلغ مقاصده السيئة في أذى المسلمين، على أنه لم يزل في ذل وصغار وبهدلة وتراسيم، بل ربما أهين بالضرب والحبس في بعض الأحيان، وهو مع ذلك لا يزداد إلاّ حرصاً في السعي والتردد إلى الأكابر.

وقد ذكرنا من حاله شيئاً كثيراً مفصلاً في وقته، على أننا سكتنا عن الأكثر؛ وذلك لما فيه من الشناعة، من كونه متخلق بأخلاق الفقهاء، بل قاضي الشريعة ومن أعيان فقهاء الحنفية، ومن بيت علم وفضل.

وفي يوم الخميس سابع عشرينه سافر الأمير طوخ بمن معه من المماليك السلطانية إلى البحيرة.

شهر رجب

أوله الأحد.

فيه رخصت الأسعار حتى أبيع الإردب القمح بمائة وأربعين درهماً إلى ما دونها، والفول بتسعين درهماً الإردب إلى ما دونها، والشعير كذلك، وانحط سعر

سائر الحبوب، وكذلك سائر المأكولات من اللحوم وغيرها، ولله الحمد.

وفي هذا الشهر لهجت الناس بوقوع فتنة، ولم يدر // أحد من القائم [٢٧١] بهذا الأمر، بل الظاهر أن جماعة من أعيان الدولة نفروا خاطر السلطان من جماعة الأشرفية حسداً لهم، ووغروا خاطره عليهم، وحذروه منهم، فانقاد لهم السلطان قليلاً في الباطن لما عنده من إلحاح الأشرفية عليه في طلب الإقطاعات والوظائف، وإدخالهم فيما لا يعنيهم، على أنه إلى الآن يعطيهم ما سألوا، ويظهر لهم المحبة والميل.

وفي يوم[1] الخميس ثاني عشره نودي بزينة القاهرة لأجل دوران المحمل، فزينت القاهرة أحسن زينة.

وفي يوم الجمعة ثالث عشره عقد عقد الأمير جانبك الأشرفي الخازندار على بنت الملك الظاهر جقمق بحضرة السلطان الملك الأشرف إينال.

وفي يوم الاثنين سادس عشره دار المحمل بالقاهرة، ولعبت الرماحة بالرملة بين يدي السلطان على عادة السنين الماضية، وكان محملاً بهيجاً إلى الغاية، وسر الناس بعمله سروراً زائداً، وتغالوا في اكتراء البيوت والحوانيت والأسطحة مغالاة كبيرة.

ومما وقع فيه من اللطائف أنهم لما زينوا القاهرة وشرعت عفاريت المحمل تضحك الناس على العادة ـ وهم جماعة من الأجناد وغيرهم يغيرون صفاتهم بهيئة مزعجة مهولة إلى الغاية، ويركبون خيولاً بالقلاقل والأجراس والشراشح، ويعتبون على العوام ـ فلما كان يوم المحمل خرج شخص من التجار المشارقة يسمى سليمان على فرس له، وقصد جهة من الجهات، فلما صار في وسط الحلقة قصده عفريت وطعنه برمحه حتى رماه عن فرسه بعد أمور وقعت بينهما، فضحك الناس من ذلك، فقال في هذا المعنى شخص من الفضلاء يسمى الشيخ حسن ابن الشيخ إبراهيم التلوي الحصني بيتين، وأنشدنيهما من لفظة :

أرى كل شيء يستحيل بضده ولم أر شيئاً في الزمان كما كانا
سليمان كم أرمى العفاريت في بلا وعفريت هذا الدهر أرمى سليمانا
(الطويل)

---

(١) « يوم » مكررة في الأصل.

وفي يوم الخميس تاسع عشره لبس محب الدين ابن الشحنة خلعة الاستمرار بقضاء حلب.

وفيه ندب السلطان الأمير قانم الأشرفي أحد أمراء العشرات ورأس نوبة بنقل الأمراء المسجونين بثغر الإسكندرية منها إلى حبوس البلاد الشامية، ما خلا الأمير تنم أمير سلاح والأمير قاني باي الجاركسي أمير / / آخور، وهم: [٢٧٢]

الأمير تمربغا الدوادار، والأمير لاجين شاد الشراب خاناه، والأمير أزبك الخازندار، والأمير سنقر الأمير آخور الثاني، والأمير جانم الساقي رأس نوبة، والأمير قراجانبك نائب الإسكندرية، والأمير سودون رأس نوبة، والأمير جانبك البواب، والجميع ظاهرية جقمقية.

وفي هذا اليوم استقر السيفي طوغان شيخ الأشرفي ناظر الحرم بمكة - المشرفة - وما معها، عوضاً عن بردبك التاجي لكثرة الشكاة عليه.

وفي يوم السبت حادي عشرينه استقر القاضي[1] الزيني أبو بكر ابن القاضي بدر الدين محمد بن مزهر في نظر الإصطبلات، عوضاً عن القاضي برهان الدين ابن الديري الحنفي.

وفي يوم الجمعة سادس عشرينه ورد الخبر بقتل الأمير قشتم المحمودي الناصري فرج كاشف البحيرة.

وأمره: أنه لما نزل عرب لبيد بالقرب من تروجة حسن إليه جماعة من عرب الطاعة أنه يتوجه إليهم ويردعهم، وكانوا لبيد في آلاف من العربان، فتوجه قشتم - المذكور - إليهم وقاتلهم بمن معه من البلاصية لا غير وعربان الطاعة، ثم انكسر وقتل هو وجماعته وجماعة من العربان، ولم ينج منهم إلا القليل.

وأما أمر الأمير طوخ أمير مجلس بمن معه من المماليك السلطانية، فإنه لم يوافق قشتم على قتال لبيد، واعتذر أنه لم يكن معه مرسوم بقتالهم، فسلم هو وجماعته، وقتل قشتم - رحمه الله.

---

(١) في « أ »: « القاضوي ».

وكان قشتم ـ المذكور ـ من محاسن الدهر، يأتي ذكره في آخر هذه السنة، عند تراجم من مات فيها ـ إن شاء الله تعالى.

وفي هذه الأيام أنعم السلطان على السيفي جكم الأشرفي ـ خال الملك العزيز، الذي قدم قبل تاريخه من مكة المشرفة ـ بإقطاع بردبك التاجي المقيم بمكة؛ لسوء سيرة بردبك ـ المذكور ـ ولشكوى الناس منه، ورسم بنفي بردبك ـ المذكور ـ من مكة إلى البلاد الشامية. والإقطاع إمرة عشرة.

وفي يوم الاثنين سلخه ـ ويوافقه ثالث عشر مسرى أحد شهور القبط ـ أوفى النيل المبارك ستة عشر ذراعاً، وزاد أربعة أصابع من الذراع السابع عشر، فندب السلطان الملك الأشرف إينال ولده المقام الشهابي أحمد للنزول لفتح الخليج، فركب في وقته من قلعة الجبل في وجوه // الدولة، ونزل وعدى النيل حتى خلق [٢٧٣] المقياس، ثم عاد في الحراقة وفتح خليج السد على العادة، ثم عاد إلى القلعة. وخلع عليه والده فوقاني بطرز زركش، وكان يوماً مشهوداً، وسر الناس بوفاء النيل سروراً زائداً، ولله الحمد. وما أحسن قول سبط الملك الحافظ في هذا المعنى:

لله در الخليج إنَّ له	تفضلا لا نزال نشكره
حسبك منه بأن عادته	يجبر من لا يزال يكسره

(المنسرح)

وفيه استقر ابن حسن بك الدوكاري في كشف الوجه البحري، عوضاً عن قشتم المذكور.

شعبان

أوله الثلاثاء.

فيه عين السلطان تجريدة إلى البحيرة نجدة للأمير طوخ لقتال لبيد، وهم نحو خمسمائة مملوك من المماليك السلطانية، وجماعة من الأمراء الألوف والطبلخانات والعشرات.

فأما الألوف فرأسهم الأمير خشقدم المؤيدي أمير سلاح، والأمير قرقماس الأشرفي رأس نوبة النوب، والأمير برسباي البجاسي.

وأما الطبلخانات والعشرات فجماعة يطول الشرح في تسميتهم.

وسافروا الجميع من الغد في يوم الأربعاء.

وفي يوم الخميس ثالثه لبس الصاحب جمال الدين يوسف بن كاتب جكم ناظر الجيوش المنصورة والخاص كاملية بسمور، لكونه قام بتمام جهاز بنت السلطان.

وفي يوم السبت خامسه حمل جهاز بنت السلطان الملك الأشرف إينال إلى بيت زوجها الأمير يونس الآقبائي الدوادار الكبير تجاه الكبش، وكان الجهاز - المذكور - يقارب جهاز أولاد السلاطين، ولكن أين هذا من جهاز بنت الملك الظاهر جقمق التي زوجها بمملوكه الأمير أزبك من ططخ الساقي؟! فإنه كان أكثر تحفاً وأحسن قماشاً.

وفي يوم الثلاثاء ثامنه عمل السلطان مدة بالحوش السلطاني للأمراء وغيرهم. وكان الأمير يونس عمل في أمسه يوم الاثنين مدة - أيضاً - للأمراء بحسب الوقت والحال، واستمر المهم من يوم الاثنين إلى يوم الخميس عاشره، ثم حملت بنت السلطان في محفة في آخر النهار - المذكور - إلى بيت زوجها يونس، وبنى بها في تلك الليلة.

ووقع في نزولها أمر قبيح إلى الغاية، وهو أن النسوة اللائي كن في المهم بالدور السلطاني لما خرجن في العتمة اختطف بعضهن جماعة // من المماليك [٢٧٤] السلطانية الأجلاب الذين بالأطباق، وكثر كلام الناس في هذا السبب، وتشوش خاطر كل من كان حريمه بقلعة الجبل من أن المأخوذ يكون حريمه، فإنه لا يدري أحد من المأخوذ.

فأصبح السلطان يوم السبت أعرض مماليك الأطباق، ورسم بنزول جماعة منهم إلى القاهرة.

وفي يوم الاثنين رابع عشره رسم السلطان بكتابة مرسوم شريف إلى دمشق المحروسة بالإفراج عن أبي الخير النحاس من سجن قلعة دمشق، ورسم له بالركوب والنزول والتوجه إلى حيث شاء.

وفي يوم الخميس سابع عشره رسم السلطان بمجيء الأمراء الذين بالبحيرة بمن معهم من العساكر السلطانية، فعندما بلغهم ذلك عادوا إلى جهة القاهرة حتى وصلوها في يوم الأحد سابع عشرينه، فخلع السلطان على الأمراء الألوف كل واحد فوقاني بطرز زركش.

شهر رمضان

أوله الأربعاء، ويوافقه ثامن توت أحد شهور القبط.

فيه ركبت المماليك السلطانية بالرميلة بغير سلاح، وطلبوا من السلطان نفقة ثانية، وقالوا: تلك النفقة التي أخذناها كانت النفقة التي صرها الملك المنصور عثمان ابن الملك الظاهر جقمق، وصمموا على ذلك، وترددت الرسل بين السلطان وبينهم، وهم: الأمير جانبك المرتد، والأمير سودون قراقاش المؤيدي رأس نوبة، وتكرر ترددهم ثلاث مرات حتى انتهى الكلام أن السلطان يرضيهم بعد ثلاثة أشهر، واعتذر لهم أنه لم يكن بالخزانة الدينار الواحد.

وفي هذا اليوم تسحب الصاحب الوزير أمين الدين إبراهيم بن الهيصم لعجزه عن القيام بالكلف السلطانية، وأشيع تولية الجمالي ناظر الجيش والخاص الوزر، فصمم على عدم القبول واستعفى غير مرة.

وفي يوم السبت رابعه استقر زين الدين فرج بن ماجد بن النحال كاتب المماليك السلطانية وزيراً بعد تسحب الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم.

وفي يوم الاثنين سادسه لبس فرج ـ المذكور ـ خلعة الوزر ـ الطرحة[1] والقبع[2] الزركش والقلادة[3] والأخفاف ـ على عادة الوزراء؛ فإنه كان يوم

---

(١) الطرحة هي الطيلسان المقور ـ راجع: المقريزي: الخطط ج ١ ص ٤٤٠، دوزي. المعجم المفصل ص ٢١٢ ـ ٢١٦.

(٢) القبع، والجمع: أقباع، هو الكلوتة أو الطاقية أو العرقية ـ دوزي. المعجم المفصل ص ٢٧٩ ـ ٢٨١.

(٣) أشار المقريزي (الخطط ج ١ ص ٤٤٠) إلى أنه (لقصور أحوال الدولة ـ على وقته ـ جعل عوض العقد الجوهر الذي كان للوزير ـ ويفك بخمسة آلاف مثقال ذهباً ـ قلادة من عنبر مغشوش، يقال لها: العنبرية: ويتميز بها الوزير خاصة).

السبت لبس كاملية بمقلب سمور لا غير ، وهو أن السلطان كان عين الكاملية للصاحب أمين الدين المتسحب لتكون خلعة الاستمرار ، فلما تمَّ اختفاء [٢٧٥] الصاحب أمين الدين طلب السلطان ـ فرج المذكور / / وألبسه إياها ، ثم أنعم عليه في يوم الاثنين هذا خلعه الوزر .

وفيه استقر شخص من القبطية يسمى زين الدين عبد الرحمن من جملة كتاب المماليك في كتابة المماليك ، عوضاً عن فرج المذكور .

وفي يوم الأربعاء ثامنه ورد الخبر على السلطان بموت الأمير بيغوث من صفر خجا المؤيدي الأعرج نائب صفد، فرسم السلطان بنقل الأمير إياس الناصري فرج الطويل أتابك طرابلس إلى نيابة صفد، عوضاً عن بيغوث ـ المذكور ـ وحمل إليه التشريف والتقليد على يد الأمير خشكلدي القوامي الناصري أحد أمراء العشرات.

واستقر حطط الناصري المعزول عن نيابة غزة قديماً، وهو إذ ذاك أحد أمراء طرابلس في أتابكية طرابلس ، عوضاً عن إياس المذكور .

وأنعم بإقطاع حطط ـ المذكور ـ على جانبك المحمودي المؤيدي أحد البطالين بطرابلس، وهي إمرة عشرين .

وفي يوم الثلاثاء رابع عشره لبس الأمير خشكلدي القوامي خلعة السفر.

وفي عصر يوم الجمعة سابع عشره ركب الأمير جانبك من أمير الأشرفي الخازندار أمير حاج المحمل المسايرة على النجب، ودار الرملة، ثم توجه إلى جهة الصحراء خارج القاهرة، وعاد بعد عشاء الآخرة من يومه، وكانت هذه المسايرة من المحاسن التي أبطلها الملك الظاهر جقمق.

وفي يوم الاثنين عشرينه ـ ويوافقه سابع عشرين توت أحد شهور القبط ـ بلغت زيادة النيل المبارك إلى اثنين وعشرين إصبعاً من الذراع التاسع عشر ، وهو آخر زيادة النيل في هذه السنة .

وفي ليلة الأربعاء تاسع عشرينه دخل رجل من العامة إلى الجامع الأزهر من القاهرة، فمسكه المجاورون، وهم الذين برواق الريافة، وذكروا أنه أخذ لهم قبقاباً، فتكاثروا عليه وضربوه حتى مات، وألقوه على باب الجامع ـ المذكور ـ فحضر والي القاهرة خير بك القصروي لدفنه، وهرب من بالجامع من الريافة أجمعين، وطلبهم العامة للفتك بهم فلم يجدوا بالجامع أحداً منهم، وتغير خاطر الخاص والعام عليهم، وانطلقت الألسن بسبهم، وذكروا مساوئهم وما يفعلونه من القبائح. ثم عادوا بعد أيام بأمان من السلطان.

هذا، والناس في قلق زائد من الإشاعة بركوب المماليك السلطانية على السلطان في يوم عيد الفطر.

شوال

أوله الجمعة.

فيه حضر السلطان الملك الأشرف صلاة العيد // بجامع القلعة، ثم [٢٧٦] خلع على الأمراء وأرباب الوظائف على العادة في كل سنة، وانفض الموكب ولم يحصل إلا الخير والسلامة.

ثم حضر السلطان من يومه صلاة الجمعة بالجامع ـ المذكور ـ وعاد إلى الدور، ونزل كل أمير إلى بيته، وقد كثر كلام الناس في هذين الخطبتين في يوم واحد، ولهجت الألسن بالتشاؤم بهن على الملك، فسبحان علام الغيوب.

وفي يوم الاثنين حادي عشره لبس الأمير جانبك الظاهري جقمق شاد بندر جدة على عادته في السنين الماضية، عوضاً عن بردبك التاجي، ونفى بردبك التاجي إلى القدس، وهو يوم وصوله من الحجاز إلى الصحراء، فتوجه إلى القدس قبل دخوله إلى القاهرة.

وفي يوم الثلاثاء ثاني عشره ورد الخبر بانهزام مماليك الزيني يحيى الأستادار الذين توجهوا إلى جهة قبلي لقتال عرب قتيل الخارجة عن الطاعة، بعد أن قتل من مماليك الزيني يحيى الأستادار نحو ستة أنفار.

وفي يوم الجمعة خامس عشره وصل الخبر من الشريف بركات بن حسن ابن عجلان أمير مكة يتضمن خروج القواد ذوي عمر عليه وانضمامهم على الأشراف، ورأس الأشراف أحمد بن إبراهيم بن حسن بن عجلان، وأراد الجميع نهب التجار الذين بمكة والفتك ببركات - المذكور -.وأن بركات لبس وعسكره آلة الحرب، ونزل بين جدة وحدة ليقاتل هؤلاء المذكورين ويمنعهم من مقصودهم، وطلب - أيضاً - خمسين مملوكاً من المماليك السلطانية زيادة على الخمسين التي تتوجه صحبة الحاج على العادة في كل سنة لتتمة مائة مملوك.

فلما بلغ السلطان الخبر أصبح من الغد في يوم السبت قبض على الشريفين زاهر بن أبي القاسم بن حسن بن عجلان، وابن علي بن حسن بن عجلان، وحبسهما بالبرج من القلعة، وكانا بالقاهرة.

وفي يوم الاثنين ثامن عشره برز أمير حاج المحمل الأمير جانبك الخازندار إلى بركة الحجاج، وأمير حاج الركب الأول عبد العزيز بن محمد الصغير أحد الأجناد الحجاب.

وفيه تسحب الزيني يحيى الأستادار ولم يعرف أين ذهب، وبلغ السلطان الخبر فأرسل طلب علي بن الحاج محمد الأهناسي آستادار ولد السلطان المقام الشهابي أحمد، وخلع عليه باستقراره آستاداراً عوضاً عن زين الدين المذكور.

وعلى - هذا - كان برددارا عند زين الدين الأستادار في أيام مباشرته، [٢٧٧] ولكنه أعرف بديوان // المفرد من غيره، ونزل بالخلعة وبين يديه أعيان الدولة.

قلت: ولله در القائل:

بذا قضت الأيام ما بين أهلها   مصائب قوم عند قوم فوائد

[الطويل]

ثم إن السلطان بعد ولاية الأهناسي الأستادارية رسم من يومه بأن يكتب إلى الأقطار والأعمال مراسيم شريفة تتضمن القبض على زين الدين - المذكور - حيث أمكنهم، والفحص عليه وتطلبه في كل مكان وجهة.

وأصبح على الأهناسي الأستادار قبض على جماعة من مماليك زين الدين الأستادار وحواشيه، وضرب دواداره جانبك وأمير آخوره فرج، وألزمهما بحمل مال له صوره، وفعل ذلك بغيرهم من مباشري الديوان في إلزام المال لا غير.

وفي يوم الخميس حادي عشرينه فرق الأستادار الجامكية على العادة.

وفي يوم السبت ثالث عشرينه وصل قاصد خوندكار محمد بن مراد بن عثمان متملك برصا وغيرها من بلاد الروم لتهنئة السلطان الملك الأشرف إينال بالسلطنة، وأيضاً يبشره بهذا الفتح العظيم الذي فتحه الله على مرسله محمد المذكور.

وهو انه فتح مدينة إسطنبول عنوة، وأخذها من الفرنج بعد قتال عظيم في يوم الثلاثاء، العشرين من جمادي الأولى بعد أن أقاموا في محاصرتها من يوم الجمعة سادس عشرين ربيع الأول من السنة، وقدم القاصد - المذكور - معه بأسيرين من عظماء أهل قسطنطينية - وقسطنطينية هي كنيسة اسطنبول، وهي قدر مدينة عظيمة - وشق بهم القاهرة وقد زينت القاهرة بسببهم - ولله الحمد - واستمرت الزينة بالقاهرة أياماً والطبلخاناه السلطانية تدق في صباح كل يوم، وحصل للناس قاطبة السرور الذي لا مزيد عليه.

وفي يوم الاثنين خامس عشرينه طلع قاصد خوندكار محمد بن مراد بن عثمان إلى القلعة بعد أن شق القاهرة ثانياً وقد زينت - وكان قد أنزله السلطان بدار زين الدين يحيى الأستادار بعد هروبه، تجاه مدرسته التي عند باب سعاده - وقد احتفل السلطان لطلوع القاصد - المذكور - وعمل الخدمة بالحوش السلطاني من القلعة من غير أن تحضر القضاة، وتمثلوا بين يدي السلطان. وقدموا ما معهم من الهدية التي أرسلها محمد بك المذكور.

وكانت على عدة أقفاص حمالين، تسعة[1] // أقفاص سمور، وتسعة [٢٧٨] وشق، وتسعة قاقم، وتسعة سنجاب، وتسعة مخمل مذهب، وتسعة مخمل ملون بلا ذهب، وتسعة شقق أطلس، ومماليك نحو من ثلاثين مملوكاً

(١) «تسعة»: مكررة في «أ».

فقبل السلطان الهدية ورحب به، ثم أنزل إلى محل إقامته ومعه رفقته، وهم يتفرجون في زينة القاهرة - وكانت زينة عظيمة - واستمرت الزينة أياماً كثيرة، وتغالت العوام فيها، واستمرت البشائر تدق في صباح كل يوم أياماً.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشرينه خلع السلطان على الأستادار على الأهناسي باستقراره ملك الأمراء بالوجه القبلي والبحري، وكشف الجسور بالوجه البحري.

وفيه نودي بالقاهرة على زين الدين الأستادار وهدده من أخفاه بالشنق ووعد من أحضره بألف دينار إن كان متعمماً، وإن كان جندياً يعطي إقطاعاً

ثم أصبح في يوم الأربعاء - أيضاً - نودي بمثل ذلك في شوارع القاهرة، وأضيف إلى الأستادار الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم الذي كان تسحب قبله، ثم نودي في يوم الخميس - أيضاً - بذلك.

وفيه نودي بتقوية الزينة. وما كان يحتاج إلى هذه المناداة، فإن العامة تغالوا في ذلك، ولم يبق أحد منهم ممكناً، ولم تكن الزينة في الشارع الأعظم وحده، بل كانت في كل شارع من شوارع القاهرة، ووقع في مدة أيام هذه الزينة مفاسد عظيمة إلى الغاية؛ من فسق وتعاطي منكرات لطول مكث الزينة في هذه الأيام.

وفي يوم الجمعة سلخه - الموافق لسادس هاتور أحد شهور القبط - لبس السلطان الملك الأشرف إينال القماش الصوف الملون، وألبس الأمراء على العادة - في كل سنة.

ذو القعدة

أوله السبت

ثبت سعر الذهب الأشرفي في الصرف ثلاثمائة وخمسة وثلاثين درهماً، وفي المعاملة ثلاثمائة وأربعون، والمنصوري بمائتين وخمسة وتسعين درهماً، وبثلاثمائة في المعاملة، وهو الدينار الذي ضربه الملك المنصور عثمان ابن الملك الظاهر

جقمق، وزنته درهم واحد، وكانت هذه الزيادة من أواخر الشهر الماضي.

وفيه أضاف السلطان القاصد - المذكور - بالحوش من القلعة ومد له مدة هائلة، وخلع عليه كاملية مخمل أحمر بفرو سمور بمقلب سمور.

وفيه نودي بهدم زينة القاهرة.

/ / وفي يوم الاثنين ثالثه استقر القاضي محب الدين ابن الشحنة الحنفي [٢٧٩] كاتب السر الشريف بالديار المصرية، بعد عزل القاضي محب الدين ابن الأشقر على مال بذله في ذلك، وهو مبلغ عشرة آلاف دينار.

وفي يوم الثلاثاء رابعه خلع السلطان على العلائي علي بن إسكندر باستقراره والي القاهرة بعد عزل خير بك القصروي على مال بذله - أيضاً - وهو مبلغ أربعة آلاف دينار.

وعلي - هذا - هو الذي كان ولي الحسبة الكبرى بالقاهرة في الدولة الظاهرية جقمق بسفارة أبي الخير النحاس.

وفي يوم الخميس سادسه خلع علي الشيخ علي المحتسب العجمي كاملية بمقلب سمور، خلعة الاستمرار على وظيفة الحسبة.

وسبب ذلك أن شخصاً من أوباش الناس سعى في الحسبة بمبلغ ثلاثة آلاف دينار، وكان السلطان قد مال إلى توليته، فتكلم بعض أرباب الدولة في استمرار الشيخ علي - المذكور - على أن يحمل إلى الخزانة الشريفة ألفي دينار، ويكون على حاله.

وفي يوم الاثنين عاشره خلع (علي) يوسف ابن الأمير يشبك الحمزاوي بنيابة قلعة الروم.

وفي يوم الثلاثاء حادي عشره خلع على الأستادار خلعة كشف التراب، وخلع على الوزير - أيضاً - مثل ذلك، وخلع على ابن الشحنة خلعة الأنظار المتعلقة بكتابة السر.

وفيه استقر شخص من الكتبة يعرف بابن السكر والليمون ناظر ديوان المفرد.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشره نزل المقام الشهابي أحمد ابن السلطان الملك الأشرف إينال من القلعة، وتوجه إلى الرماية. ومعه الأمير خشقدم أمير سلاح، والأمير برسباي البجاسي أحد مقدمي الألوف بالقاهرة، وجماعة آخر من أمراء العشرات وغيرهم - وهذا أول نزوله إلى الرماية - وعاد من الغد في يوم الخميس.

وفي يوم السبت خامس عشره استقر ناصر الدين محمد بن أصيل - موقع السلطان قديماً في أيام إمرته - في نظر الجوالي بعد عزل شرف الدين موسى التتائي الأنصاري عنها.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشره خلع السلطان على القاضي محب الدين ابن الأشقر باستقراره في نظر خانقاه سرياقوس، عوضاً عن تمراز الإينالي الأشرفي الدوادار الثاني بحكم عزله.

[٢٨٠] وفي هذا // اليوم أمر السلطان بهدم مكان مبنى على يمين محراب زيادة جامع الحاكم، فهدم بحضرة قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني، والصاحب جمال الدين يوسف ناظر الجيش والخاص، وجماعة - أيضاً - من أعيان الدولة حتى أتوا على قطعة جيدة منها فلم يقعوا على قصدهم، فكفوا عن الهدم وعادوا أخبروا السلطان بما وقع.

وسبب ذلك أن شخصاً من العبيد البابية برحبة الأيدمري طلع إلى السلطان، وقال له: عندي ما يدل على أن بالموضع الفلاني صندوق بلور فيه أوراق تدل على خبيئة بالجامع المذكور. فسمع له السلطان وفعل ما ذكرناه بحضرة العبد - المذكور - فلم يجد إلا التعب والقالة.

وانصرف كل أحد إلى حال سبيله، وكثر ترداد الناس إلى موضع الهدم للفرجة أياماً.

وفي يوم الخميس عشرينه سافر الأمير برشباي الإينالي المؤيدي الأمير آخور الثاني - كان - رسولاً إلى بلاد الروم، وسافر قاصد متملك الروم بعده في يوم السبت ثاني عشرينه.

وفي يوم الاثنين رابع عشرينه بلغ السلطان خروج الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهصم من اختفائه، وأنه متمرض عند بعض أقاربه بالمقس، فأمنه السلطان وأمره بلزوم داره.

وفيه ورد الخبر من الأمير قاني باي الحمزاوي نائب حلب بأخذ مدينة دوركي وقلعتها من نائبها ابن شهري، وأن نائبها ـ المذكور ـ هرب منها بعد أن حوصر عدة أيام كثيرة.

وسبب ذلك أن ابن شهري ـ المذكور ـ لما كان نائباً بدوركي داخله الطمع، فاستولى على مال للسلطان وغيره في ذلك الاضطراب في أوائل الدولة، وعصى بعد أخذ المال، فقاتله أهل دوركي أياماً كثيرة إلى أن هرب منها، وتسلمها جماعة من جهة نائب حلب، وأرسل نائب حلب يعلم السلطان بذلك.

وفي هذا اليوم أعيد منصور بن شهري إلى نيابة كركر، فإنه كان قدم قبل تاريخه بأيام بعد أن عصى أخوه نائب دوركي خوفاً من الكلام.

وفي يوم الخميس سابع عشرينه مسك السلطان ير علي الخراساني محتسب القاهرة وحبسه عند الأمير فيروز النوروزي الخازندار على مال طلبه منه.

وفي يوم السبت // تاسع عشرينه استقر علي ابن شهاب الدين أحمد [٢٨١] الكاشف المعروف أبوه بابن أم حرج في حسبة القاهرة، بعد عزل الشيخ (ير) على الخراساني ـ المذكور ـ وذلك بمال بذله نحو الثلاثة آلاف دينار.

ذو الحجة

أوله الأحد.

كان هذا الشهر والذي قبله نواقص، لأن أول شوال كان الجمعة، وأول ذي القعدة السبت، بل أرخه بعض الناس الأحد، فيكون ذو القعدة على حكم من أرخه الأحد ثمانية وعشرين يوماً ـ انتهى.

ففي يوم الاثنين ثاني ذي الحجة خلع السلطان على الأمير جانبك النوروزي المعروف بنائب بعلبك ـ أحد أمراء الطبلخانات ورأس نوبة ـ بنيابة

الإسكندرية، بعد عزل الأمير يونس العلائي الناصري، ولبس خلعة السفر في يوم الخميس خامسه، وسار إلى محل نيابته.

وفي يوم الاثنين سادس عشره وصل الأمير يونس العلائي من الإسكندرية إلى القاهرة وهو مريض ،(و) لازم الفراش.

وفي هذه الأيام عزل السلطان عبد الله كاشف الشرقية، وألزمه بحمل عشرين ألف دينار، وتولى عوضه كشف الشرقية تغري بردي السيفي بخشي باي الأمير آخور الأشرفي.

وفي يوم الاثنين ثالث عشرينه استقر الأمير خشكلدي الزيني عبد الرحمن بن الكويز، أتابك طرابلس، بعد موت الأمير حطط الناصري بمال وعد به ، وهو مبلغ أربعة آلاف دينار، ثم تغير ذلك في الوقت ، وأنعم السلطان بأتابكية طرابلس على الأمير سودون من سيد (ي) بك القرماني الناصري أحد أمراء الألوف بحلب .

وفي يوم الثلاثاء رابع عشرينه ظهر الأمير زين الدين يحيى الآستادار بأمان من السلطان في أمسه، وأصبح طلع إلى القلعة من الغد في يوم الثلاثاء ـ المذكور ـ صحبة الصاحب جمال الدين ناظر الجيش والخاص، وتمثل بين يدي السلطان وعلى رأسه فوق عمامته منديل الأمان، وعليه ملوطة طرح أو ملوطة بيضاء[1] ، وقبل الأرض ، فخاشنه السلطان وأغلظ له في اللفظ ووبخه ، وأمره أن يسكن في بعض الدور ، ولا يجتمع بأحد البتة ، ولا يكاتب أحداً من أعيان الدولة ، ومتى وقع منه خلاف ذلك آذاه ، وأظهر السلطان عدم الالتفات إليه إلى الغاية ، ثم تأخر ونزل من القلعة كالمختفي / / من بعض أبوابها [٢٨٢] وحده .

وفي يوم الثلاثاء ـ هذا ـ والذي قبله والذي بعده نودي بالقاهرة على الذهب الأشرفي بأن يكون صرف كل أشرفي ثلاثمائة درهم وعشرين درهماً، وهدد من زاد على ذلك.

---

(١) الملوطة : الجبة أو اللباس الفوقاني الواسع الملبوس فوق الفرجية ـ راجع : دوزي . المعجم المفصل ص ٣٣٢ ـ ٣٣٤.

وكان قد وصل إلى ثلاثمائة وخمسين درهماً، بل إلى يوم المناداة على ذلك السعر، وأظنه يزيد عن ذلك أيضاً.

وفي يوم الجمعة سابع عشرينه صلى السلطان صلاة الجمعة، ودخل إلى الحريم، فحصل له توعك انقطع فيه إلى باكر يوم الأحد خرج إلى الدهيشة، ودقت البشائر السلطانية لذلك.

وفي هذا الشهر ورد الخبر من نائب الشام بأن الحاج العراقي نهب، وقتل غالب من فيه شخص من الخوارج يدعى شعشاع ـ المدعي أنه المهدي بنواحي العراق ـ ولم يبلغ السلطان ذلك من مبشر الحاج المصري، فإنه مرض قبل وصوله إلى الينبوع، وقدم بالبشارة بعض الهجانة الأعراب، فلم يذكر شيئاً من ذلك.

أمر النيل في هذه السنة

كانت القاعدة ـ أعني الماء القديم ـ ثمانية أذرع وخمسة أصابع، وكان مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً واثنان وعشرون إصبعاً.

* * *

ذكر (من توفي)[1] من الأعيان في هذه السنة

(١) توفي الشهابي أحمد ابن الأمير فخر الدين عبد الغني ابن الوزير تاج الدين عبد الرزاق ابن أبي الفرج[2] والي قطيا في أوائل المحرم ، وهو في أوائل الكهولة ، رحمه الله ـ تعالى ـ وعفا عنه .

(٢) وتوفي السلطان الملك الظاهر جقمق العلائي ، أبو سعيد الظاهري[3] ، سلطان الديار المصرية ، الرابع والثلاثون من ملوك الترك ، والعاشر من ملوك الجراكسة في ليلة الثلاثاء ثالث صفر ، وصلّى عليه من الغد بمصلاة باب القلة من قلعة الجبل ، وحضر ولده السلطان الملك المنصور عثمان الصلاة عليه ، وصلّى عليه الخليفة القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة ، ودفن بتربة الأمير قاني باي الجاركسي الأمير آخور التي جددها بالقرب من دار الضيافة تجاه قلعة الجبل ، ومات وسنه زيادة على ثمانين سنة .

وكانت مدة ملكه إلى أن خلع بولده الملك المنصور عثمان أربع عشرة سنة وعشرة أشهر ويومين؛ لأنه ولي السلطنة بعد خلع الملك العزيز// يوسف ابن [٢٨٣]

(١) ساقط من « أ »، مثبت من « ب ».

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٢، السخاوي . الضوء اللامع ج ١ ص ٣٥٠.

(٣) له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧ تر ٨٤٧، المنهل الصافي ج ٤ ص ٢٧٥ ـ ٣١٢ تر ٨٤٩ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٥٧ ـ ١٦١ ، ١٦٢، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٧١ ـ ٧٤ تر ٢٨٧، السيوطي . نظم العقيان ص ١٠٣ تر ٦٣، عبد الباسط الحنفي . نزهة الأساطين ص ١٣٤ ـ ١٣٥ تر ١١، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٩ ـ ٣٠١، جواهر السلوك ج ١ ق ١١٨ .

الملك الأشرف برسباي في يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، وخلع من السلطنة بولده الملك المنصور عثمان برغبة منه إليه لشدة مرضه في يوم الخميس حادي عشرين المحرم سنة سبع وخمسين وثمانمائة، ومات بعد أن خلع باثني عشر يوماً في التاريخ المقدم ذكره.

وكان أصله جاركسي الجنس، جلبه من بلاده خواجا كزلك إلى الديار المصرية، فاشتراه أمير علي ابن الأتابك إينال اليوسفي ورباه، وأرسله إلى الحجاز صحبة والده وأعتقه، وبقي عنده مدة حتى عرفه أخوه الأمير جاركس القاسمي المصارع وهو إذ ذاك من أعيان خاصكية الملك الظاهر برقوق، وكلم الملك الظاهر برقوق في طلب جقمق - هذا - من أستاذه أمير علي بن إينال - المذكور - فطلبه الملك الظاهر من أمير علي وأخذه منه، ولم يعلم أنه أجرى عليه العتق، وأعطاه لأخيه جاركس أنِيًّا[1] في طبقة الزمام، ثم أعتقه الملك الظاهر برقوق بعد مدة يسيرة، وأنعم عليه بخيل وقماش، ثم جعله بعد أيام خاصكياً؛ كل ذلك بسفارة أخيه جاركس المصارع، واستمر على ذلك سنين إلى أن صار ساقياً في الدولة الناصرية فرج، ثم تأمر عشرة، ثم قبض عليه الملك الناصر فرج وحبسه بالقاهرة لما خرج أخوه عن الطاعة، ثم أطلقه الملك الناصر من الحبس؛ وضرب الدهر ضرباته وتسلطن الملك المؤيد شيخ (ف) أنعم عليه بإمرة عشرة ثم طبلخاناه، وجعله خازندارا بعد الأمير يونس الركني الأعور بحكم انتقال يونس إلى نيابة غزة، فاستمر على ذلك إلى أن صار بعد موت الملك المؤيد شيخ أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية[2]، ثم ولي حجوبية الحجاب في أوائل الدولة الأشرفية برسباي، ثم نقله الملك الأشرف (إلى) الأمير آخورية الكبرى في سنة ست وعشرين وثمانمائة بعد الأمير قصروة من تمراز، بحكم انتقال قصروة - المذكور - إلى نيابة طرابلس بعد (عزل)[3] الأمير إينال النوروزي وقدومه إلى القاهرة على إقطاع قصروة المذكور - كل ذلك حررناه في ترجمته في

---

(1) الإنى، والجمع: إنيات، لعل المراد به الزمبل الصغير في خدمة السلاطين والأمراء لأقرانه الكبار.

(2) في هامش «أ»: «حاشية: في أيام الظاهر ططر».

(3) مضاف من «ب»

تاريخنا المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي مفصلاً باليوم والسنة ـ فاستمر جقمق ـ المذكور ـ أمير آخوراً سنين عديدة إلى أن نقل إلى إمرة سلاح ، ثم صار أتابك العساكر بعد الأمير إينال الجكمي ، بحكم انتقال الجكمي إلى نيابة حلب عوضاً [٢٨٤] عن الأمير قرقماس الشعباني ، وقدم // قرقماس ـ المذكور ـ إلى القاهرة أمير سلاح[١] عوضاً عن جقمق ـ هذا ـ واستمر الملك الظاهر جقمق أتابك العساكر إلى أن مات الملك الأشرف برسباي في سنة إحدى وأربعين ، وأوصاه على ولده الملك العزيز يوسف ، فلم يمض غير أشهر حتى وثب جقمق ـ هذا ـ على العزيز وخلعه من ملكه ـ بعد أمور حكيناها في عدة أماكن ـ وتسلطن في التاريخ المقدم ذكره.

ووقع له في أوائل دولته خطوب وحروب وقاسى أهوالاً، منها: تسحب الملك العزيز يوسف، ومنها وقعة الأتابك قرقماس الشعباني، ومنها خروج الأتابك إينال الجكمي نائب الشام، وخروج الأمير تغري برمش نائب حلب، ووقع له أمور وحوادث، ثم صفا له الوقت بعد ذلك، وأخذ وأعطى، وأمر ونهى، وقرب من احب وأبعد من أبغض، وصار يخلط الصالح بالطالح، والعدل بالظلم ، فكان تارة يحكم أحكان سريجية[٢] ، وتارة أحكام قراقوشية[٣] .

وأبطل أشياء كثيرة من شعار المملكة، وأحدث أشياء كثيرة من المساوىء، وأتلف في سلطنته من الأموال والسلاح والخيول والقماش ما[٤] لا يدخل تحت حصر كثرة ، وحمل ديوان السلطنة من الكلف ما أتعب من جاء بعده .

كل ذلك والأقدار تساعده، والسعد يعاضده، إلى أن بلغ غاية الأمنية

---

(١) في «أ» : «أمير سلاحا».

(٢) نسبة إلى الفقيه الشافعي «أحمد بن عمر بن سريج البغدادي ، المعروف بابن الباز»، (ت ٣٠٦ هـ)، وكان صاحب مؤلفات ومناظرات موفورة دفاعاً عن السنة ؛ والمراد أن أحكامه شرعية صائبة.

(٣) نسبة إلى «بهاء الدين قراقوش»، وزير «صلاح الدين يوسف الأيوبي»، و«العادل أبي بكر»، وكان مع جلالة قدره ، وما نسب إليه من اهتمام بالعمارة والبناء ، صاحب أحكام خرقاء وصارمة ، ألف «ابن مماتي» انتقاداً لها كتاباً أسماه : «الفاشوش في أحكام قراقوش» والمراد أحكامه خرقاء، لا موجب لها من عرف أو شرع.

(٤) في «أ» : «من» .

هجمت عليه المنية ومرض أشهراً، وصار يظهر التجلد، ويحمل نفسه ويخرج إلى الدهيشة، ويصلي المكتوبة قائماً على قدميه، ويجلس ويعلم على المناشير القصص، حتى غلب عليه الضعف، وعجز عن نفسه، وانحط ولزم الفراش إلى أن مات رحمه الله.

وكان سلطاناً ديناً، كثير الصلاة والعبادة، عفيفاً عن المنكرات والفروج، طاهر الذيل، لا تعرف له صبوة قديماً ولا حديثاً، كثير التقشف، متواضعاً، يقوم للفقهاء والصلحاء إذا دخلوا عليه، يحب من يسلم عليه بخلاف قاعدة الملوك، فإنه لا يسلم أحد عليهم عند الدخول إليهم، وكان له معرفة بالفقه، وعنده استحضار لمذهبه وتعصب هين على عادة الملوك الحنفية، وكان ملازماً للقراءة على مشايخ القراء، وكان كريماً جداً (مـ) ـتلافاً مبذراً.

وكان يتصدى للأحكام بنفسه، وعنده الدعوى لمن سبق على قاعدة الأتراك، مع حدة مزاج، وبطش، وسوء خلق. ولهذا حبس بسجن المقشرة جماعة من العلماء والقضاة والأعيان، وضرب جماعة كثيرة من الرؤساء.

// وفي الجملة، كانت محاسنه أكثر من مساوئه، رحمه الله وعفا عنه. [٢٨٥]

وقد ذكرناه في تاريخنا المنهل الصافي بأطول من هذا، وأما من أراد أن ينظر ترجمته مفصلة مع استيعاب جميع أحواله بتمامها وكمالها مياومة، وما وقع في أيامه، وما أبطل، وما أحدث، فلينظر في تاريخنا المسمى بالنجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة [١]. وليس هذا الكتاب محل الإطناب، فإنما المقصود منه ذكر الحوادث والتراجم من غير إسهاب.

---

(١) يحيل المؤلف في كتابه «النجوم الزاهرة» ـ ج ١٥ ص ٤٥٦ ـ بعبارة قريبة من هذا المعنى على «حوادث الدهور»، قائلاً:

«... وقد استوعبنا أحوال الملك الظاهر ـ هذا ـ من مبدأ أمره إلى آخره، محرراً بالشهر واليوم في جميع ما وقع له من ولاية وعزل وغريبة وعجيبة، في تاريخنا حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، فلينظر هناك وما ذكرناه هنا جميعه نوع من تكثير الفائدة، لا القصة على جليتها، بل نشير بذكرها إعلاماً لوقت واقعتها لا غير». ولا تناقض في هذا، إذ يبدو أن الإحالة إلى «النجوم الزاهرة» قد أريد بها ترجمته الشاغلة للصفحات (٤٤٨: ٤٦٤) من ج ١٥، وقد خص فيها العناصر المثبتة في الإحالة، بينما أريد بالإحالة في «النجوم» على «الحوادث» الاستيعاب التفاضا من الحوادث المنثورة في الثاني.

(٣) وتوفي الأمير سيف الدين أسنبغا[١] بن عبد الله الناصري الطياري[٢] - رأس نوبة النوب - في ليلة السبت سادس شهر ربيع الأول ببيت الأمير قوصون في أيام الوقعة وعليه آلة الحرب ، وكان مرضه أقل من يوم واحد ، فإنه مرض يوم الجمعة قبل الصلاة ومات من ليلته.، وصلّى عليه الأتابك إينال العلائي - أعني الملك الأشرف - والخليفة القائم بأمر الله - في مقعد البيت المذكور - وغالب العسكر المصري وعليهم السلاح ، ثم حمل ودفن من يومه بالصحراء خارج القاهرة ، ومات وهو في عشر الثمانين .

وكان من محاسن الدهر عقلاً وكرماً وشجاعة ومعرفة، وكان أصله من مماليك الوزير ناصر الدين محمد بن كلبك، ثم خدم عند الأمير سودون الطياري[٢] وحظي عنده، وبه عرف، ثم تنقل في الدول إلى أن تأمر في الدولة الأشرفية برسباي إمرة عشرة، ثم نكب وصودر وأخرج إلى البلاد الشامية، ثم طلبه الأشرف ثانياً وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه وحجوبية ثانية، فدام على ذلك إلى أن نقله الملك الظاهر جقمق إلى الدوادارية الثانية مدة يسيرة، ثم صار أمير مائة ومقدم ألف، وتولى نيابة الإسكندرية، ثم عزل، وقدم القاهرة على إقطاعه - إمرة مائة وتقدمة ألف - إلى أن استقر رأس نوبة النوب بعد موت الأمير تمرباي التمربغاوي في أوائل سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة، فاستمر على ذلك إلى أن وثب الملك الأشرف إينال على الملك المنصور عثمان ووافقه أسنبغا - المذكور - مع من وافقه من الأمراء وغيرهم، ولبس معه آلة الحرب، ودام من حزبه إلى أن مرض ومات - رحمه الله تعالى - وخلف ولداً كبيراً ناجباً وآخر صغيراً.

[٢٨٦] ومات أسنبغا - هذا - ولم يخلف// بعده مثله في أبناء جنسه فيما اشتمل عليه من المحاسن، من العقل التام والشجاعة والكرم والمعرفة بأنواع الفروسية، وحسن المحاضرة والأدب الزائد والتواضع، مع البشاشة وحسن الخلق.

---

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردى . الدليل الشافي ج ١ ص ١٣٢ تر ٤٦٢ ، المنهل الصافي ج ٢ ص ٤٣٧ - ٤٤٠ تر ٤٦٣ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٢ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٢ ص ٣١١ تر ٩٨٤ .

(٢) في « أ » : « الطيار » .

(٤) وتوفي الأمير جانبك بن عبد الله اليشبكي الزردكاش[١] في ليلة الخميس ثامن عشر شهر ربيع الأول ، ودفن من الغد وهو في أوائل الكهولية .

وكان أصله من مماليك الأمير يشبك الجكمي، الأمير آخور الكبير في الدولة الظاهرية ططر، وترقي من بعده إلى أن صار خاصكياً في الدولة الأشرفية برسباي، ثم صار ساقياً في الدولة الظاهرية جقمق، ثم تأمر عشرة بعد سنة ثمان وأربعين، وصار رأس نوبة، ثم ولي ولاية القاهرة على كره منه والحجوبية، ثم أضيف إليه حسبة القاهرة في سنة أربع وخمسين، ثم عزل بعد مدة من الحسبة، ودام والي القاهرة إلى أن نقله الملك الأشرف إينال[٢] إلى الزردكاشية بعد القبض على الأمير لاجين الظاهري ، فلم يباشر الوظيفة ومرض ولزم الفراش أياماً قليلة ومات .

وكان أميراً مشكور السيرة في أحكامه، وعنده ظرف ورشاقة، عارفاً بأنواع الفروسية بحسب الحال، وله مشاركة في العلوم، وحسن محاضرة، وعنده ذكاء ومعرفة، وبالجملة، فكان نادرة في أبناء جنسه، رحمه الله وعفا عنه.

(٥) وتوفي الأمير سيف الدين أرنبغا[٣] بن عبد الله اليونسي الناصري ، أحد مقدمي الألوف في الديار المصرية في ليلة الجمعة تاسع عشر شهر ربيع الأول ، بعد أخذه إمرة مائة وتقدمة ألف بثمانية أيام ، وأنعم بتقدمته على الأمير

---

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردى . الدليل الشافي ج ١ ص ٢٣٧ - ٢٣٨ تر ٨٢٠، المنهل الصافي ج ٤ ص ٢٣٥ - ٢٣٧ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٣ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٦١ - ٦٢ تر ٢٤٩ ، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١١ .

(٢) في هامش «أ»: وصوابه الملك المنصور عثمان (وهو موافق لما جاء في النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٣ للمؤلف) بعد نقل الأمير لاجين عنها إلى شادية الشربخاناه، وكان غرضه مع الظاهرية فأمسك يوم الركوب قبل الصعود إلى القلعة، وكان عليه ترسيم حشمه من جماعة الأشرفية برسباي، ثم أنه صلى مع الأشرف إينال أول جمعة ولي السلطنة وشرب المشروب مع المقدمين بباب الستارة، فقيل: إنه سم في المشروب، فنزل بعد الصلاة في محفة ولزم الفراش إلى أن مات. وكان قد أخذ الولاية عنه بعد انتقاله إلى الزردكاشية يشبك القرمي الظاهري جقمق» .

(٣) له ترجمة في : ابن تغري بردى . الدليل الشافي ج ١ ص ١١١ تر ٣٨٤، المنهل الصافي ج ٢ ص ٣٣٦ - ٣٣٧ تر ٣٨٦، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٣ - ١٦٤ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٦٩ - ٢٧٠ تر ٨٤٢، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١١.

دولات باي المحمودي المؤيدي القادم من سجن الإسكندرية .

وكان أصل أرنبغا ـ هذا ـ تركيا من مماليك الملك الناصر فرج، وقاسي من بعد أستاذه خطوب الدهر ألواناً إلى أن أنعم عليه الملك المؤيد شيخ بإقطاع هائل ، ثم تأمر بعد موته إمرة عشرة ، وصار رأس نوبة ، ودام على ذلك نحو الثلاثين سنة ، وتوجه إلى الحجاز غير مرة ، إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر جقمق بزيادة على إقطاعه ، وجعله من أمراء الطبلخانات ، واستمر على ذلك إلى أن كانت الوقعة / / بين الملك المنصور عثمان وبين الأتابك إينال العلائي [٢٨٧] انضاف ـ المذكور ـ إلى إينال ، فلما تسلطن إينال أنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف ، عوضاً عن الأمير قاني باي الجاركسي بحكم القبض عليه ، فلم يقم[١] غير ثمانية أيام وهو متمرض ، ومات[٢] وهو في السبعين تقريباً .

وكان أميراً شجاعاً مقداماً، غير أنه كان قليل التجمل في ملبسه ومركبه، وكان قليل الحشم والمماليك، يقتني العبيد الحبوش كثيراً، وكان مسرفاً على نفسه ، سامحه الله ـ تعالى ـ وعفا عنه .

(٦) وتوفي الأمير سمام الحسني[٣] الظاهري ـ أحد أمراء العشرات وحاجب ثاني ـ في ليلة الاثنين سادس شهر ربيع الآخر ، ودفن من الغد ، وسنه نيف على السبعين تخميناً .

كان أصله من المماليك الظاهرية برقوق، وممن صار خاصكياً في الدولة الناصرية فرج، ثم انحط قدره دهراً إلى أن صار خاصكياً ـ أيضاً ـ في الدولة الظاهرية ططر، ودام على ذلك سنين إلى أن أمره الملك الظاهر جقمق أمير عشرة في أوائل دولته ، وأظنه كان ندم على ذلك ، مما[٤] كنت ألحظه منه في حق سمام

(١) في «أ» : «لم يقيم» .
(٢) «ومات» : «مكررة في «أ» .
(٣) في «أ» : «ما» .
(٤) له ترجمة في : ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٤ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٧٢ تر ١٠٣٠ .

المذكور ، ولم يزل على إمرته ، وحج أمير الركب الأول غير مرة إلى أن جعله الملك الأشرف إينال من جملة رءوس النوب ، ثم بعد أيام صار حاجباً ثانياً ، عوضاً عن نوكار ، بحكم انتقال نوكار إلى الزردكاشية بعد موت جانبك اليشبكي الوالي ، فلم تطل أيامه ومرض ومات ، كل ذلك في دون الشهر .

وكان ـ رحمه الله ـ مهملاً جداً، لا للسيف ولاللضيف، عفا الله عنه.

(٧) وتوفي الشيخ الفاضل الواعظ المعتقد أبو السيادات يحيى ابن الشيخ المعتقد العارف الواعظ شهاب الدين أحمد ابن الإمام العارف بالله ـ تعالى ـ المعتقد سيدي محمد وفاء[١] في يوم الأربعاء ثامن شهر ربيع الآخر ، ودفن بمشهدهم بالقرافة .

وكان قد صار يعمل الميعاد ويجلس مكان أخيه سيدي أبي الفتح ، ويعظ الناس، وصار على ميعاده القبول، وكثر ترداد الناس إليه، فلم تطل مدته غير سنيات قلائل ومات.

وكان حسن الصوت، مجيد القراءة في المحراب وغيره، وله نظم حسن على طريقة القوم، وهو من بيت صلاح ودين وعفة [٢] وخير، رحمه الله ـ تعالى ـ ونفعنا ببركته وبركة سلفه .

(٨) وتوفي قاضي القضاة بدر الدين محمد ابن / / القاضي ناصر الدين [٢٨٨] محمد ابن العلامة شرف الدين عبد المنعم[٣] البغدادي الأصل ، المصري المولد والمنشأ والوفاة ، الحنبلي، قاضي قضاة الديار المصرية ورئيسها ، في ليلة الخميس سابع جمادي الأولى ، ودفن من الغد ، وصلّى عليه الخليفة القائم بأمر الله حمزة بمصلاة باب النصر في وجوه الناس ، وكانت جنازته مشهودة ،

---

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٤، السخاوي. الضو اللامع ج ١٠ ص ٢٢١ تر ٩٤٨.

(٢) في «أ»: «وهو من بيت صلاح ودين وعفة ودين وخير».

(٣) له ترجمة في : ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٤ ، السخاوي. الضوء اللامع ج ٩ ص ١٣١ ـ ١٣٤ تر ٣٣٦، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١٢.

وكثر تأسف الناس عليه ؛ لحسن سيرته وعفته عن ما يرمي به قضاة السوء .

وكان مولده في أوائل القرن - تخميناً - بالقاهرة، وبها نشأ، وحفظ القرآن - العزيز - وتفقه بعلماء عصره، وناب في الحكم سنين عديدة، وعرف بالفقه والدين والتثبت في أحكامه ، إلى أن توفي شيخ الإسلام قاضي القضاة محب الدين أحمد بن نصر الله البغدادي الحنبلي ، طلبه السلطان الملك الظاهر جقمق وولاه قضاء القضاة - من غير سعي منه في ذلك - في يوم الاثنين العشرين من جمادي الأولى سنة أربع وأربعين وثمانمائة، فباشر القضاء بعزة وعفة زائدة ، وحمدت سيرته إلى الغاية ، حتى إنه نال في المنصب من الوجاهة والحرمة الوافرة والعظمة الزائدة والكلمة النافذة ما لم ينله قاض في عصرنا هذا من جميع المذاهب ، هذا مع علمي بتراجم من رافقه من القضاة ، ومع هذا لم يكن أحد منهم يدانيه في معناه من التحري في أحكامه ، وإقامة حرمة الشرع الشريف ، وعدم الالتفات إلى رسائل أرباب الشوكة ، وهو مع ذلك لا يزداد إلا حرمة ومهابة ، على أنه لم يكن من أعيان علماء الحنابلة ، غير أنه عارف بمذهبه وبالشروط ، ويحسن صناعة القضاء ، وكان عنده تأنٍّ[1] وتثبت في كلامه ، وله معرفة تامة بمعاشرة الناس .

وكان كريماً جواداً، يحب الفقهاء والفقراء، ويعتقد أهل الصلاح والخير، وكان ديناً خيراً كثير العبادة والصلاة، وله أوراد هائلة، وحج غير مرة، وكان مقصداً لأرباب الحوائج، وفيه تعصب لمن يقصده بماله وجاهه.

وكانت له خصوصية زائدة بالملك الظاهر جقمق، بحيث إن رفقته كانوا يهادون السلطان، وكان هو يأخذ من السلطان الجمل من الأموال.

وطالت أيامه في القضاء إلى أن مرض ، وطال مرضه أشهراً ، وتوفي - رحمه الله تعالى - في التاريخ المقدم ذكره ، عفا الله عنه .

(٩) وقتل الأمير الوزير تغري بردي الظاهري القلاوي[2] في واقعة كانت

---

(١) في « أ » : « تأني » .

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٤ - ١٦٥، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٨ - ٢٩ تر ١٣٧، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١٢.

بينه وبين سونجبغا الآتي ذكره ، لأنه قتل ـ أيضاً ـ في هذا اليوم ، أعني / / في [٢٨٩] يوم السبت ، سادس عشر جمادي الأولى ، حسبما ذكناه مفصلاً في هذا الكتاب في حوادث جمادي الأولى من السنة .

وكان تغري بردي ـ هذا ـ من جملة مماليك الملك الظاهر جقمق في أيام إمرته، وكان كثيراً ما يرسله إلى إقطاعه قلاً بالوجه القبلي، فسمى القلاوي، فلما تسلطن الملك الظاهر ولاه كشف الجيزية، ثم نقله في عدة ولايات إلى أن ولاه الوزر في آخر دولته، عوضاً عن الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم، فلم يقم في الوزارة إلا شهراً وعزل ـ أيضا ـ بالصاحب أمين الدين ـ المذكور ـ في الدولة المنصورية عثمان، وأعيد إلى كشف البهنساوية بالوجه القبلي، ووقع له أمور مع الملك الأشرف إينال، وأخذ منه جملة مستكثرة ، ثم ولاه البهنسة ثانياً، فلما خرج إليها ندم السلطان على ذلك وأرسل إليه الأمير سونجبغا رأس نوبة، فخرج إليه سونجبغا وقبض عليه بيده وتجاذبا حتى قتل تغري بردي ـ المذكور ـ ثم قتل سونجبغا ـ أيضاً ـ في الحال على ما سيأتي ذكره، رحمه الله تعالى.

(١٠) وقتل الأمير سونجبغا بن عبد الله اليونسي الناصري[(١)] ، أحد أمراء الطلبخانات ورأس نوبة ، وأخو الأمير أرنبغا ـ المقدم ذكره ـ شقيقه .

كان ـ أيضاً ـ من مماليك الملك الناصر فرج، وممن تأمر في أوائل دولة الملك الظاهر جقمق، لأن كلاهما ـ أعني الملك الظاهر وسونجبغا ـ كان متزوجاً ببنت القاضي ناصر الدين البارزي، وعظم في الدولة بحسب الحال، وحج أمير حاج المحمل غير مرة، ودام على ذلك سنين إلى أن أنعم عليه الملك المنصور بإقطاع الأمير يلباي الإينالي المؤيدي أحد أمراء الطبلخاناه بعد القبض عليه، ودام على ذلك إلى أن تسلطن الملك الأشرف إينال زاده على هذه الطبلخاناه إمرة عشرة التي كانت بيده قديماً في الدولة الظاهرية جقمق ، ثم توفي أخوه الأمير أرنبغا ـ المتقدم ذكره ـ وكان أرنبغا هو الأسن ، فورث مالاً جزيلاً ، فلم يتهن بالإقطاع

---

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٥ ، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨ تر ١٠٩٤ ، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١٢.

ولا بالمال ، وتوجه إلى تغري بردي القلاوي ووقع بينهما ما حكيناه ، وقتل في يوم السبت سادس عشر جمادي الأولى ، ومات وسنه أزيد من ستين تخميناً .

وكان متوسط السيرة، بخيلاً، عفيفاً عن المنكرات والفروج في آخر عمره، عفا الله ـ تعالى ـ عنه.

(١١) وتوفي عز الدين محمد بن محمد الكتبي المعروف بالتكروري(١) ـ أحد الطلبة ـ في يوم الأربعاء سابع عشرين جمادي الأولى .

[٢٩٠] وكان يتجر في الكتب// وله حانوت بسوق الكتبيين. وكان له وجاهة عند الأكابر، وله فضل ومشاركة، وله نظم بحسب الحال، رحمه الله تعالى.

(١٢) وتوفي الأمير دولات باي المحمودي(٢) المؤيدي ـ أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية ، والدوادار الكبير كان ـ في يوم السبت أول جمادي الآخرة ، ودفن من يومه بالصحراء خارج القاهرة .

كان جاركسي الجنس ، جلبه خواجا محمود إلى الإسكندرية ، فاشتراه منه نائبه الأمير آقبردي المنقار المؤيدي ، فأقام عنده أياماً ، وبلغ الملك المؤيد ذلك فطلبه منه ، فأرسله إليه ، فأخذه الملك المؤيد منه وأعتقه ، وأخرج له خيلاً ثم جعله خاصكياً ثم خازندارا، ثم صار ساقياً إلى أن أخرجه الملك الأشرف (برسباي) من السقاية ، واستمر خاصكياً دهراً طويلاً إلى أن صاهر الأمير جانم ـ قريب الملك الأشرف ـ صار أمير عشرة ورأس نوبة بسفارته ، واستمر على ذلك إلى أن جعله الملك الظاهر جقمق أمير طبلخاناه وأمير آخوراً ثانياً ، ثم نقله بعد أشهر إلى الدوادارية الثانية ، بعد الأمير أسنبغا الطياري ، بحكم انتقاله إلى تقدمة ألف بالديار المصرية ، كل ذلك في سنة اثنتين وأربعين

(١) هو « محمد بن أحمد بن عثمان بن عبد الله بن سليمان بن عمر ، المعروف بالعز التكروري».
له ترجمة في : ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٥، السخاوي . الضوء اللامع ج ٧ ص ٢ـ ٣ تر ٣ .

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردي : الدليل الشافي ج ١ ص ٢٩٩ تر ١٠٢٦ ، المنهل الصافي مج ٢ ق ٦٥، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٥ ـ ١٦٧، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ تر ٨٢٧ ، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١٣.

وثمانمائة ، فباشر الدوادارية الثانية بحرمة وافرة ، وكلمة نافذة ، وترددت الناس إلى بابه لقضاء حوائجهم، ونـالته السعـادة، وأثرى وعمـر الأملاك الكثيـرة، واقتنى الخيول المسومة الخاص، والتحف . وكان متجملاً في ملبسه ومركبـه ومماليكـه ، إلا أنه كان بخيلاً مسيكاً ؛ فلذلك كثر ماله ، وعظم في الدولة .

واستمـر على ذلـك إلى أن نقله السلطان إلى تقدمـة ألف بعد مـوت الأمير تمراز القرمشي في سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة ، وتولى الدوادارية الثانيـة عوضـه الأمير تمربغا الظاهري ، فأقام دولات باي - هـذا - في التقدمـة أقل من عشـرين يوماً - بل ولا عشرة ، بل من موكب اثنين أو خميس إلى مثله -ونقل إلى الدوادارية الكبرى بمال وعد به ، عوضاً عن الأمـير قاني بـاي الجاركـسي بحكم انتقـال قاني بـاي - المذكـور - إلى الأمير آخـورية الكبـرى بعد مـوت الأمـير قـراقجـا الحسني الظاهري .

ولمـا ولي دولات باي الـدوادارية الكبـرى انحط قـدره في أعـين النـاس ، لكونه سعى في ذلك بالرشوة ، وانحل برمه ، وهان في أعين الناس ، لا سيـما لما راج أمـر تمربغـا في الدوادارية الثانيـة لقربـه من السلطان ؛ لكونـه مملوكـه ومن خـواصه شـاع ما قلنـاه ، وصار السلطان في كـل قليل يـرشحه لنيـابـة حلب ، ودولات بـاي - هذا - يستعفي من ذلـك ، واستمر - كـذلـك - إلى أن ولاه أمـير حاج المحمل // في سنة ست وخمسين ، فوليها - المذكور - وحج بالناس من غير [٢٩١] أن يتنـاول من السلطان معلوم أمـراء الحـج ، وكـان دولات بـاي قـد ولي إمـرة حاج[١] المحمل - أيضاً - في سنة تسع وأربعين ، وأخـذ من السلطان مبلغ عشرة آلاف دينار في تلك السنة ، وبينما حج دولات باي وعاد إلى القاهرة ؛ فكان يوم نزوله إلى بركة الحاج يوم خلع الملك الظاهر نفسه من السلطنة ، وتـولى السلطنة ولده الملك المنصور عثمان ، فقدم هو من الغد إلى القاهرة ، واستمر على وظيفته إلى يوم الخميس ثاني عشر صفر قبض عليه الملك المنصور ، وعلى الأمير برسبـاي الأمير آخور الثاني ، وعلى الأمير يلباي ، وأرسـل الثلاثـة إلى ثغر الإسكنـدرية ، فاستمر دولات باي - هذا - محبوساً إلى أن أطلقـه الملك الأشرف إينـال في عاشر

---

(١) في « أ »: « الحاج ».

شهر ربيع الأول ، وقدم القاهرة في يوم الأربعاء سابع عشر شهر ربيع الأول بإمرة مائة وتقدمة ألف ، بعد موت الأمير أرنبغا الناصري ، فلم تطل مدته غير أيام قليلة ، ومرض أياماً ومات في التاريخ المذكور ، رحمه الله .

وكان أميراً جليلاً معظماً في الدول، مهاباً، وقوراً، حسن الشكل، طويل القامة، رشيقاً، عارفاً بأنواع الفروسية، ومقابلة [(1)] الملوك، جماعاً للأموال والخيول والتحف، كثير الأدب والحشمة، عظيم الحرمة على مماليكه وحواشيه، وكان عاقلاً جيد الرأي والتدبير، وعنده بر وصدقات للفقراء، وكان يعتقد الصلحاء والفقهاء ويبرهم كثيراً ويعظمهم ، وعظم في آخره وضخم ، وتحدث الناس بلسلطنته كثيراً ، حتى إنه كان ثقل على الملك الظاهر جقمق ، ثم على ولده الملك المنصور عثمان .

قلت: وندم - أيضاً - الملك الأشرف إينال على إطلاقه من سجن الإسكندرية في الباطن، وخافه كثيراً فعاجلته المنية، فأراح واستراح؛ لأنه كان غير شجاع - أعرف منه ذلك - ولو كان عنده شجاعة أو قوة قلب لكان هو أحق بأن يثب من أول قدومه من الحج إلى القاهرة، لأنه كان هو عظيم المماليك المؤيدية وغيرها، وكلمه بعضهم في ذلك فلاح له بعض ما قلته، رحمه الله.

وبالجملة، فكان به تجمل في الزمان، عفا الله عنه.

(١٣) وتوفي الأمير سيف الدين قانصوه بن عبد الله النوروزي[(2)] ، أحد مقدمي الألوف بدمشق بها في أواخر / / جمادي الأولى ، وسنه نحو الستين [٢٩٢] سنة تخميناً .

وكان أصله من مماليك الأمير نوروز الحافظي نائب دمشق، ثم صار خاصكياً في الدولة المؤيدية شيخ إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر ططر بإمرة عشرة ثم طبلخاناه، فدام على ذلك سنين إلى أن قبض عليه الملك الأشرف برسباي

---

(١) في «أ»: «ومقابلة الملوك».

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٧ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٦ ص ٦٨٦، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١٣.

وحبسه مدة يسيرة، ثم أطلقه على إمرة طبلخاناه، فدام على ذلك سنين إلى أن أخرجه الملك الأشرف برسباي إلى نيابة طرسوس، فتوجه إليها، وأقام بها مدة إلى أن نقله إلى حجوبية الحجاب بحلب، ثم إلى تقدمة ألف بدمشق، فدام في دمشق إلى أن خرج الأمير إينال الجكمي نائب الشام على الملك الظاهر جقمق، وافقه قانصوه - المذكور - وامتحن بسبب ذلك واختفى مدة، ثم خرج بأمان وقدم القاهرة، وتولى نيابة ملطية أياماً إلى أن عزل عنها، وعاد إلى دمشق أمير ثمانين، فاستمر على ذلك سنين إلى أن أنعم عليه الملك الأشرف إينال بتقدمة ألف بدمشق، فمات بعد ذلك بدون الشهر.

وكان أميراً شجاعاً، مليح الشكل، معتدل القد، رأساً في رمي النشاب، إلا أنه كان قليل السعادة خاملاً، لم يزل فقيراً منذ عرفته قديماً وحديثاً، قليل الحظ من الملوك؛ مبعوداً عنهم، رحمه الله تعالى.

(١٤) وتوفي الأمير سيف الدين قشتم بن عبد الله المحمودي الناصري[١] نائب البحيرة ، في وقعة كانت بينه وبين عرب لبيد في أواخر شهر رجب - حسب ما ذكرناه في حوادث شهر رجب من هذه السنة - ومات وسنه مناهز الستين سنة .

وكان أميراً عاقلاً ، شجاعاً ، كريماً ، متواضعاً ، جواداً ، مليح الشكل ، بشوشاً ، محبباً للناس ، مشكور السيرة في ولايته ، عارفاً ، مقداماً . وأصله من مماليك الملك الناصر فرج رحمه الله .

(١٥) وتوفي الأمير بيغوت بن عبد الله من صفر خجا[٢] المؤيدي الأعرج نائب صفد بها في أواخر شعبان .

وكان أصله من مماليك الملك المؤيد شيخ ، وممن صار خاصكياً بعد موته إلى أن نفاه الملك الأشرف برسباي إلى البلاد الشامية، ثم أمره بها إمرة طبلخاناه،

---

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٧ - ١٦٨، السخاوي . الضوء اللامع ج ٦ ص ٢٢٢ تر ٧٣٨، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١٤.

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردي : الدليل الشافي ج ١ ص ٢١٠ تر ٧٤٣، المنهل الصافي ج ٣ ص ٥٠٦ - ٥١٠ تر ٧٤٥ ؛ النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٨ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٣ - ٢٤ تر ١١٦ ، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١٤.

فاستمر على ذلك إلى أن ولاه الملك الظاهر جقمق نيابة حمص بعد الأمير سنقر العزي في سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، ثم نقله إلى نيابة صفد بعد الأمير قاني باي البهلوان، بحكم انتقال البهلوان إلى نيابة حماه، فدام في صفد سنين، ثم نقل// إلى نيابة حماه بعد الأمير تنم المؤيدي، فأقام بحماه سنين إلى أن شكاه [٢٩٣] هو وولده بعض أهل حماه، فأرسل الملك الظاهر يطلب ولده إبراهيم - المذكور - وابن العجيل على أقبح وجه، فأرسل بيغوت - هذا - ولده في الحديد، فحبسه السلطان بالبرج من قلعة الجبل، ثم أرسل يطلب بيغوت - المذكور - إلى دمشق ليحبس بقلعتها، ففطن بيغوت بذلك، فخرج من حماه عاصياً حتى لحق بالأمير جهان كير بن علي بك بن قرايلك صاحب آمد، وانضم إليه، واتفقا على العصيان على الملك الظاهر جقمق، فبينما هم في ذلك طرقهم بعض أمراء جهان شاه بن قرا يوسف صاحب تبريز وقبض على بيغوت - المذكور - وأخذ جميع ما معه، وأرسل أخبر السلطان الملك الظاهر بذلك، ثم حبسه بقلعة الرها، فدام بها إلى أن استولى عليها الشيخ حسن بن علي بك ابن قرايلك ، وأطلق بيغوت - هذا - وخيره أين يذهب ، فاختار الرجوع إلى طاعة الملك الظاهر ، وركب حتى وصل إلى ألبيرة ثم إلى حلب، فأرسل نواب البلاد الشامية إلى الملك الظاهر بالشفاعة في بيغوت - المذكور - فقبل الملك الظاهر شفاعتهم ، ورسم له بالقدوم إلى القاهرة ، فقدمها في سنة خمس وخمسين ، وأقام بها أياماً ، ثم رسم له بالتوجه إلى دمشق ، ورتب له ما يكفيه إلى أن ينحل له إقطاع ، فلم يقم بدمشق إلا مدة يسيرة ومات الأمير بردبك العجمي أحد أمراء الألوف بدمشق ، فأنعم السلطان عليه بإقطاع بردبك - المذكور - فلم تطل مدته غير أشهر قليلة ومات الأمير يشبك الحمزاوي نائب صفد في رمضان من السنة ، فنقله السلطان إلى نيابة صفد عوضاً عن يشبك - المذكور - وحمل تقليده وتشريفه على يد الأمير يشبك الفقيه المؤيدي أحد أمراء العشرات ورأس نوبة ، فدام في نيابة صفد إلى أن توفي بها حسب ما ذكرناه .

وكان - عفا الله عنه - شجاعاً مقداماً ، عاقلاً ، عفيفاً عن المنكرات والفروج ، ديناً خيراً ، معظماً في الدول ، ومات وسنه أزيد من ستين سنة ، رحمه الله تعالى .

وتـولى نيابـة صفد من بعـده الأمير إيـاس الطويـل النـاصـري ، أتـابـك طرابلس .

(١٦) وتوفي الأمير جغنوس[١] الناصري المعزول قبل تاريخه عن نيابـة بيروت في أوائل العشر الأخير من شهر رمضان .

ولم يكن// جغنوس ـ المذكور ـ من ذوي الرياسات لتشكر أفعاله أو تذم. [٢٩٤]

(١٧) وتـوفي الشيخ الصـالح المعتقـد درويش[٢] ، ويقـال : محمـد ، ويقال : غيبي بظاهر خانقاه سرياقوس في يوم الاثنين ثالث ذي القعدة ، ودفن شرقي الخانقاه ـ المذكورة ـ وقبره هناك يقصد للزيارة .

وكان أصله من آقصراي، وكان رجلاً صالحاً ديناً خيراً معتقداً، أفنى عمره في السياحة والحج في كل سنة ماشياً.

وكان مجرداً لا يلتفت إلى ما في أيدي الناس، ولا يدخر شيئاً من المال، بل ولا من المأكل ولا من المشرب، حتى إنه كان إذا سافر إلى الحج أو إلى غيره لم يصحب معه قصعة ولا زنبيل، ولم يكن عليه غير ما يستر عورته، وكان لا يـطلب من أحـد شيئـاً ، وإن أتـاه من أحـد شيء أكـل منـه شبـع بـطنـه ، ثم (يـ) ـترك ما بقي ، فكان هذا شأنه .

وكان عارفاً عاقلاً، فصيحاً باللغة التركية، يفهم القليل من اللغة العربية، وكـان منور الشيبـة، حسن الشكل، للطول أقـرب، له شعـر برأسـه أبيض، لا يغطي رأسه إلا نادراً، اجتمعت عليه مراراً، وكان لي فيه اعتقاد ومحبة، رحمه الله تعالى.

(١٨) وتوفي الأمير حطط[٣] الناصري أتابـك طرابلس بهـا في أوائل ذي الحجة .

---

(١) له ترجمة في : السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٧٠ تر ٢٨٤ ، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١٥ .

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٨ ـ ١٦٩ .

(٣) له ترجمة في : ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٩ ، السخاوي . الضوء اللامع=

وكان أصله من مماليك الناصر فرج، وتنقل من بعده حتى ولي نيابة قلعة حلب في الدولة الأشرفية برسباي، وطالت أيامه إلى أن عزله الملك الظاهر جقمق وصادره في سنة سبع وأربعين، ثم ولاه بعد مدة طويلة نيابة غزة، فلم تطل مدته بها وعزل - أيضاً - عنها، وأنعم عليه بعد حين بإمرة عشرين بطرابلس، فدام على ذلك سنين إلى أن نقله الملك الأشرف إينال إلى أتابكية طرابلس بعد انتقال الأمير إياس الطويل إلى نيابة صفد، بعد موت الأمير بيغوت المؤيدي، فأقام حطط بعد هذا دون الشهر ومات، رحمه الله.

(١٩) وتوفي الأمير علي باي من طراباي العجمي(١) المؤيدي أتابك العساكر بحلب في أواخر ذي الحجة بها.

كان أصله من مماليك الملك المؤيد شيخ، قدم من بلاد الجاركس صغيراً، ثم حضر بعده أبواه وإخوته، وكانوا نحو ستة نفر ذكوراً وإناثاً، ثم أعتقه الملك المؤيد وجعله خاصكياً، واستمر من بعده على ذلك سنين إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر جقمق بإمرة عشرة، وجعله رأس نوبة، وحظي عنده، وأمر ونهى، وطغى وتجبر، واستمر على ذلك إلى بعد سنة ثمان وأربعين [٢٩٥] نفي إلى البلاد الشامية، / / ثم أنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بحلب، ثم جعله أتابكها بعد الأمير سودون الأبو بكري المؤيدي بحكم انتقاله إلى نيابة حماه، فدام علي باي على ذلك إلى أن توفي - كما ذكرنا - وسنه أزيد من خمسين سنة.

ونسبته بالعجمي إلى خاله بردبك العجمي الجكمي نائب حماه - كان.

وكان علي باي - هذا - أميراً جليلاً متجملاً في مركبه وملبسه، عارفاً بأنواع الفروسية، إلا أنه كان كثير الكذب والدهاء على نفسه وماله، عفا الله - تعالى - عنا وعنه.

* * *

= ج ٣ ص ١٦١ تر ٦٢٠، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١٧.

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٤٩١ تر ١٧٠٥، المنهل الصافي مج ٢ ق ٣١٤ أ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٩، السخاوي. الضوء اللامع ج ٥ ص ١٥١ تر ٥٢٦.

ومضت هذه السنة والأسعار رخية إلى الغاية، ما عدا اللحوم والأجبان فإنها قليل وسعرها زائد، وأما الحبوب ففي غاية الرخص، فالقمح بمائة وأربعين درهماً الإردب إلى ما دونها، والفول بثمانين درهما[1] الأردب إلى ما دونها، والشعير من ستين إلى سبعين، والذهب قد[2] نودي على الدينار الأشرفي بثلاثمائة وعشرين درهماً، وكان قد وصل سعره قبل تاريخه؛ بل وإلى الآن بعد المناداة في الباطن إلى ثلاثمائة وخمسين درهماً في المعاملة، وهو في نمو وزيادة.

والناس في أمن، غير أن السلطان الملك الأشرف إينال كان قد توعك في يومي الجمعة والسبت، ثم عوفي ودقت الكوسات السلطانية وغيرها لذلك ثلاثة أيام، وفرح بعافيته الناس، وشق ذلك على آخرين من الذين في قلوبهم مرض.

انتهت حوادث هذه السنة[3].

* * *

(١) في «أ»: «درهم».

(٢) «قد»: مكررة في «أ».

(٣) على غير عادة يتبع «ابن تغري بردي» الوفيات ببعض الحوادث في ذات سنة وقوعها، ويبدو أن هذا كان استدراكاً منه على فائت في الحوادث، على أن قوله «انتهت حوادث هذه السنة» لا يعني أن المثبت هنا موضعه قبل ترجمات الوفيات، إذ أن الوفيات المترجمة لديه هي في حد ذاتها حوادث ذات نوعية معينة، اقتضته ايرادها متراصة في هذا الموضع من الحولية.

سنة ثمان وخمسين وثمانمائة

استهلت هذه السنة وسلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والأقطار الحجازية الملك الأشرف أبو النصر إينال العلائي الظاهري ثم الناصري.

والخليفة القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة.

والقضاة: الشافعي قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني، والحنفي قاضي القضاة سعد الدين سعد بن الديري، والمالكي قاضي القضاة ولي الدين محمد السنباطي، والحنبلي قاضي القضاة عز الدين أحمد.

والأمراء: أتابك العساكر الأمير تنبك الظاهري، وأمير سلاح الأمير خشقدم المؤيدي، وأمير مجلس الأمير طوخ من تمراز الناصري، والأمير آخور الكبير جرباش المحمدي الناصري المعروف بكرد، ورأس نوبة النوب الأمير قرقماس الأشرفي [1] ، وحاجب الحجاب جانبك القرماني، والدوادار الكبير// [٢٩٦] يونس السيفي آقباي، وأعظم مقدمي الألوف المقام الشهابي أحمد ابن السلطان رأس ميسرة، وباقي مقدمي الألوف: الأمير جانم قريب الملك الأشرف برسباي الأمير آخور - كان - والأمير خيربك المؤيدي، وقد ولاه السلطان كشف إقليم البهنسا، والأمير برسباي البجاسي.

وباقي أرباب الوظائف من أمراء الطبلخانات وغيرهم: الخازندار الكبير جانبك من أمير الأشرفي برسباي، وقد سار إلى الحجاز أمير حاج المحمل، وشاد الشراب خاناه جانبك القجماسي الأشرفي برسباي، والزردكاش نوكار

(١) في هامش «أ»: «حاشية: المعروف بالجلب قريب الأشرف برسباي».

الناصري أمير عشرة ، ونـائب القلعة قـاني باي النـاصري المعـروف بالأعمش ، والأمير آخور الثاني خيربك المؤيدي الأشقر ، ورأس نوبة ثاني يشبك الناصري ، والحاجب الثاني بتخاص العثماني الظاهري برقوق أمـير عشرة ، والـدوادار الثاني تمراز الإينالي الأشرفي برسباي أمير عشرين ، والخازندار والزمام فيروز النوروزي الـطواشي الرومي ، ومقـدم المماليـك لؤلؤ البـاسـطي ، ثم الأشـرفي الـطواشي الرومي أمير عشرة ، ونائبه عنبر الهندي .

المباشرون: كاتب السر القاضي محب الدين محمد بن الشحنة، وناظر الجيش والخاص عظيم الدولة الصاحب جمال الدين يوسف بن كاتب جكم، والوزير فرج بن النحال، والأستادار علاء الدين علي الأهناسي، ومحتسب القـاهرة عـلي ابن الشهاب ابن أم حـرج ـ شخص من أصاغـر النـاس ـ ونـائب كاتب السر معين الدين عبد اللطيف بن العجمي ، وناظر الدولة التاج الخطير ، وناظر (ديوان) المفرد فخر الدين الأصفـر ، وناظـر الإسطبـلات السلطانية زين الـدين أبو بكـر بن مزهـر ، وكاتب المماليك شخص وضيـع من الأقباط يسـمى عبد الرحمن ، من أقارب فرج الوزير ، ووالي القاهرة علي بن إسكندر .

نواب البلاد الشامية وغيرها: نائب الشام الأمير جلبان الأمير آخور، ونائب حلب قاني باي الحمزاوي، ونائب طرابلس يشبك النوروزي، ونائب حماه حاج إينال اليشبكي، ونائب صفد إياسن الطويل الناصري، ونائب غزة جانبك التاجي المؤيدي، ونائب الكرك يشبك طاز المؤيدي//، ونائب ملطية [٢٩٧] جانبك الجكمي، ونائب الإسكندرية جانبك النوروزي.

المحرم

أوله الثلاثاء.

ففي يوم الأربعاء ثانيه استقر القاضي قطب الدين أبو الخير محمـد الخيضري كاتب سر دمشق ، بعد عزل القاضي صلاح الدين محمد بن السابق الحموي.

وفي يوم الأحد سادسه ورد الخبر من حلب بموت الأمير علي باي من

طراباي المؤيدي العجمي أتابك حلب بها، وأنعم السلطان بإقطاعه ووظيفته على الأمير آقبردي السلقي الظاهري جقمق نائب قلعة حلب، واستقر في نيابة قلعة حلب الزيني قاسم بن جمعة القشاشي[1] المنعم عليه قبل تاريخه بمدة يسيرة بتقدمة ألف بحلب، عوضاً عن الأمير سودون القرماني المنتقل إلى أتابكية طرابلس. فلما استقر ابن جمعة - المذكور - في نيابة قلعة حلب أنعم السلطان بالتقدمة المذكورة على مملوكه يشبك البجاسي دوادار السلطان بدمشق وأحد أمراء الطبلخانات بها ، وأنعم بإقطاعه ووظيفته على السيفي خشكلدي الزيني عبد الرحمن بن الكويز . وخشكلدي - المذكور - وقاسم بن جمعة كانا كلاهما بالقاهرة ، ووليا بمال وعدا به ، ولبسا خلعهما في يوم الاثنين سابعه .

وفي يوم الخميس عاشره استقر الزيني أبو بكر بن مالك الحلبي في نيابة طرسوس على عادته أولاً، وعزل آقباي السيفي جارقطلو.

وفي يوم الاثنين رابع عشره نزل من القلعة طواشي ومعه امرأتان، وذكر أن السلطان رسم لهما أن يأخذا من كل دكان بالشارع درهم فلوس جدد لدين أصابهما، ودار بهما الطواشي شوارع القاهرة، كل واحدة على حمار مكاري، وجبى من الدكاكين وهو يقول: حسب المرسوم الشريف. . فكانت هذه الواقعة من أعزّ الأشياء وأقبحها.

وكثر في هذا اليوم ترحم الناس على السلطان الملك الظاهر جقمق وتأسفهم عليه، حتى كلم السلطان في ذلك بعض خواصه، فقال السلطان: لم أشعر بشيء من ذلك ولا رسمت به، ثم أمر بإحضار النسوة والطواشي من الغد وضربهم ضرباً مبرحاً، ورسم بإشهارهم في شوارع القاهرة، فأنزلوا// [٢٩٨] ونودي عليهم: هذا جزاء من يكذب على الملوك.

وفي يوم الاثنين حادي عشرينه قدمت تقدمة الأمير قاني باي الحمزاوي نائب حلب، وكانت تشتمل على مماليك ثلاثة، وخيول مائة فرس لا غير، ولم تكن هذه عادة تقدمة نائب حلب، وإنما الظاهر أنه استعجل بإرسال ذلك ليعلم

---

(١) في «أ» ، «ب» : «القساسي» .

كل أحد أنه في طاعة السلطان ، وينقطع عنه كلام كل أحد ممن يشن الغارات ويثير[1] الفتن .

وفيه وصل إلى القاهرة أمير حاج الركب الأول عبد العزيز ابن المعلم محمد الصغير ، وأصبح من الغد حضر أمير حاج المحمل الأمير جانبك من أمير الأشرفي برسباي الخازندار .

وفي يوم السبت سادس عشرينه استقر الشيخ الإمام العالم العلامة محيي الدين محمد الكافيجي[2] الحنفي في مشيخة شيوخ خانقاه شيخون ، عوضاً عن الشيخ الإمام العالم العلامة كمال الدين محمد بن الهمام ، بحكم مجاورته بالمدينة الشريفة ورغبته عن المشيخة المذكورة .

وفي يوم الاثنين ثامن عشرينه رسم السلطان بإخراج زين الدين يحيى الأستادار ـ كان ـ إلى القدس الشريف، ومسفره على جك البريدي، وعلى جك تصغير علي باللغة التركية.

فلما أصبح من الغد في يوم الثلاثاء رجمت المماليك الجلبان الأستادار على الأهناسي؛ بسبب أنه جعل الجامكية تفرق في خمسة أيام من أيام المواكب، وكانت العادة أنها تفرق في ثلاثة أيام، كل ذلك لعجز الأستادار عن القيام بالجامكية، فلما وقع ذلك لهجت الناس بتولية زين الدين ـ المذكور ـ للأستادارية ، فلم يصح ذلك، ورسم السلطان بسفر زين الدين في يوم الخميس على ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

---

(١) في « أ » : « ثيور » .

(٢) هو « محيي الدين ، أبو عبد الله ، محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود ، الرومي ، الحنفي » (ت ٨٧٩ هـ/ ١٤٧٤ م).

له ترجمة في : ابن تغري بردى . الدليل الشافي ج ٢ ص ٦٢٤ تر ٢١٤٦، المنهل الصافي مج ٣ ق ١٠٦ ب ـ ١٠٧ أ، السخاوي. الضوء اللامع ج ٧ ص ٢٥٩ ـ ٢٦١ تر ٦٥٥، السيوطي . حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٤٩ ـ ٥٥٠ تر ٥٥، المنجم في المعجم ق ٧١ ب ـ ٧٢ ب، طاش كبرى زادة . مفتاح السعادة ج ٢ ص ١٢٦ ـ ١٢٨، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٧ ص ٣٢٦ ـ ٣٢٨.

أوله الأربعاء.

ففي يوم الخميس ثانيه خرج زين الدين يحيى الأستادار متوجهاً إلى القدس الشريف، فلما وصل إلى سبيل ابن قايماز - خارج القاهرة - أحيط به وطلب إلى القلعة، وقبض عليه السلطان وحبسه عند الطواشي فيروز النوروزي.

وسبب ذلك أن زين الدين - المذكور - لما خرج إلى القدس أوسع في بركه [٢٩٩] وخدمه على غير عادة المنفيين، بل على هيئة من هو خارج إلى نيابة من// النيابات، فوشي عليه بعض الناس عند السلطان، أنه صحبُ معه في حموله مالاً عظيماً، ففتشت حموله فلم يوجد فيها غير ثلاثمائة دينار وديناراً واحداً، وقليل من الفضة، وثياب بدنه، وبعض كتب مجلدات.

فلما كان يوم السبت رابعه طلبه السلطان إلى الدهيشة بحضرة أرباب الدولة من المباشرين وغيرهم، وطلب منه مالاً، وكثر الكلام حتى وقع من زين الدين - المذكور - كلام في حق علي بن الأهناسي الأستادار ومحصول كلام زين الدين أنه قال: في جهة ابن الأهناسي نحو السبعين ألف دينار، وعليّ محاققة ذلك. وانفض المجلس على الحساب من الغد.

وفي اليوم المذكور سلم السلطان القاضي معين الدين بن الطرابلسي - أحد نواب الحكم الحنفية - وشهاب الدين ابن الأوجاقي إلى نقيب الجيش ليستخرج منهما مالاً، وكانا قد خرجا لوداع زين الدين المذكور، فقبض عليهما معه.

ثم أصبح من الغد في يوم الأحد حضر جماعة من مباشري ديوان المفرد وغيرهم لعمل الحساب، ثم انفض المجلس بعد أمور وقعت، وآل الأمر إلى حبس زين الدين بالبحرة من الحوش السلطاني، وإلى استمرار ابن الأهناسي في الأستادارية، وخلع عليه من الغد في يوم الاثنين سادسه، ورسم بالإفراج عن ابن الطرابلسي وابن الأوجاقي.

واستمر زين الدين بالبحرة في الترسيم إلى يوم الخميس تاسعه، عوقب

بالمعاصير وأنواع العقوبة فلم يقر بمال، بل قال: أنا أبيع أوقاف مدارسي وغيرها وأرضى السلطان. كل ذلك والصاحب جمال الدين ناظر الجيش والخاص قائم في أمره ومساعدته أشد قيام، ويوافقه على ذلك الأمير يونس الأقبائي الدوادار الكبير والأمير تمراز الإينالي الأشرفي الدوادار الثاني .

واستمر الصاحب جمال الدين يسعى في أمره حتى انبرم أمره مع السلطان وحواشيه، وطلب السلطان زين الدين ـ المذكور ـ في بكرة يوم الأحد ثاني عشره إلى الدهيشة، فحضر محمولاً في مقعد إلى بين يدي السلطان بين أربعة أنفس، فقعده وهو لا يطيق الجلوس إلا بشدة من عظم ما حصل عليه من العقوبة التي أجريت عليه، فلما رآه السلطان على// هذه الحالة كلمه بكلام لين وطيب [٣٠٠] خاطره ، وأعاده إلى وظيفة الأستادارية ، وألبسه كاملية بمقلب سمور ، وعزل ابن الأهناسي ، وألزم بعمل الحساب ، فصار الطالب مطلوباً[١] .

وقلت: وهكذا شأن الدهر ، الخفض والرفع .

ونودي في اليوم المذكور بزينة القاهرة لأجل ولاية زين الدين ـ المذكور ـ الأستادارية .

وأما ابن الأهناسي، فإنه لما ولى زين الدين وطلب منه الحساب نزل من وقته إلى بيت الصاحب جمال الدين ناظر الجيش والخاص، فلما وصل إلى البيت المذكور طلب ثانياً إلى القلعة، ورسم عليه بها إلى أن أطلق في يوم الاثنين ونزل إلى داره.

واستمر زين الدين بقلعة الجبل إلى يوم الثلاثاء رابع عشره خلع عليه خلعة الأستادارية ، ونزل إلى داره، وابتهج الناس بولايته، وكان يوماً مشهوداً.

وفي يوم الأربعاء خامس عشرة استقر عبد العزيز بن محمد الصغير محتسب القاهرة بعد عزل علي بن شهاب الدين الكاشف.

---

(١) في « أ » : « مطلوب » .

وفي يوم الاثنين عشرينه أعيد خيربك القصروي إلى ولاية القاهرة بعد عزل علي بن إسكندر على مال بذله في ذلك.

وفي يوم السبت خامس عشرينه أخلع السلطان علي زين الدين يحيى الأستاذار باستقراره كاشف الكشاف، وباستقراره في أستادارية ولده المقام الشهابي أحمد عوضاً عن علي بن الأهناسي بحكم عزله.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشرينه ورد على السلطان مطالعة الأمير قاني باي الحمزاوي - نائب حلب - تتضمن أن قاضي قضاة الحنابلة بحلب وهو مجد الدين سالم قتل رجلاً من الفقهاء بيده بعد أن حكم عليه بالكفر.

وأمره أنه ادعى عليه بالكفر، وأقيمت البينة عليه، وكتب بذلك محضر، فحكم القاضي - المذكور - بكفره وإراقة دمه، فأخذ المقتول يقول: أنا بيني وبين القاضي سالم خصومة، وطعن في الشهود، وطلب عقد مجلس بالقضاة الأربعة في مجلس النائب فلما رأى القاضي ذلك خشي أنه متى أصبح دافع عن نفسه، فطلبه في الحال ووضع في رقبته حبلاً وخنقه، ثم جعله من الغد في تابوت ونادى عليه بالكفر.

فعظم ذلك على الناس وعلى نائب حلب، وأرسل كاتب السلطان بذلك، [٣٠١]وأرسل القاضي // مجد الدين سالم المحضر المكتتب على المقتول، وفيه ألفاظ قبيحة لا تذكر، وفيه مصورة الدعوى.

فغضب السلطان لذلك غضباً شديداً، ورسم من الغد بعقد مجلس بالقضاة الأربعة، فعقد المجلس وقرىء المحضر، فلم يلتفت القضاة إلى المحضر، وانطلقت الألسن في حق القاضي سالم - المذكور - حتى قال قاضي القضاة شيخ الإسلام سعد الدين بن الديري الحنفي: لم يسمع بمثل هذه الحادثة في الإسلام، ورسم السلطان لنائب حلب بالقبض على القاضي مجد الدين سالم وحبسه بقلعة حلب هو والمدعي والشهود إلى أن يرد عليه ما يعتمده.

وفي هذا الشهر رسم السلطان بإطلاق أبي الخير النحاس من سجن المرقب إلى حال سبيله.

شهر ربيع الأول

أوله الجمعة.

في يوم السبت ثانيه استقر السيفي ألماس الأشرفي برسباي - أحد أمراء دمشق - دوادار السلطان بحلب.

وفيه استقر الشرفي حمزة بن البشيري ناظر الدولة، بحكم عزل التاج الخطير، ثم عزل بعد ثلاثة أيام.

وفيه خلع السلطان على الأمير ناصر الدين محمد بن أبي الفرج خلعة الاستمرار على وظيفته، نقابة الجيش.

وفي يوم الأحد عاشره عمل السلطان المولد النبوي بالحوش من القلعة على العادة.

وفي يوم الأحد سابع عشره وصل إلى القاهرة ابن الأمير يشبك النوروزي - نائب طرابلس - وقبل الأرض بين يدي السلطان، وأصبح من الغد يوم الاثنين قدم تقدمة والده يشبك إلى السلطان. وكانت تقدمة هائلة تشتمل على نحو ثمانين رأساً من الخيل، وعدة أثواب مخمل مذهب، ومخمل منقوش، وشقق حرير، وعدة حمالين من الوبر كالسمور والوشق والسنجاب، وقرضيات كثيرة، وبعلبكي نحو المائة وخمسين ثوباً، وأشياء غير ذلك، ومبلغ كبير له جرم على ما قيل.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشرينه ركب السلطان من قلعة الجبل بغير قماش الخدمة، ونزل سيراً إلى جهة قبة النصر[1] - خارج القاهرة - وعاد من باب النصر، وشق القاهرة، وخرج من باب زويلة حتى طلع إلى القلعة. وهذا أول ركوبه منذ تسلطن.

وفي هذا الشهر كثر الطاعون ببلاد// الصعيد، وفنى به خلائق كثيرة. [٣٠٢]

---

(١) قبة النصر: كانت زاوية في الصحراء، تحت الجبل الأحمر، يسكنها فقراء العجم، جددها لهم «الناصر محمد بن قلاوون».
راجع: المقريزي. الخطط ج ٢ ص ٤٣٣.

شهر ربيع الآخر

أوله الأحد.

ففي يوم الخميس خامسه سافر الأمير جانبك الظاهري جقمق لشد بندر جدة.

وفي يوم الاثنين تاسعه ثار المماليك السلطانية الجلبان وغيرهم على الفقهاء والمتعممين وضربوا منهم خلائق وأخذوا خيولهم من تحتهم، وفعلوا ذلك بجماعة كثيرة من القضاة والأعيان بسوق الخيل[1] وغيره، ونهبوا بعض حوانيت القاهرة، وادعوا أن السلطان أمرهم بأخذ الخيول من للفقهاء والمتعممين، وأظن ذلك حقيقة، لأنهم لما أخذوا خيول الناس طلعوا بها إلى الأمير آخور الكبير جرباش المحمدي المعروف بكرد، وقالوا له: اضرب داغ السلطان[2] عليها، فامتنع من ذلك، وأمرهم بردها إلى أربابها، وأصبحوا على ما هم عليه، وأفحشوا في ذلك، حتى إنه لم يبق في القاهرة أحد من المتعممين إلا وقد ركب بغلاً أو حماراً، كل أحد بحسب مقامه، وانقطع غالب الناس في بيوتهم، ورسم السلطان بالمناداة، فنودي بالأمان والاطمئنان[3]، ولم يذكر المنادي في مقالته بأن «يركب المتعممون على عادتهم» بل صار ينادي: الأمان والاطمئنان[4]، لا غير، فدام الناس على ركوب البغال والحمير أياماً كثيرة، ثم عادوا إلى ركوب الخيل على عادتهم، لما[5] وقع بين المماليك الأشرفية برسباي والمماليك الظاهرية جقمق على ما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وفي يوم الاثنين سادس عشره ثارت المماليك الظاهرية جقمق على المماليك الأشرفية برسباي، وضربوا منهم السيفي برسباي أمير آخور، وسنقرقرق شبق ضرباً مبرحاً، وكثر الكلام في اليوم المذكور، وبلغ السلطان ذلك، وتيقن

---

(١) سوق الخيل: لم يعرف المقريزي بها ضمن ما ذكره من أسواق، لكن يستفاد مما أورده في الخطط (ج ٢ ص ٢١٢) تعريفاً بالدار الجديدة أن باب سر قلعة الجبل كان مطلاً عليها.

(٢) أي وسمها برنك أو شارة السلطان.

(٣) في «أ»: «والاطمان».

(٤) نفسه.

(٥) في «أ»: «ولما».

كل أحد بوقوع فتنة بين الطائفتين، وأصبح من الغد في يوم الثلاثاء كل من الطائفتين بسوق الخيل في جمع كثير، وكثر الكلام بسبب ذلك، لكن لم يتفاوضوا بالكلام مواجهة ، ثم افترق الجمع بعد وقوف طويل ، وقد انحط قدر الأشرفية في الدولة لكون السلطان لم ينتصر لهم ، ولم ينهر أحداً من الظاهرية . بل قال : الكل مماليكي ، وهم عندي سواء . فعلم كل أحد بانحطاط قدر الأشرفية .

ثم بعد أيام رسم السلطان بنزول المماليك الأشرفية من // الأطباق ، [٣٠٣] فتحقق الناس انحطاط قدرهم بهذه الواقعة ، ثم بعزل لؤلؤ مقدم المماليك ، ثم بقضية تمراز الدوادار الثاني على ما سيأتي ذلك كله في وقته .

وفي يوم الجمعة عشرينه - الموافق لرابع عشرين برموده - أحد شهور القبط - لبس السلطان القماش الأبيض البعلبكي ، قماش الصيف .

وفي يوم الاثنين ثالث عشرينه ، عزل السلطان الطواشي لؤلؤ الأشرفي الرومي عن تقدمة المماليك السلطانية ، وأعاد الأمير مرجان العادلي المحمودي الحبشي إلى تقدمة المماليك على عادته أولاً .

جمادى الأولى

أوله الثلاثاء .

في هذا الشهر ظهر بعيض طاعون بالقاهرة ، ومات به ناس قليلة جداً ممن لا يؤبه إليه .

وفي يوم الثلاثاء المذكور استقر القاضي جلال الدين عبد الرحمن ابن القاضي نور الدين علي ابن العلامة شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن الملقن الشافعي في نظر البيمارستان ، عوضاً عن القاضي ناصر الدين محمد بن المخلطة المالكي بحكم وفاته ، واستمر القاضي بدر الدين ابن المخلطة في نيابة النظر عن القاضي جلال الدين كما كان نائباً عن أبيه أولاً .

وفي يوم الأحد سادسه عزل الأمير تمراز الإينالي الأشرفي عن الدوادارية الثانية ، وذلك لسوء خلقه ومجاوبته للسلطان بقلة أدب ، وقد تقدم من تمراز

ـ المذكور ـ عزل نفسه غير مرة والسلطان يسأله في العود إلى أن وقع بين بعض مماليكه وبعض مماليك السلطان قتال بالدبابيس، ووقع بسبب ذلك كلام كثير.

وكان قبل ذلك بمدة يسيرة أو في أمس تاريخه وقع بين تمراز ـ المذكور ـ وبين الأمير يونس الدوادار الكبير كلام بسبب محاكمة حكم فيها يونس ـ المذكور ـ فأغلظ تمراز على يونس في اللفظ ، ثم بعد ذلك كله دخل تمراز إلى السلطان وتكلم معه بقلة أدب كالمشتكي على يونس وعلى المماليك السلطانية الذين تقاتلوا مع مماليكه ، ولم يزل يتكلم مع السلطان إلى أن قال له السلطان : أنزل استرح في بيتك . فنزل من وقته ولزم داره إلى ما سيأتي ذكره إن شاء الله .

وفي يوم السبت ثاني عشره خرج المقام الشهابي أحمد ولد السلطان إلى خانقاه سرياقوس وصحبته الأمير خشقدم أمير سلاح ، ويونس الدوادار الكبير ، والقاضي ناظر الجيش ، وجميع مقدمي الألوف // [٣٠٤] ما عدا الأمير الكبير تنبك ، والأمير طوخ أمير مجلس لمرض به ، والأمير آخور الكبير إلى ملاقاة الأمير جلبان نائب الشام ، بعد أن أرسل السلطان إلى جلبان ـ المذكور ـ بعدة خيول بسروج ذهب وكنابيش زركش وأشياء غير واحدة .

وفي يوم الأربعاء سادس عشره أخلع السلطان على زين الدين يحيى الأستادار فوقاني بطرز ذهب لعافيته من مرضه .

وفي يوم الخميس سابع عشره وصل الأمير جلبان ـ نائب الشام ـ إلى القاهرة بعد أن احتفل الأمراء وأرباب الدولة إلى ملاقاته، وطلع إلى القلعة، ودخل إلى السلطان بالقصر الأبلق المطل على الرملة، المعروف بالخرجة، فلما رآه السلطان قام إليه واعتنقه بعد أن قبل جلبان ـ المذكور ـ الأرض بين يديه، ثم أجلسه السلطان على ميسرته فوق ولده المقام الشهابي أحمد، ولم يطل جلوسه حتى طلب السلطان خلعته، وخلع عليه خلعة الاستمرار بنيابة دمشق على عادته في مكان جلوسه بالخرجة المذكورة، ولم يقع ذلك لأحد من النواب؛ لأن العادة: لا يخلع السلطان على من يخلع عليه إلا بالقصر الأبلق من داخل الخرجة. ثم قام السلطان وخرج إلى القصر ولم يدع جلبان ـ المذكور ـ يقف، بل أمره أن يتوجه إلى حيث أنزله السلطان، فنزل محمولاً لضعف به وكبر سنه ـ أيضاً ـ ونزل

غالب أكابر الأمراء وأرباب الدولة بين يديه إلى أن أوصلوه إلى الميدان الكبير بطريق بولاق تجاه بركة الناصري، ومد له مدة هائلة، وترددت الناس إليه نهاره كله، واستمر إلى يوم الأحد عشرينه قدم إلى السلطان تقدمة ، وكانت تقدمة هائلة تشتمل على عشرة مماليك، ومائتي فرس منها اثنان بقماش ذهب والباقي على العادة، وعدة حمالين منها ستون حمالاً عليها قسى، كل حمال خمسة أقواس، ومنها مائة وعشرون حمالاً بعلبكي على كل حمال خمسة أثواب، النصف منها عال موصلي، وستون حمالاً عليها أبدان سنجاب، وعشرة حمالين عليها فرو سمور، وعشرة عليها وشق، وعدة حمالين فرو قاقم، وستون حمالاً عليها قرضيات كثيرة، وعدة حمالين عليها أثواب صوف ملون، وعدة حمالين عليها شقق حرير وأثواب مخمل تزيد على مائة حمال، وطبق مغطى فيه ذهب مبلغ عشرة آلاف دينار على ما قيل . فقبل السلطان ذلك ، وأخلع على أرباب وظائف جلبان المذكور خلعاً[1] سنية ، وفرق // السلطان من الخيول على أمراء [٣٠٥] الألوف جميعهم على قدر مراتبهم .

وفي هذا اليوم - أيضاً - رسم السلطان لنقيب الجيش أن يخرج الأمير تمراز الإينالي الأشرفي الدوادار الثاني إلى القدس بطالاً، فنزل وتوجه به من يومه إلى خانقاه سرياقوس

قلت:

ما يفعل[2] الأعداء في جاهل ... ما يفعل الجاهل في نفسه

(السريع)

فإن تمراز هذا كان في الدولة الظاهرية جقمق من جملة أمراء العشرات، وكان ممن لا يؤبه إليه حتى مات الظاهر وثار مع الملك الأشرف إينال لما وثب على الملك المنصور عثمان مع من انضم إليه من المماليك الأشرفية والمؤيدية والناصرية وغيرهم، فلما تسلطن الأشرف قرب تمراز - هذا - وجعله دواداراً ثانياً

(١) في « أ » : « خلع » .

(٢) في « أ » : « تفعل » .

وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه، وصار له كلمة في الدولة وحرمة وافرة، وهابته الناس لشراسة خلقه وحدة مزاجه، .وباشر الدوادارية أقبح مباشرة من الظلم والعسف والإخراق بالناس والبطش بحواشيه وأرباب وظائفه ومماليكه، حتى تجاوز الحد، وما كفاه ذلك حتى صار يخاطب السلطان بما يكره، وبقي في كل قليل يغضب ويعزل نفسه، ووقع له ذلك غير مرة، فلما زاد وخرج عن الحد عزله السلطان، ولزم داره أياماً، ثم أخرج إلى القدس حسبما تقدم ذكره، وأراح الله المسلمين منه، وما ربك بظلام للعبيد. وأنعم السلطان بإقطاع تمراز - المذكور - على الأمير كزل السودوني المعلم، وعلى الأمير قلمطاي الإسحاقي الأشرفي نصفين بالسوية.

وفي يوم الاثنين حادي عشرينه أعيد الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم إلى الوزر بعد عزل فرج بن النحال كاتب المماليك عنها، وسر الناس بولاية أمين الدين هذا سروراً عظيماً؛ لحسن سيرة أمين الدين - المذكور - ولقبح سيرة فرج؛ فإنه باشر الوزر على طريقة أشرار القبطة، وأخذ ما لا يستحقه، وقطع في وزارته للناس (أشياء) ، هذا مع الوضاعة والحرفشة والبهدلة الزائدة والعجز عن القيام بالكلف السلطانية، فكان في أيام التفرقة يركب فرسه ويدور على الناس يقترض منهم النزر اليسير الذي لا قيمة له. وبالجملة فلم نعهد في زمانا وزيراً أقبح سيرة ولا أسوأ حالاً منه.

[٣٠٦] ومما وقع له من البهدلة أنه لبس يوم عيد الفطر خلعته// مع جملة أرباب الدولة، ونزلوا الجميع من الشارع، فبينما هم في الطريق وقفوا الجميع من عظم ازدحام الناس، فنظر إليه شخص من أصحابنا الأشراف وقال له: أنت غلس، ولو لبست حلة من الجنة. فقال له فرج المذكور: أضربك يا شريف؟ فقال له الشريف: تكذب؟ ولا الملك ما يقدر على ذلك. فضحك الناس من ذلك. واستمروا يضحكون من ذلك أياماً كثيرة.

وفي هذا اليوم - أيضاً - استقر الأمير بردبك صهر السلطان دوادارا ثانياً، عوضاً عن تمراز الإينالي الأشرفي المذكور آنفاً.

وفي يوم الثلاثاء ثاني عشرينه أضاف السلطان الأمير جلبان نائب الشام.

وفي يوم الخميس رابع عشرينه استقر الأمير جانبك من أمير الأشرفي الخازندار أمير حاج المحمل على عادته في السنة الماضية.

وفيـه قدم الأمـير خير بـك المؤيـدي ـ أحـد مقـدمي الألـوف ـ من كشف البهنسا ، وألبسه السلطان كاملية بمقلب سمور .

وفي يوم الاثنين ثامن عشرينـه أخلع السلطان على الأمـير حديثـة بن عذار ابن عجـل بن نعير بـإمرة عـرب الشام ، بعـد عزل ابن عمـه عساف ، بسفـارة الأمير جلبان نائب الشام من غير رضى نائب حلب .

جمادى الآخرة

أوله الأربعاء.

ففي يوم الخميس ثانيه لبس قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني الشافعي خلعة الاستمرار؛ فإنه كان أشيع بعزله بالسراج الحمصي أو بيحيى المناوي .

وفيه سافر الأمير جلبان نائب دمشق إلى محل كفالته.

وفيه نودي على الذهب بالقاهرة وأعمالها بأن يكون صرف كل دينار بثلاثمائة وعشرين درهماً ، بعد أن كانت المعاملة بـه قبل تـاريخه قـد وصلت إلى ثلاثمائة وخمسين درهماً .

وفيه رسم السلطان بنقل الأمير قاني بـاي الموسـاوي السيفي تمربغـا المشطوب نائب ألبيرة إلى نيابة ملطية بعد عزل الأمير جانبك الجكمي عنها، واستقر في نيابة ألبيرة ناصر الدين محمد والي الحجر ـ كان ـ بقلعة حلب ، عوضاً عن قاني باي المذكور .

وفي يوم الجمعة ثالثه وصلت رمة سيدي خليل ابن الملك الناصر فـرج بن برقوق من ثغر دمياط، وصلى عليه بتـربة جـده الملك الظاهـر برقـوق، ودفن بها

ـ أيضاً ـ بعد أن أقاموا العزاء عليه نحو العشرة أيام، وأمعنوا في ذلك وأفحشوا فيه إلى الغاية، بحيث أن امرأة ماتت من عظم اللطم على وجهها وصدرها في العزاء المذكور، وهذا شيء لم// نعهد مثله. [٣٠٧]

وفي يوم الخميس تاسعه نودي على الذهب ـ أيضاً ـ بالسعر الذي نودي به في ثاني الشهر المذكور.

قلت : وهذا شيء لا يتم ، وأظنه ينمو إلى أزيد من ثلاثمائة وخمسين درهماً ، والله أعلم .

وفي يوم الأربعاء خامس عشره استقر القاضي تاج الدين ابن المقسي في كتابة المماليك السلطانية ، عوضاً عن فرج بن النحال القبطي المعزول عن الوزر ، وكان المباشر للوظيفة في مدة ولاية فرج الوزير شخصاً[1] من أصاغر الأقباط يسمى زين الدين عبد الرحمن .

وفي يوم الخميس ثالث عشرينه ـ الموافق لسادس عشرين بئونة ـ أخذ قاع النيل المبارك فجاءت القاعدة ـ أعني الماء القديم وما أضيف إليه من الماء الجديد ـ سبعة أذرع وخمسة عشر إصبعاً .

وفيه خرجت تجريدة إلى البحيرة بسبب نزول عرب لبيد، نحو ستمائة نفر من المماليك السلطانية ومقدمهم الأمير جانم الأشرفي أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية، وصحبته الأمير برسباي البجاسي أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية ـ أيضاً ـ وعدة أمراء من أمراء الطبلخانات والعشرات.

وفي هذا الشهر كان الفراغ من مدرسة الأمير بردبك الدوادار التي أنشأها بخط قناطر السباع[2] ، وأقيم بها الخطبة .

---

(١) في « أ » : « شخص » .

(٢) حط قناطر السباع ، نسبة إلى قناطر السباع التي أنشأها « الظاهر بيبرس »، ناصباً عليها سباعاً هي رنكه ، ثم جلدها « الناصر محمد بن قلاوون » توسعةً وخفضاً سنة خمس وثلاثين وسبعمائة للهجرة.

شهر رجب

أوله الجمعة.

فيه أعيدت المعاملة بالدينار الذهب الأشرفي إلى ثلاثمائة وخمسين درهماً من غير مناداة السلطان.

وفي يوم الثلاثاء خامسه أعيد القاضي محب الدين محمد بن الأشقر إلى وظيفة كتابة السر الشريف بالديار المصرية بعد عزل محب الدين محمد بن الشحنة عنها، وسر الناس بولاية محب الدين ابن الأشقر سروراً زائداً.

وفي يوم الاثنين حادي عشره دار المحمل بالقاهرة، ولعبت الرماحة بالقاهرة بالرميلة كما فعلوا في العام الماضي.

وفي يوم الأحد سابع عشره عرض القاضي جمال الدين ناظر الجيش والخاص الكسوة التي عملها لمقام سيدنا إبراهيم الخليل - عليه السلام - وخلع عليه من الغد في يوم الاثنين كاملية مخمل أحمر بفرو سمور بمقلب سمور، وقيد له فرس بسرج ذهب وكنبوش زركش، فلما وصل إلى داره ألبس الخلعة المذكورة للأمير بردبك الدوادار الثاني، وأركبه - أيضاً - الفرس المذكور بسرجه وقماشه، ثم أصبح السلطان أخلع على القاضي ناظر الخاص المذكور - أيضاً - // مثل خلعته بالأمس، وأركبه فرساً مثل فرسه بالأمس. [٣٠٨]

قلت: لا يستكثر عليه، إذا لبس في كل يوم خلعة مثل ذلك، فإن القاضي ناظر الخاص - المذكور - هو عظيم المملكة - الآن - والمشار إليه في حلها وعقدها، وهو أهل لما هو أكثر من ذلك.

وفي يوم الثلاثاء المذكور خلع السلطان على الشريف مخدم بن عقيل بإمرة مدينة الينبع بعد موت عمه معزاً.

= راجع: المقريزي. الخطط ج ٢ ص ١٤٦ - ١٤٧.
ولعل ميدان السيدة زينب - الحالي - يأتي في موضعها.

وفي يوم الخميس حادي عشرينه وصل شاهين التاجي دوادار الأمير جانم الأشرفي من البحيرة ومعه قائد من قواد عرب لبيد ، يذكر أن عرب لبيد طائعة للسلطنة ، وأنهم يريدون رضى السلطان عليهم ، فرحب به السلطان .

وفي يوم الجمعة ثاني عشرينه سافر الأمير بردبك الدوادار الثاني وصهر السلطان إلى القدس الشريف وعلى يده كسوة برسم مقام الخليل عليه الصلاة والسلام، وسافر مع بردبك ـ المذكور ـ القاضي شرف الدين التتائي الأنصاري، والطواشي شاهين الساقي الظاهري، وخرج بردبك ـ المذكور ـ من القاهرة بتجمل زائد ، وبين يديه أكابر الدولة وأعيانها .

وفي يوم الأحد رابع عشرينه استقر يار على العجمي الخراساني الطويل في حسبة القاهرة بعد عزل عبد العزيز بن محمد الصغير عنها، وقد تقدم ولاية الشيخ (يار) على هذا لحسبة القاهرة غير مرة كما تقدم ذكره.

شعبان

أوله السبت.

ففي يوم الخميس سادسه وصل الأمير يرشباي الإينالي المؤيدي الأمير آخور الثاني ـ كان ـ من بلاد الروم إلى القاهرة المحروسة وعليه خلعة خوند كار محمد بن مراد بك بن عثمان متملك برصا وغيرها من بلاد الروم [1] ـ ولبسهم غير لبس المصريين ـ فقدم يرشباي ـ المذكور ـ بتلك الهيئة على عادة من يتوجه إليهم ، وطلع إلى القلعة وقبل الأرض ، وعرف السلطان أن محمد بك ـ المذكور ـ أحسن إليه غاية الإحسان ، ثم نزل إلى داره .

وفي يوم الأحد تاسعه أحضر إلى بين يدي السلطان البدوي المعروف بالفضل، الذي كان قبل تاريخه يقطع الطريق ويخيف السبيل ومعه ابن عمه. فأمر السلطان بضربهما بالمقارع ، فضربا بين يديه ، ثم سمرا[2] على جملين ،

---

(١) بعدها في «أ»: «إلى القاهرة المحروسة»، وهو تكرار لا فائدة منه

(٢) التسمير : عقوبة قاسية تدق فيها بعض أعضاء المعاقب في لوح من الخشب أو نحوه بمسامير =

ثم سلخا وجعل جلدهما بواً[1] ، وأرسلا إلى الشرقية .

وسبب ذلك أن الفضل - المذكور - كان خارجاً عن الطاعة قاطعاً للطريق مخيفاً للسبيل ، دام على ذلك // مدة سنين ، وشهر بالشجاعة ، وتطلبته الولاة [٣٠٩] والكشاف فلم يقدروا على تحصيله ، فكان يأتي البلد الكبيرة نهاراً ويقيم على بعد منها ، ثم يرسل قاصده إلى أهل تلك البلد يقول : قد قرر عليكم الفضل كيت وكيت . فيقوم أهل البلد - المذكور - يجبون له ما طلبه بسرعة ويأتونه به من غير تهاون ، وإن لم يفعلوا ذلك غضب عليهم وغاب عنهم أياماً قلائل ثم يطرقهم ليلاً ويأخذ ما شاء ؛ وأقام على ذلك مدة وأعيا الحكام أمره ، إلى أن قدم إلى السلطان طائعاً ، فأمنه السلطان وتاب عن ذلك ، ونزل إلى القاهرة وشق بها ، وأقام بها أياماً ، وصار إذا مشى بالقاهرة تعدو العوام خلفه للفرجة عليه ، وهو يضحك من ذلك ، ثم توجه بعد ذلك إلى بلاده وأقام أشهراً ، فبلغ السلطان من الأستادار زين الدين أن الفضل صار يفعل كما كان يفعل أولاً ويقطع الطريق في الباطن ، فلا زال به زين الدين الأستادار حتى استقدمه بالأمان ، وطلع به إلى السلطان ، وكان ذلك آخر العهد به .

وفي يوم الأربعاء ثاني عشره - الموافق لرابع عشر مسرى - أوفى النيل المبارك ستة عشر ذراعاً، وزاد سبعة أصابع من الذراع السابع عشر، ونزل المقام الشهابي أحمد ابن السلطان الملك الأشرف إينال من القلعة وعدى النيل حتى خلق المقياس ، وعاد وفتح خليج السد على العادة ، وكان يوماً مشهوداً .

= غلاظ ، ثم يوضع على جمل يطوف به تشهيراً وتنكيلاً، تمهيداً لتوسيطه (قتله) إن لم يكن هناك من يشفع فيه وتقبل شفاعته .

راجع : ابن دقماق. الجوهر الثمين ج ٢ ص ١١٥ - ١١٦ ح ٩، ابن صصري . الدرة المضية في الدولة الظاهرية ص ١٠٤ .

(١) البو : ولد الناقة ، وجلد الحُوَار يُحْشى ثُماماً أو تبناً فيقرب من أم الفصيل ، فيعطف عليه فتدر .

راجع الفيروزابادي . القاموس المحيط ص ١٦٣٣ .

وعلى ذلك فالمراد أن جلدهما سلخ وحشى تبناً على صورة جلد الحوار .

ولله در القائل في ذلك :

خـزن الخـزان لمـا أن رأى نيلنـا قد عم سهـلاً وجبـل
ورأى الزرع عروقاً أخرجت سبـلات ذات حب فاختبـل
وبـكى إذ رمـدت مـقـلتـه زاده الله عـروقـاً وسـبـل

[الرمل]

وفي يوم الخميس العشرين منه ورد الخبر على السلطان من البحيرة بأن الأمير جانم ـ أحد مقدمي الألوف ـ ركب بمن معه من المماليك السلطانية من منزله وطـرق عـرب لبيـد وحصـل بـين الفـريقـين قتـال عـظيم، وانتصر جانم ـ المذكور ـ على عرب لبيد، وقتل منهم خلقاً كثيراً، وأسر جماعة أخر، وغنم عسكره شيئاً كثيراً، ولم يقتل من عسكره غير أناس قليلة، من المماليك السلطانية اثنان ومن مماليك الأمراء واحد، فسر السلطان بذلك وخلع على شاهين دوادار الأمير جانم // وشكر له ذلك، ورسم باستمرار العسكر هناك إلى أن يرسم السلطان بعودهم. [٣١٠]

وفي هذه الأيام كلم زين الدين الأستادار السلطان في قطع جوامك أولاد الناس المستخبزة، فمال السلطان إلى كلامه وعرضهم في يوم الأحد ثالث عشرينه بالحوش السلطاني، وقطع جوامك جماعة كثيرة منهم، فعـظم ذلك عـلى الناس، وانطلقت الألسن في حق زين الدين الأستادار وغيره، ودام هذا الأمر إلى أن حضر الأمير بردبك صهر السلطان ـ الدوادار الثـاني ـ من القدس الشـريف وصحبتـه القاضي شـرف الدين مـوسى التتائي الأنصـاري، والطواشي شـاهـين السـاقي الظاهـري، وخلع السلطان عليهم ونـزلـوا إلى دورهم، ثم طلع بردبك ـ المذكور ـ بعد ذلك إلى السلطان وعرفه أن فيما فعله من قطع جوامك أولاد الناس دماراً عليه وعلى مملكته، فرجع السلطان إلى كلامه على ما سيأتي ذكره.

ولما عرض السلطان أولاد الناس في اليوم المذكور وقطع من قطع منهم وعظم ذلك على الناس استأنف السلطان من العرض ثانياً؛ فإنه لم يعرض في ذلك اليوم غير ستة أطباق، ورسم لزين الدين الأستادار أن يتحدث (في) ذلك،

وينظر من يكون إقطاعه كبيراً يقطع جامكيته، ومن يكون إقطاعه دون ذلك يبقيه؛ فحينئذٍ وصل زين الدين إلى مراده وفتك في الخلق، فلما رأى الوزير الصاحب أمين الدين إبراهيم ذلك تحرك - أيضاً - وشكا إلى السلطان كثرة الرواتب، فرسم السلطان بقطع من يكون له زيادة على زبدية من اللحم الراتب، فقطع شيء كثير - والزبدية عبارة عن رطلين ونصف وربع رطل، وإن كان صاحب وظيفة يكون له خمسة أرطال لا غير، وكان قبلَ ذلك يأخذ صاحب الوظيفة ثمانية أرطال، وبعضهم يأخذ عشرة، وهذا الأمر ليس هو بالتخصيص في حق أولاد الناس بل المماليك السلطانية جميعهم قاطبة - فعند ذلك كثر هرج الناس وماج العسكر، فتكلم بردبك مع السلطان في ترك ذلك جميعه، وأن يكون كل أحد على حاله، فرسم له بذلك.

شهر رمضان

أوله الاثنين.

فلما كان يوم الأربعاء ثالثه نودي بالقاهرة من قبل السلطان بأن كل أحد مستمر على حاله، ومن قطع له شيء يعود إليه كما كان أولاً، من أولاد الناس و (من) غيرهم، وكذلك في رواتب // اللحم وغيره، فسر الناس بذلك. [٣١١]

وفي يوم الخميس رابعه وصل الأمير جانبك الظاهري جقمق - أحد أمراء الطبلخانات وشاد بندر جدة - من الحجاز الشريف إلى القاهرة، وطلع إلى السلطان، وقبل الأرض، وخلع عليه وعلى رفيقه القاضي تقي الدين ابن نصر الله.

وفي يوم الخميس ثامن عشره قدم من البحيرة إلى القاهرة قوزي القردمي الخاصكي (وأخبر) بأن عرب لبيد رحلت من البحيرة إلى نحو بلادهم.

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشرينه قبض زين الدين يحيى الأستادار على علي ابن الأهناسي المعزول عن الأستادارية قبل تاريخه من بيت بعض الأقباط الكتبة، وأخذه هو ووالده على أقبح وجه إلى داره، فأقام عنده ثلاثة أيام ثم تسلمه منه المقر الجمالي ناظر الجيش والخاص.

وسبب قبض زين الدين عليه بحساب كان بينهما متعلق بديوان ابن السلطان، وأيضاً لما في النفوس.

وكان علي بن الأهناسي قبل تاريخه بمدة يسيرة وقع بينه وبين زوجته أمور وشكاوٍ[1] عند القضاة، ورافعت فيا زوجته - المذكورة - عند السلطان وغيره، وأفحشت في ذلك إلى الغاية.

قلت: وهذا تصديق قول من قال: كن من الخيرات منهن على حذر ولو طالت المدة.

وفي يوم الخميس خامس عشرينه وصل الأمير جانم بمن معه من الأمراء والعساكر من البحيرة، وخلع السلطان عليه وعلى رفقته.

شوال

أوله الثلاثاء، ويوافقه سابع عشرين توت.

فيه نودي على النيل المبارك بزيادة أحد عشر إصبعاً من عشرين ذراعاً، وهذا انتهاء زيادته في هذه السنة.

وفي يوم الخميس ثالثه خلع السلطان على جماعة من مشايخ البحيرة بعد أن ضمنوا أمر عرب لبيد، وأن لبيد يقيموا بالبحيرة للبيع والشراء حتى ينتهي أمرهم ثم يعودون إلى بلادهم، فرسم لهم السلطان بذلك.

وفي ليلة الجمعة رابعه - ويوافقه الثلاثين من توت - أمطرت القاهرة مطراً عظيماً مع رعد وبرق حتى غرقت الطرقات، هذا والبحر في عشرين ذراعاً حسبما تقدم ذكره، لكنه من يومه أخذ في النقص، فسبحان من يتصرف في ملكه كيف يشاء.

[٣١٢] وفي يوم الخميس عاشره// قدم من طرابلس الأمير فياض بن ناصر الدين بك بن دلغادر ليسعى في نيابة أبلستين بعد وفاة أخيه سليمان بن ناصر الدين

(١) في « أ »: « وشكاوي ».

بك بن دلغادر، وقد راج أمر ولاية ابن أخيه رسلان بن سليمان في نيابة أبلستين، ولم يبق إلا سفر من يتوجه إليه بالتقليد والتشريف، فلم ينتج أمر فياض المذكور، وسافر يشبك الخاصكي الأشرفي وعلى يديه تقليد رسلان المذكور بنيابة أبلستين، واستمر فياض هذا على إمرته بطرابلس، وهي إمرة طبلخاناه.

وفي يوم السبت ثاني عشره قدم إلى القاهرة ركب المغاربة وصحبتهم تقدمة هائلة من صاحب الغرب للسلطان، فأنزلهم السلطان بالميدان من تحت قلعة الجبل، وكانوا جمعاً كبيراً إلى الغاية، ومعهم أشياء كثيرة من أنواع المتجر كالرقيق والخيول والأقمشة وغير ذلك، ونفق سوقهم على المصريين وباعوا أحسن بيع.

وفي يوم السبت تاسع عشره برز أمير حاج المحمل الأمير جانبك من أمير الأشرفي برسباي الخازندار بالمحمل إلى بركة الحجاج، وأمير الركب الأول في هذه السنة الأمير خير بك الأشرفي برسباي - أيضاً - أحد الدوادارية الأجناد، واستقل الركب الأول بالمسير من بركة الحجاج في صبيحة يوم الاثنين، وسافر المحمل من الغد في يوم الثلاثاء ومعهما خلائق لا تحصى من الحجاج من أجناس مختلفة كالمغاربة والتكرور والتركمان وغيرهم، فالله تعالى يعاملهم بلطفه بمنه وكرمه.

وفيه وصل قاصد الأمير قاني باي الحمزاوي - نائب حلب - إلى القاهرة وعلى يده مطالعة مرسله تتضمن طلب حضور نائب حلب - المذكور - إلى القاهرة، فشكر له السلطان ذلك ولم يأذن له في المجيء، وأرسل إليه فرساً بسرج ذهب وكنبوش زركش، وكثر الكلام في طلب نائب حلب المجيء؛ فإنه كان قد أشيع بعصيانه من أول دولة السلطان، بل من أواخر الدولة الظاهرية جقمق، وإنه لا يعلن بالعصيان ولا إذا طلب للحضور إلى الديار المصرية يحضر، واستمر على ذلك، فلما طلب - الآن - الحضور. فمن الناس من قال: إن هذا الطلب مكيدة، وأنه أرسل ليستفهم لينظر ما يفعله السلطان، ومن الناس من قال غير ذلك، والله أعلم.

قلت: والذي فعله السلطان هو الصواب؛ لأنه إن كان عاصياً كانت // الفتنة تثور ويصير الأمر إلى أمور، وإن كان طائعاً فلا يضره عدم [٣١٣] مجيئه.

وفي يوم الخميس رابع عشرينه وصلت إلى القاهرة من نابلس رأس محمد بن عبد القادر المعزول عن مشيخة نابلس بابن عمه قبل تاريخه، وطيف بها على رمح في شوارع القاهرة ، ثم علقت أياماً .

وسبب قطع رأسه أنه كان لما عزله الملك الظاهر جقمق ـ رحمه الله ـ حبسه بسجن الإسكندرية، فاستمر في السجن إلى هذه السنة تحيلٰ بأن لبس زي النسوة، وخرج من السجن، ولازال حتى توصل إلى نابلس، وانضم إليه جماعة من أعوانه وأصحابه، وطرق ابن عمه المتولي وتقاتلا، فانكسر محمد ـ هذا ـ وقتل، وقتل معه جماعة من أصحابه، وأرسل ابن عمه رأسه إلى السلطان، فسر السلطان بذلك وأرسل إلى ابن عمه باستمراره.

وفي العشر الأخير من هذا الشهر حضر إلى القاهرة الأمير سودون الأبو بكري المؤيدي المعزول عن نيابة حماه قبل تاريخه في الدولة الظاهرية ، والمستقر على تقدمة ألف بدمشق .

وسبب قدومه أنه كان قد مرض في العام الماضي مرضاً شديداً، فأخرج الملك الأشرف إينال تقدمته للناصري محمد بن مبارك، فلما عوفي حضر لطلب رزق، فأنعم السلطان عليه بتقدمة ألف بطرابلس إلى أن ينحل له إقطاع.

وفي هذه الأيام ـ أيضاً ـ هرب محمد بن علي بن إينال ولم يعلم أحد أين توجه.

وسبب تسحبه شكوى خوند بنت الملك المؤيد عليه بسبب هدمه لمنظرة الخمس وجوه المعروفة بالتاج وسبع وجوه وأخذه أنقاضه.

ومحمد هذا كان من مساوىء الملك الظاهر جقمق، رباه صغيراً؛ لأن الظاهر كان قبل أن يتصل إلى الملك الظاهر برقوق كان مملوكاً لأمير علي والد محمد المذكور ، فلأجل ذلك أخذه ورباه ، ثم جعله من جملة مماليكه لما كبر، واستمر على ذلك سنين ، ثم بدا له أن يترك زي الجند ويلبس بالفقيري ، ففعل ذلك . وتفقر وسأل الناس ، وتخومل ، ودام على ذلك دهراً إلى أن تسلطن الملك الظاهر جقمق طلبه وأمره أن يلبس كعادته أولاً ، فامتنع ولم يفعل ، واستمر على حاله . وكان أخوه أحمد ـ أيضاً ـ بخدمة الملك الظاهر جقمق ،

وأحمد هو الأسن // ، وهم غير أشقاء ، فأنعم الملك الظاهر جقمق على أخيه [٣١٤]
أحمد بإمرة عشرة، فلما رأى محمد هذا ما وقع لأخيه أحمد داخله الحسد، وبقي لا يمكنه العود إلى الجندية، ففتح باباً آخر من السؤال والطلب والبلص، وصار لا يقنعه ما في بيت المال من الملك الظاهر جقمق ، وبقي يركب حماراً ويطلع إلى القلعة ويتردد إلى الأكابر ويسألهم طيبة وغصباً ، وأظهر من قبيح الخصال وعظم الطمع ما سيذكر عنه إلى يوم القيامة ، ثم بعد مدة ركب فرساً ثم صار أمير شكارا ، ثم أنعم عليه بإمرة عشرة ، وذلك بعد أن أخذ عدة إقطاعات حلقة ، ولم يكفه هذا كله حتى أنهى إلى الملك الظاهر أن التاج ـ المذكور ـ يقعَ فيه من المتفرجين فواحش وأمور عظيمة ، وأن هدمه من أكبر المصالح ، ولم يكن لكلامه صحة ، وإنما كان هذا المكان من أحسن أبنية مصر وأنزهها ، وأما الشيخ حيدر الذي كان ساكناً به فكان من خيار الناس ديناً وصلاحاً وعفة ، وكان ممن يلتمس منه الدعاء ، وكان قد عمل فيه محراباً وأعلاماً من أعلام الرفاعية ، وصار لا يسمى التاج ـ هذا ـ إلا الزاوية .

وبالجملة، لقد كان التاج من محاسن الدنيا، وهو من البناء القديم بالقرب من كوم الريش خارج القاهرة ، وتشعث بنيانه وتهدم ، فجدده الملك المؤيد شيخ ـ رحمه الله ـ وغرم عليه نحو العشرين ألف دينار ، ونزل إليه من القلعة غير مرة ، وأقام به وعمل فيه الخدمة ، وأراد أن يعمر ما حوله فأدركته المنية ، فلما تسلطن الملك الأشرف برسباي أسكن به الشيخ محمد حيدر الرفاعي هذا وإخوته وأنعم عليه برزقة بالقرب منه ، فدام به حيدر ـ المذكور ـ نحو الثلاثين سنة . وكان بيني وبينه صحبة أكيدة ، وكان من الأفراد في معناه ، ديناً خيراً عفيفاً عن ما يرمي به أوباش العجم ـ رحمه الله تعالى .

فلما سمع الملك الظاهر كلام محمد ـ هذا ـ صدقه وأمر بهدمه ، فتولى محمد ـ هذا ـ هدمه ، واستولى على جميع أنقاضه ، وباع منه بجمل مستكثرة من أحجار وأخشاب وشبابيك حديد وأشياء غير ذلك لا تدخل تحت حصر ، وصار التاج ـ المذكور ـ خراباً قفراً ، وما كفاه هدم التاج حتى عمر ببعض أنقاضه موضعاً على كوم القنطرة الجديدة سموه العوام : المخلوعة ، فصار // يأويه [٣١٥]
الحشاشين والفسقة ، فعظم على الناس قاطبة هدم التاج ـ المذكور ـ إلى الغاية .

وهيئة محمد ـ هذا ـ أنه رجل طوال كبير اللحية والشوارب، أهوج[1] في كلامه، وأما لبسه، فيلبس على رأسه قطعة شاش زي العامة السوقة، ويلبس ثياباً بأكمام كبار كهيئة عرب البحيرة، ويركب بسرج بداوي، يركب قدور كهيئة الأعراب ـ أيضاً ـ ثم يحمل في بعض الأحيان على يده طيراً من الطيور الجوارح، ويمشي على هذه الهيئة بالشوارع، فإذا نظر إليه من لا يعرفه يتحير في أمره واختلاف ملبسه، فكانت هيئته مهولة مضحكة، وكل ذلك من الجنون وخفة العقل، والجنون فنون، واستمر على ذلك إلى أن تسلطن الملك الأشرف إينال أخرج إمرته عنه ومنعه من الأمير شكارية، وأخذ أمره في انحطاط إلى أن شكت عليه بنت المؤيد وطلبت منه ثمن ما باعه من أنقاض التاج ، فأقام في الترسيم أياماً ووزن بعض ذهب ـ أقل من ألف دينار ـ ثم هرب فلم يعرف أين ذهب ـ إلى حين ألقت[2] ـ ثم ظهر بعد أيام ولزم داره .

ذو القعدة

أوله الأربعاء.

ففي يوم الثلاثاء سادسه عين السلطان تجريدة إلى البحيرة بسبب عود عرب لبيد، ومقدم العسكر الأمير الكبير تنبك الظاهري، فاستعفى تنبك ـ المذكور ـ فعين عوضه الأمير خير بك المؤيدي ـ أحد مقدمي الألوف ـ وعين معه عدة أمراء طبلخانات وعشرات.

وفي يوم الجمعة عاشره ـ ويوافقه خامس هاتور ـ لبس السلطان القماش الصوف الملون ، وألبس الأمراء على العادة .

وفي يوم السبت حادي عشره عرض السلطان المماليك السلطانية وكتب منهم جماعة كبيرة إلى البحيرة، ثم عرض في يوم الأحد من الغد ـ أيضاً ـ وكتب جماعة أخر، ثم في يوم الأربعاء خامس عشره ، ثم سكن الحال ، وورد بعد ذلك الخبر بردود (عرب) لبيد .

---

(١) في « أ » : « أهوجاً » .

(٢) كذا في الأصل.

وفي يوم السبت حادي عشره ـ أيضاً ـ هرب الوزير الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم واختفى، فتغير السلطان على جماعة المباشرين.

ثم في يوم الاثنين قبض السلطان علي زين الدين يحيى الأشقر وعوقه بقلعة الجبل، وخلع على الأمير ناصر الدين محمد بن أبي الفرج نقيب الجيوش المنصورة في يوم الثلاثاء رابع عشره بالأستادارية، عوضاً عن زين الدين المذكور، وخلع ـ أيضاً ـ علي فرج كاتب المماليك بعوده إلى الوزر، عوضاً عن الصاحب أمين الدين إبراهيم// بن الهيصم، وكان في أمسه قد خلع علي فرج المذكور [٣١٦] بعوده إلى كتابة المماليك، عوضاً عن القاضي تاج الدين عبد الله بن المقسي، وكان القاضي تاج الدين ـ المذكور ـ قد باشر كتابة المماليك أحسن مباشرة، وسلك فيها أجمل طريقة، وحسنت سيرته في ذلك وأحبته الناس.

وفي يوم الأربعاء ضرب السلطان زين الدين الأستادار وألزمه بحمل جملة كبيرة من المال، وأخذ زين الدين في بيع قماش بدنه وأوانيه وغير ذلك.

وفي يوم الاثنين العشرين منه أخلع علي القاضي حسام الدين ابن بريطع باستقراره قاضي قضاة الحنفية بدمشق، عوضاً عن القاضي حميد الدين، بحكم عزله وإخراجه إلى حلب.

وفي يوم الخميس أخرج القاضي محب الدين ابن الشحنة إلى القدس بطالاً.

وفي يوم السبت خامس عشرينه أطلق زين الدين يحيى الأستادار من محبسه بالقلعة ونزل إلى بيت القاضي ناظر الجيش والخاص على أنه يفي ما بقي عليه ثم يتوجّه إلى القدس ويقيم به بطالاً.

وفيه استقر عبد العزيز بن محمد الصغير في نقابة الجيش، عوضاً عن الأمير ناصر الدين محمد بن أبي الفرج، بحكم استقراره في الأستادارية عوضاً عن الأمير زين الدين يحيى الأشقر.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشرينه رسم السلطان أن يطلع المهندسون إلى

مدرسة السلطان حسن لكشف مئذنتها القبلية، فإنه قيل: للسلطان إنها أشرفت على السقوط، فطلع إليها جميع مهندسي القاهرة فلم يجدوا بها شيئاً مما قيل، بل من كثرة الرمي عليها بالمكاحل في أيام الحروب تخرق بعض رصاص القبة وانعوج هلال القبة، فأخرج الهلال وبقيت القبة بلا هلال.

قلت: وهذا أمر سهل (لا) بالهلال ولا بالمئذنة؛ فإن هذه المدرسة ومئذنتها وقبتها من عجائب الدنيا، وهي أحسن بنيان بنى في الإسلام، وقد استكملت هذه المدرسة من يوم الابتداء في عملها إلى سنتنا هذه مائة سنة؛ فإن الملك الناصر حسن شرع في بنائها سنة ثمان وخمسين وسبعمائة، وقتل في سنة اثنتين وستين وسبعمائة - رحمه الله تعالى - وكان بناؤه لهذه المدرسة وعمارته لها على هذه الهيئة مما يدل على علو همته، رحمه الله تعالى.

ذو الحجة

أوله الخميس.

[٣١٧] ففي يوم الجمعة ثانيه سافر زين الدين// الأستادار إلى القدس بطالاً.

وفي يوم الاثنين خامسه خلع السلطان على شخص من الأسالمة يسمى شمس الدين نصر الله بن النجار باستقراره في نظر الدولة، وكان لهذه الوظيفة مدة أشهر شاغرة.

قلت: ما أحلى هذا القران، ما لهذا الوزير إلا هذا الناظر الدولة، ولو ولي التاج الخطير استيفاء الدولة لكان تكمل الدست به.

وفي يوم السبت عاشره صلى السلطان صلاة عيد الأضحى ثم خرج إلى الإيوان ليضحي، وجلس حتى يقوم للذبيحة وإذا بالمماليك الجلبان قد هجسوا على الإيوان، فردهم من حضر من رءوس النوب، فتقهقروا قليلاً، ثم حطموا حطمة كبيرة، وأكثروا من الرجم حتى أصيب بعض الأمراء، ثم اقتتلوا فيما بينهم وعظمت الغوغاء، فقام السلطان من وقته ولم يذبح شيئاً بالجملة، وتوجه إلى الحوش وذبح به. فكانت هذه القضية من أقبح الأمور.

وفي يوم الثلاثاء العشرين منه وصل إلى القاهرة الأمير آقبردي الساقي الظاهري أتابك حلب ، وقبل الأرض بين يدي السلطان ، وأخلع عليه كاملية بمقلب سمور .

وفي يوم الاثنين سادس عشرينه نزلت المماليك الجلبان الذين بالأطباق وقصدوا بيت الأستادار ابن أبي الفرج ، ونهبوا جميع ما كان فيه من قماش وذهب ومتاع وأوان[1] وسلاح ، وقيل : كان شيئاً كثيراً إلى الغاية ، قيل : إن قيمة ما أخذ من بيته في هذه النهبة خمسة وعشرون ألف دينار ، هذا بعد هتك حرمه والرعب الذي حصل لهم ، وكان سبب ذلك تعويق الجامكية .

ولما وقع ذلك شاعت الأخبار وانتشرت بالبلاد والقرى، وكثر قطع الطريق وإخافة السبيل، كل هذا والسلطان لا يكترث بما وقع ولا يلتفت إلى إصلاح شأنه، فسبحان المدبر.

وفي يوم الأربعاء مسك السلطان عبد الرحمن كاتب المماليك ، وضربه علقة هائلة ، وحبسه بالقلعة إلى أن تكلم فيه فأطلقه من الغد على أنه يقوم بخمسة آلاف دينار ، ثم آل أمره إلى حمل ألف دينار .

وفي يوم الخميس ـ المذكور ـ أخلع على الأستادار ابن أبي الفرج ـ المذكور ـ خلعة الاستمرار بعد أن استعفى من الوظيفة وذكر أنه لا يملك صفراء ولا بيضاء.

وفرغت هذه السنة والأسعار رخية، غير أن البلاد، غير مطمئنة، والفتن واقعة في البحيرة بين العرب الطائعة والعاصية، والسبل مخافة، وذلك لعدم اكتراث الملك لذلك وللينه.

//وفيها كان الفراغ من مدرسة الأمير بردبك الدوادار الثاني بخط قناطر [٣١٨] السباع خارج القاهرة.

---

(١) في « أ » : « وأواني » .

ومبشر الحاج في هذه السنة شخص من النجابة ، وقد عوق عن الحضور أياماً ، ثم قدم في أواخر العشر الأخير من ذي الحجة .

أمر النيل في هذه السنة

كان الماء القديم سبعة أذرع وخمسة عشر إصبعاً، مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعاً وأحد عشر إصبعاً، وكان ذلك في مستهل شوال الموافق لسابع عشرين توت أحد شهور القبط. والله الموفق.

ذكر من مات من الأعيان في هذه السنة

(١) توفي الأمير يلبغا الجاركسي[١] ، أحد أمراء الطبلخانات في يوم السبت رابع شهر ربيع الآخر بعد مرض طويل .

كان تركي الجنس، أصله من مماليك الأمير جاركس القاسمي المصارع، ثم صار خاصكياً بعد موت الملك المؤيد شيخ، وأقام على ذلك سنين عديدة إلى أن تسلطن الملك الظاهر جقمق، قرب يلبغا المذكور لكونه من جملة مماليك أخيه جاركس المصارع، وأنعم عليه بإمرة عشرة، وجعله من جملة رءوس النوب، ثم ولاه رأس نوبة ولده المقام الناصري محمد مدة، ثم عزل واستقر على إمرته ووظيفة رأس نوبة السلطان إلى أن ولاه الملك الظاهر بعد سنين نيابة دمياط، وجعله من جملة أمراء الطبلخانات، وطالت مدته بدمياط إلى أن عزله الملك الظاهر قبل موته بمدة يسيرة، وقدم إلى القاهرة ودام بها، ثم مرض وطال مرضه إلى أن أخرج الملك الأشرف إينال إقطاعه وأنعم به على الأميرين: تنم الحسني الساقي الأشرفي، وقلمطاي الإسحاقي الأشرفي، واستمر يلبغا مريضاً بطالاً إلى أن مات في التاريخ المذكور، وسنه نيف على السبعين.

وكان مسرفاً على نفسه، لم يشتهر بدين ولا شجاعة ولا كرم، عفا الله عنه .

---

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردى : الدليل الشافي ج ٢ ص ٧٩٥ تر ٢٦٧٨ ، المنهل الصافي مج ٣ ق ٣٠٦ أ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٠ ، السخاوي. الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢٨٨ - ٢٨٩ تر ١١٣٣ .

(٢) وتوفي القاضي ناصر الدين محمد بن. . .[١] ابن قاضي القضاة فخر الدين أحمد بن عبد الله، الشهير بابن المخلطة[٢] - أحد نواب الحكم المالكية، وناظر البيمارستان المنصوري - في يوم الأحد تاسع عشرين شهر ربيع الآخر.

ومولده (قريباً من سنة تسعين وسبعمائة)[٣]. وكان فقيهاً عارفاً بمذهبه، [٣١٩] وعنده دربة بالشروط والأحكام، وولي الحكم سنة سبع عشرة وثمانمائة، // وحمدت سيرته، وصحب الملك الأشرف إينال قديماً قبل سلطنته، فلما تسلطن ولاه نظر البيمارستان من غير سعي، بعد عزل شرف الدين موسى التتائي الأنصاري عنها، فلم تطل مدته ومات - رحمه الله - في التاريخ المذكور.

وكان - رحمه الله - من بيت علم وفضل ورياسة وأصل عريق، وكان جده قاضي القضاة فخر الدين أحمد من أعيان فقهاء المالكية في زمانه، ذكره العلامة الحافظ برهان الدين ابن فرحون في كتابه المسمى بالديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، فيمن اسمه أحمد، من الطبقة الأخيرة من أصحاب مالك، فقال:

«كان فاضلاً في مذهب مالك، إماماً في الأصول والعربية، رحل إلى الشام، وسمع من الحافظ أبي الحجاج المزي وشمس الدين الذهبي وغيرهما، وقرأ الأصول على شيخ الفن شمس الدين الأصبهاني[٤]، والعربية على القاضي عماد الدين أبي الحسن[٥] الكندي، وعلى أثير الدين أبي حيان، وتفقه بالإمام

---

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٠ - ١٧١، السخاوي. الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢٧ تر ٨٠، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١٩.

(٢) بياض في «أ»، وهو في السخاوي. الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢٧ تر ٨٠: «محمد بن محمد بن يحيى بن محمد بن ناصر الدين بن العز المحيوي أبي زكريا السكندري ثم القاهري»، كما أشار في ترجمته لابنه «محمد» - المصدر السابق ج ١٠ ص ٨ تر ١٣ إلى أن «يحيى» جده - فيما يظن - أخو قاضي إسكندرية «الفخر أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الله»، وهو مما لا يستقيم معه النص المثبت في المتن هنا.

(٣) مبيض له في «أ»، مثبت من المصدر السابق ج ١٠ ص ٢٧ تر ٨٠.

(٤) في «أ»: الأصفهاني.

(٥) في «أ»: الحسين.

أبي حفص عمر ابن قداح[1]، وتفقه بقاضي القضاة فخر الدين المذكور جماعة منهم العلامة شهاب الدين أحمد بن عمر بن علي بن هلال الربعي وغيره.

وتوفي القاضي ناصر الدين المذكور في التاريخ المذكور، ولم يخلف بعده مثله ضخامة وعلماً ومعرفة وديناً وعفة، رحمه الله تعالى.

والمخلطة بالخاء المعجمة واللام المشددة المكسورة والطاء المهملة، كذا ضبطه الحافظ برهان الدين ابن فرحون في ترجمة جده قاضي القضاة فخر الدين[2]، رحمه الله - تعالى - وعفا عنا وعنه.

(٣) وتوفي المقام الغرسي خليل[3] ابن السلطان الملك الناصر فرج ابن السلطان الملك الظاهر برقوق بن آنص الجاركسي الأصل، المصري المولد، الإسكندراني المنشأ، الدمياطي الوفاة، في يوم الثلاثاء ثاني عشر جمادي الأولى بثغر دمياط ودفن به.

ومولده في سنة أربع عشرة وثمانمائة بقلعة الجبل في حياة والده، وأمه أم ولد تسمى لا أفلح من ظلم، فدام بقلعة الجبل إلى أن أخرجه الملك المؤيد شيخ مع أخيه محمد إلى ثغر الإسكندرية فحبسا بها مدة سنين إلى أن سألت عمتهما خوند زينب زوجها الملك المؤيد شيخ في حضورهما. فأحضرهما إلى قلعة الجبل فختنا بها، واستمرا بقلعة الجبل إلى أن أخرجهما الملك الظاهر ططر ثانياً إلى الإسكندرية في أواخر سنة ثلاث[4] // وعشرين وثمانمائة فداما بها إلى أن توفي [٣٢٠] أخوه محمد بالطاعون في سنة ثلاث وثلاثين، وبعد مدة أطلق خليل هذا من الحبس، ورسم له الملك الأشرف برسباي بالسكني بالإسكندرية من غير أن يركب إلا إلى صلاة الجمعة، فيركب فرس نائبها ويصلي الجمعة ثم يعود إلى داره.

---

(١) في «أ»: فراح.

(٢) راجع: ابن فرحون. الديباج المذهب ت. محمد الأحمدي أبي النور. القاهرة، دار التراث جـ ١ ص ٢٥٦ تر ١٤١.

(٣) له ترجمة في: ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ١ ص ٢٩٢ تر ١٠٠٤، المنهل الصافي مج ٢ ق ٥٢ ب، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧١ - ١٧٢، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٠١ تر ٧٦١، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١٩.

(٤) في هامش «أ»: «حاشية: صوابه: سنة أربع وعشرين».

واستمر على ذلك إلى أن رسم له الملك الظاهر جقمق بـالركـوب، وبعث إليه بفرس عليه قماش ذهب، ثم منع من ذلك مدة طويلة، ثم رسم له ثانياً بذلك، وأذن له في الحج، فتهيأ للحج في سنة ست وخمسين، وقـدم إلى القاهـرة بعد نصف شوال، ونزل بيت صهره زوج أخته خوند شقراء بحدرة البقر، وطلع إلى السلطان بعد مجيئه بيومين، فلما رآه السلطان بالغ في تعظيمه ـ حسبما ذكرناه في وقته في هذا الكتاب ـ حتى إنه جلس بين يديه وخلع عليه كاملية مخمل بمقلب سمور، ونزل إلى بيت أخته إلى أن توجه إلى الحج صحبـة الحجاج، وعـاد، ففي يوم عوده إلى بركة الحاج خلع الملك الظاهر نفسه وسلطن ولده عثمان، فقدم خليل هذا من بركة الحاج ونزل بتربة جده الظاهر برقوق حتى أصبح من الغد وطلع إلى القلعة وسلم على الملك المنصور عثمان، ثم خرج من عنده، وخرج ليعود الملك الظاهر في مرضه، ثم نزل بعد أن ألبسه الملك المنصور كاملية بمقلب سمور، وفي حال نزوله رسم الملك المنصور بتوجهه إلى ثغر دمياط في يومه، فنزل بتربة جده، وسافر من ليلته في بحر النيل إلى دمياط، وكان ذلك في ليلة خامس عشرين المحرم ، فدام بدمياط إلى أن مرض بالبطن ، ومات بدمياط ودفن بها أياماً ، ثم أخرج في سحلية ، وحضرت رمته إلى القاهرة في يوم الجمعة ثـالث جمادي الآخـرة من السنة ، ودفن بتـربة جـده بالصحـراء ، وصـلى عليـه القضاة ثانياً قبل نزوله إلى القبر .

وكان صفته : أخضر اللون، للطول أقرب، نحيف البدن، أسود اللحية، وعنده تمعقل ودهاء مع كبر وجبروت كان فيه، مع إسراف على نفسه وانهماك في اللذات.

وهو زوج كريمتي، ومات عنها وخلف منها بنتاً في السادسة من العمر، وخلف جارية حاملاً ، فولدت من بعده ولداً ذكراً يسمى خليلاً[1] بـاسم أبيه ، رحمه الله ـ تعالى ـ وعفا عنا وعنه .

[٣٢١] (٤) وتوفي القاضي شمس الدين محمد بن عامر[2] ، قـاضي / / قضاة

---

(١) في «أ» : «خليل» .

(٢) هو «محمد بن محمـد بن عامـر»، له تـرجمة في : ابن تغـري بردي. النجـوم الزاهـرة ج ١٦ =

المالكية بصفد ، وبها مات في أوائل جمادي الأخرة .

وكان معدوداً من فقهاء المالكية، وناب في الحكم بالقاهرة سنين عديدة، وولي في بعض الأحيان قضاء المالكية بالإسكندرية غير مرة، رحمه الله تعالى وعفا عنه.

(٥) وتوفي الشريف معزا أمير مدينة ألينبع[1] في أواخر جمادي الآخرة بها ، وتولى عوضه إمرة ألينبع ابن أخيه مقبل ، رحمه الله تعالى .

(٦) وتوفي الأمير جانبك الزيني عبد الباسط[2] بالقاهرة في يوم الأربعاء لعشر[3] بقين في شهر رجب .

وكان قد ولي الأستادارية في الدولة الأشرفية برسباي في أيام أستاذه عبد الباسط ؛ وسببه أن الأشرف كان قصد تولية عبد الباسط ـ المذكور ـ الأستادارية فلما ألح عليه ورأى منه الجد قال: يلبسها مملوكي وأنا أتكفل بأمرها، فقال الملك الأشرف: القصد سد ر[اتب] بيت السلطان، فوليها جانبك ـ المذكور ـ حساً والمعنى عبد الباسط ، فدام فيها إلى أن قبض الملك الظاهر جقمق على أستاذه عبد الباسط ، وصادره ـ قبض على جانبك هذا ـ أيضاً ـ مع من قبض عليه من حواشيه ، وتولى الأستادارية من بعده دواداره محمد بن أبي الفرج ، فلما أفرج عن عبد الباسط ، ورسم له بالحج حج صحبته جانبك المذكور ، وتوجها إلى الشام ، فدام جانبك بدمشق إلى أن قدم أيام الملك الأشرف إينال ، وأقام بالقاهرة مدة ، ومات ودفن بتربة أستاذه بالصحراء خارج باب النصر .

= ص ١٧٢، السخاوي. الضوء اللامع ج ٩ ص ٨٧ ـ ٨٨ تر ٢٤٦، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٢٠.

(١) هو « معزى بن هجار بن وبير بن نخبار الحسيني »، له ترجمة في : السخاوي. الضوء اللامع ج ١٠ ص ١٦٢ تر ٦٦١.

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردى . الدليل الشافي ج ١ ص ٢٤١ تر ٨٢٩، المنهل الصافي ج ٤ ص ٥٦ تر ٢٢٦، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٢، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٥٦ تر ٢٢٦، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٢٠.

(٣) في «أ» لعشران، والتصويب عن النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٢.

ولم يكن جانبك من أعيان الدولة لتشكر أفعاله أو تذم، رحمه الله تعالى.

(٧) وتوفي قاضي قضاة الحنابلة بحلب، مجد الدين سالم بن سلامة[١] الحموي الحنبلي خنقاً بقلعة حلب بحكم الشرع، بسبب قتله لابن قاضي عينتاب، وقد سقنا حكايته مع ابن قاضي عينتاب في حوادث هذه السنة في صفر فلتراجع هناك.

وكان مجد الدين هذا له مشاركة، ويذاكر بالشعر، وعنده معرفة بالأحكام بحسب الحال، إلا أنه كان مهوراً وعنده حدة مزاج ومحبة للمنصب، عفا الله عنه.

(٨) وتوفي الأمير سليمان[٢] ابن ناصر الدين بك محمد بن دلغادر نائب أبلستين وأمير التركمان بها في يوم الأربعاء ثالث شهر رمضان، وحضر سيفه إلى القاهرة، وأخبر القاصد أنه عهد لابنه ملك أصلان بنيابة أبلسين، فأقره السلطان عليها، وأرسل إليه خلعة النيابة على يد يشبك الخاصكي الأشرفي.

[٣٢٢] وكان // سليمان ـ المذكور ـ أميراً جليلاً، إلا أنه كان قد صار لا يطيق الركوب من فرط السمن، رحمه الله تعالى.

(٩) وتوفي الأمير سودون بن عبد الله الجكمي[٣] بطالاً بالقاهرة.

وهو أخو الأمير إينال الجكمي نائب الشام لأمه وأبيه، وكانوا جماعة أخوة أصغرهم سودون هذا، وهو ممن تأمر في الدولة الظاهرية جقمق، ووجهه الملك الظاهر جقمق لأخيه إينال الجكمي بخلعة الاستمرار، وعاد إلى القاهرة، وأقام بها مدة يسيرة وعصى أخوه إينال، فاتهمه الملك الظاهر جقمق بأنه يتألف الجند والأمراء على أخيه إينال ـ وليس ذلك ببعيد ـ فقبض عليه وحبسه أكثر من عشر

---

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٢، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٤٢ تر ٩٠٨.

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٢.

(٣) له ترجمة في: ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٣، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٧٨ تر ١٠٥٦.

سنين، ثم أطلقه وأنعم عليه بإقطاع هين بدمشق، فاستمر بها إلى أن تسلطن الملك الأشرف إينال، قدم سودون هذا مع من قدم من المنفيين، فلم تتحرك ريحه ولا أقبل عليه السلطان، فدام بطالاً إلى أن مات يوم السبت رابع ذي القعدة فقيراً، فأرسل إليه السلطان بعشرة دنانير حتى جهز بها وأخرج.

وكان لنا به صحبة قديمة، رحمه الله.

(١٠) وتوفي قاضي قضاة الحنفية بدمشق قوام الدين محمد بن قوام[١] الدمشقي المولد والمنشأ والوفاة، الحنفي، مولده بها قبل سنة ثمانمائة تخميناً، لثمان خلون من ذي القعدة، ومات وهو غير قاض.

وكان فقيهاً فاضلاً، ديناً، خيراً، مشكور السيرة في أحكامه، نشأ بدمشق وتفقه[٢] بها على القاضي ركن الدين دخان، وأخذ النحو عن الشيخ علاء الدين العائذي الحنفي، وقرأ الأصول على العلامة أوحد زمانه الشيخ علاء الدين محمد البخاري الحنفي، وفضل وأفتى ودرس، وولي قضاء دمشق استقلالاً مرتين من غير سعي ولا بذل مال، ثم صرف ولزم داره إلى أن مات في التاريخ المذكور.

وكان عنده قوة وهمة عالية ورجلة، رحمه الله.

(١١) وتوفي ناصر الدين محمد المعروف بمحمد الصغير[٣] في ليلة الجمعة ثالث عشرين ذي الحجة، ودفن من الغد، وقد زاد سنه على ثمانين سنة.

وكان يحسن رمي النشاب إلى الغاية، ولذلك سمى بالمعلم لتعليمه الرمي، وكان يجيد هذه الصناعة علماً وعملاً. ومات ولم يخلف بعده مثله في ذلك، وكانت له مشاركة، وعنده[٤] // محاضرة حسنة، ويجيد قراءة المحراب، وكان [٣٢٣]

---

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٣.

(٢) وتفقه: مكررة في «أ».

(٣) له ترجمة في: ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٣.

(٤) «وعنده»: مكررة في «أ».

في صوته طرب ولقراءته رونق، وصحب الملك الظاهر جقمق في أيام إمرته، فلما تسلطن قربه وجعله نديمه، وولاه في أوائل دولته نيابة دمياط، ثم عزله وأهانه قليلاً، ثم أعاده إلى رتبته وجعله من جملة الحجاب، فدام على ذلك إلى أن مات الملك الظاهر جقمق، فلزم داره حتى مات، وورثه ابنه عبد العزيز بن محمد الصغير، فرد فيه الرمق بموت أبيه وعود إقطاعه إليه؛ فإنه كان في بحبوحة من الفقر والديون التي يستحي من ذكرها كثرة، وكان له سنين ينتظر ذلك، ولا أعرف والد محمد الصغير هذا، غير أن أصله من القازانية، لم يمسهم رق، رحمه الله تعالى وعفا عنا وعنه.

* * *

سنة تسع وخمسين وثمانمائة

استهلت هذه السنة وسلطان الديار المصرية الملك الأشرف إينال، والخليفة القائم بأمر الله حمزة أبو البقاء، والقضاة والأمراء ونواب البلاد الشامية وغيرهم من أرباب الوظائف على حالهم كما هو مذكور في السنة الماضية.

المحرم

أوله السبت.

في يوم الأحد ثانيه عزل السلطان الملك الأشرف إينال - ناصر الدين محمد ابن أبي الفرج عن الأستادارية بالزيني قاسم الكاشف ، وكان قاسم - هذا - صبياً[1] من الحوشة، ثم عمل غلاماً مدة سنين إلى أن اتصل بخدمة الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن كاتب المناخ ، فرأى فيه النجابة فرقاه إلى أن ولي كشف الوجه الغربي ، وباشر ذلك سنين ، وأثرى ، وتمول ، وترشح إلى الأستادارية ووليها .

وفي يوم الاثنين عاشره لبس الأمير آقبردي الساقي الظاهري جقمق أتابك حلب خلعة السفر، وقيد له فرس بسرج ذهب وكنبوش زركش، ورسم له بالسفر في يوم الجمعة إلى محل إقامته بحلب، فسافر هو يوم الخميس لكلام بلغه، وأشيع بالقاهرة أن المماليك الظاهرية خجداشيته يريدون الوثوب على السلطان، فسافر هوواستراح وأراح، ثم بعد خروج آقبردي - أيضاً - أشيع بالقاهرة بوقوع فتنة ، وشاع ذلك عند الناس حتى علم السلطان ، وتحدث به

(١) في «أ» : «صبي» .

مع الأمراء، وأوصاهم بأمور، ونقلت الأعيان أموالهم وأقمشتهم إلى الحواصل.

[٣٢٤] وفي يوم الثلاثاء // حادي عشره نودي بالقاهرة بأن لا يتكلم أحد فيما لا يعنيه ، ولا يحمل أحد سلاحاً بعد العشاء ويمشي به في الطرقات، وأشياء من هذا النمط .

وفي يوم الاثنين سابع عشره ورد إلى القاهرة قاصد السلطان إبراهيم بن قرمان وعلى يده كتاب مرسله يتضمن الشكوى من محمد بن مراد بك بن عثمان متملك الروم، فلم يلتفت السلطان إلى كلامه وأجابه بجواب هين.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشره نودي بالقاهرة بخروج المماليك البطالة من القاهرة، وهدد من تخلّف منهم بعد ثلاثة أيام، فلم يخرج منهم أحد.

وبعد نصف هذا الشهر تغيّر لون نيل مصر ، وغلبت عليه الحمرة حتى صار يُرَي ذلك من بعد ، وصار الشخص إذا أخذ منه في إناء ينظره كفضلات ماء المطر الماكثة في البرك من شدة تغيره ، واختلف في ذلك ، فقيل : إن هذا من سيل دفق فيه في أوائل مجراه ، فكيف يكون قدر هذا السيل الذي غيّر لون النيل[١] مع بعد المسافة ؟! واستمر على ذلك أياماً .

وفي يوم السبت ثاني عشرينه وصل الركب الأول من الحاج وأميره خيربك الدوادار الأشرفي أحد الخاصكية، ووصل من الغد أمير حاج المحمل بالمحمل بعدما قاسى الحج في هذه السنة شدائد من كثرة السيل، وموت الجمال، وقطع الطريق. وأخذ في هذه السنة من الحاج خلائق لا تحصى، حتى إنه أخذ ركب التكروري[٢] بكامله ، ولم يرجع من التكاررة ولا الرجل الواحد، وكانوا في كثرة إلى الغاية، وأما المغاربة فتقاتلوا مع العرب قتالاً عظيماً، وأخذوا من العرب وأخذت العرب منهم، بخلاف ركب التكروري، فإنه أخذ جميعه، فإنهم كانوا تفرقوا وأخذوا على حين غفلة، فأسر الجميع وقتل منهم من قتل، فلا قوة إلا بالله. وهذا شيء لم نسمع بمثله في هذه الأيام.

---

(١) في « أ » : « السيل » .

(٢) التكرور : قبيل من السودان يسكنون أقصى جنوب المغرب .
راجع : ياقوت . معجم البلدان ج ٢ ص ٣٨ .

وكل ذلك لعدم اكتراث السلطان بأمر الحاج، وأيضاً لضعف من يلي إمرة الحاج ، فإن أمير[الركب] الأول في هذه السنة خيربك المقدم ذكره ، وهو من جملة الأجناد ، وأمير الحاج كان جانبك الخازندار الأشرفي من جملة أمراء الطبلخانات ، غير أنه حدث السن ، وفيه طيش وخفة مع عدم معرفة بالحروب والأمور ، على تيه فيه وشمم .

وفي أواخر هذا الشهر مات جماعة من مماليك الأمير بردبك صهر السلطان، الدوادار الثاني بالطاعون، ولم نسمع بذلك إلاّ عنده فقط.

وفي هذه الأيام زاد سعر الذهب إلى أن بلغ الأشرفي في المعاملة // [٣٢٥] ثلاثمائة درهم وسبعون درهماً، وهو الأشرفي الذي زنته درهم وقيراطان.

صفر

أوله الاثنين .

ففي يوم الأحد رابع عشره ثارت المماليك الجلبان الذين بالأطباق من قلعة الجبل، وأرادوا النزول إلى الرميلة، فمنعهم نائب القلعة الأمير قاني باي الناصري الأعمش من النزول، ورد باب القلعة، فأوسعوه سباً، وقيل: بل ضربه بعضهم، وطلبوا من السلطان زيادة الجامكية، وقالوا: ما نأخذ إلاّ كل واحد سبعة أشرفية حساباً عن ألفي درهم بسعر ما كان الذهب أولاً بمائتين وثمانين درهماً الدينار، فأجابهم السلطان بأن السعر كان في تلك الأيام بشيء واليوم بخلافه، فلم يلتفتوا إلى كلامه، وأغلظوا في الجواب، وامتنعوا يوم الاثنين من أخذ الجامكية.

وترددت الرسل - أيضاً - بينهم وبين السلطان ، والسلطان لا يسمح بالزيادة ، وهم مصرّون على الزيادة .

وأرادوا الفتك بجماعة من مباشري الدولة، فامتنعوا من النزول، وأقاموا بالدهيشة بعد أن كانوا خرجوا إلى قرب الباب، فتقدم بعضهم إلى عظيم الدولة الجمالي ناظر الجيوش والخاص وضربه ورمى بعمامته عن رأسه، فعاد هو ومن رافقه من وقتهم وأقاموا بالدهيشة، ثم نزلوا على دفعات من باب الميدان وغيره، ونزل الجمالي ناظر الخاص إلى بيته بين الظهر والعصر، وانقطع في داره أياماً،

ولما نزل من القلعة نزل معه جماعة من الأمراء والخاصكية إلى أن أوصلوه إلى داره بسويقة الصاحب.

ومضى يوم الاثنين والحال على ما هو عليه، وماج الناس بسبب ذلك، وخشى الناس أن يكون وثوب الجلبان ووقوفهم في هذا الأمر باتفاق من المماليك الظاهرية.

قلت: ولا يبعد ذلك، فإن في النفس من ذلك شيء، وكثر الكلام في ذلك، هذا مع أن البلاد في غير طائل من الحكام، والسبل مخيفة، وقطع الطريق فاش بظواهر القاهرة، بل وفيها، والآراء مفلوكة.

ولما أصبح يوم الثلاثاء جلس السلطان بالحوش واجتمع عليه الأشرفية. وأظهروا له النصح، فقوّي قلبه بهم، فأرسل أغلظ في الجواب للمماليك الجلبان واستعز بمن حوله من الأمراء والخاصكية، فلما سمعوا كلامه تكلّم بعضهم مع بعض، ثم أذعنوا وقبضوا جوامكهم، ومشى // الحال. [٣٢٦]

وفي يوم الأربعاء رابع عشرينه وصل مملوك الأمير جانبك التاجي نائب غزة إلى القاهرة، وأخبر بموت الأمير جلبان ـ نائب الشام ـ قبل أن يصل سيف جلبان المذكور، ثم وصل بعد ذلك على يد يشبك المؤيدي الحاجب الثاني بدمشق.

وفي يوم الخميس خامس عشرينه رسم السلطان أن يكتب بانتقال الأمير قاني باي الحمزاوي نائب حلب إلى نيابة الشام، عوضاً عن الأمير جلبان بحكم وفاته، ورسم للأمير يونس العلائي الناصري المعزول عن نيابة الإسكندرية قبل تاريخه أن يحمل إليه التقليد والتشريف بنيابة الشام، ثم أخلع على الأمير جانم أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية، وقريب الملك الأشرف برسباي بنيابة حلب، عوضاً عن الأمير قاني باي الحمزاوي ـ المذكور ـ على كره منه وامتناع كثير، ثم لبس ونزل إلى داره وهو يكثر من الإقالة ويستعفي ويتعلل بالضعف والفقر، إلى أن أرسل إليه السلطان بألفي دينار تقوية، ووعده بكل جميل.

وفي يوم السبت سابع عشرينه أنعم السلطان على الأمير يونس العلائي

ـ المذكور ـ بتقدمة ألف ، عوضاً عن الأمير جانم المتولي نيابة حلب ، وأنعم بإقطاع يونس ، المذكور ـ على مملوكه وصهره الأمير بردبك الدوادار الثاني ، ورسم له بأن يتوجه مسفراً للأمير جانم ، وأن يضبط موجود الأمير جلبان نائب الشام ، وأنعم بإمرة بردبك ـ وهي إمرة عشرة ـ على السيفي تنبك الأشرفي وعلى السيفي أرغون شاه الأشرفي، نصفين بالسوية، وهما من مماليك الملك الأشرف برسباي .

وفي يوم الاثنين تاسع عشرينه استقر شمس الدين نصر الله الأسلمي القبطي ناظر الدولة ـ المعروف بابن النجار ـ وزيراً بالديار المصرية، عوضاً عن فرج بن النحال بحكم عجزه، فلم تر عيني فيها رأت من لبس خلعة الوزر أغلس ولا أقذر ولا أقل حرمة من فرج بن النحال المعزول.

وفيه أنعم السلطان على الأمير سودون الإينالي المؤيدي المعروف بقراقاش بإمرة طبلخاناه، وأخلع عليه باستقراره رأس نوبة ثانياً، وكلاهما عوضاً عن الأمير يشبك الناصري بحكم وفاته.

وأنعم بإمرة سودون المذكور ـ وهي إمرة عشرة ـ على الأمير مغلباي المؤيدي // المعروف بطاز . [٣٢٧]

وأنعم بإمرة مغلباي ـ المذكور ـ على السيفي طوخ النوروزي رأس نوبة الجمدارية ، وما انتقل عنها مغلباي ، والذي أخذه كلاهما إمرة عشرة ، لكن شيء أحسن من شيء .

وفيه ـ أيضاً ـ لبس الأمير يونس خلعة السفر لتقليد قاني باي الحمزاوي .

وفيه ـ أيضاً ـ لبس الأمير بردبك خلعة السفر للتوجه إلى الشام بسبب موجود جلبان .

وكان بلغنا أن شاد بك دوادار جلبان وابن جلبان الأكبر وصلا إلى قطيا قاصدين إلي الديار المصرية بسبب المصالحة عن موجود الأمير جلبان ، فرسم بعودهما فعادا .

وسبب ذلك أن السلطان بلغه أن جلبان ـ المذكور ـ لم يخلف موجوداً عيناً، بل اعترف أن عليه نحواً من ثلاثين ألف دينار ديناً، وثبتت الوصية على قاضي

قضاة الشام جمال الدين الباعوني، وهذا بخلاف ما في خواطر الناس، والقياس على موجود جلبان مئتين ألوف من الذهب، فلما بلغ السلطان هذا الخبر حنق على الباعوني وعزله بالقاضي سراج الدين عمر الحمصي الشافعي، وندب بردبك للتوجه إلى الشام والفحص عن أموال الأمير جلبان.

شهر ربيع الأول

أوله الثلاثاء.

فيه ظهر بعض طاعون بالقاهرة غير فاش.

وفي يوم الخميس ثالثه استقر الأمير بردبك البجمقدار الظاهري جقمق أحد أمراء الطبلخانات ورأس نوبة أمير حاج المحمل.

وفيه رسم لسيدي محمد بن الأمير جرباش المحمدي الأمير آخور الكبير بأن يكون أمير الركب الأول وسنه دون العشرين بكثير. وسبب ذلك أن والدته خوند شقراء بنت الملك الناصر فرج كانت عزمت في هذه السنة على الحج في ركب[1] هائل، ولا بد من سفر ابنها معها، فولاه السلطان إمرة الركب الأول بهذا المقتضي.

وفي يوم الجمعة رابعه سافر الأمير بردبك إلى الشام.

وفي يوم الاثنين سابعه سافر الأمير يونس إلى حلب بتقليد قاني باي الحمزاوي وتشريفه.

وفي هذه الأيام رسم السلطان بتوجه أبي الخير النحاس من دمشق إلى طرابلس على حاله بطالاً من غير إكرام ولا احترام، فوصل إلى طرابلس في أواخر الشهر المذكور.

وفي يوم الأربعاء تاسعه أحضر السلطان القضاة الأربعة[2] بالحوش السلطاني وتكلم معهم في سعر الذهب وزيادته، فقال القضاة: الأمر للسلطان. فأمر السلطان من وقته أن ينادى بالقاهرة وشوارعها بأن كل دينار بثلاثمائة، وهو

---

(١) في «أ»: «في برك هائل».

(٢) في «أ»: «الأربع»

الذي // وزنه درهم وقيراطان، وكان قد بلغ سعره إلى ثلاثمائة وسبعين درهماً [٣٢٨] الدينار، فشق ذلك على الناس، وهُدِّد من خالف المرسوم بأنواع العذاب، وكتب بذلك إلى الأقطار من البلاد الشامية وغيرها، وأضر ذلك بحال الناس كثيراً ، لا سيما الفقير الذي ما كان قد قبض في بعض مبايعاته الذهب بذلك السعر ، وأصبح اليوم بهذا السعر .

وفي يوم الأحد ثالث عشره عمل المولد السلطاني على العادة .

وفي يوم الثلاثاء خامس عشره قدمت إلى السلطان هدية الأمير ملك أصلان بن سليمان بن ناصر الدين بك بن دلغادر نائب أبلستين، وهي مائة إكديش وخمسون بغلاً وخمسون جملاً بختياً، وغير ذلك.

وفي يوم الأربعاء ، سادس عشره نودي - أيضاً - بالقاهرة على الذهب بالسعر المذكور ، وهدد من خالف ذلك .

وفيه كانت بالقاهرة وضواحيها زلزلة خفيفة، تحركت الأرض منها غير مرة، ثم بعد أيام عادت في الليل أخف من الأول.

وفي يوم السبت سادس عشرينه أحضر السلطان الوزير شمس الدين نصر الله[1] ووبخه وأغلط عليه في الخطاب، وأخشن عليه في اللفظ؛ لكونه لم يقم باللحم الراتب للمماليك السلطانية مدة ثلاثة أيام، وكان قد تخلف عن الطلوع إلى القلعة في هذه المدة، وقال له السلطان ما معناه: وكم باشرت حتى عجزت، ثم هدده بالضرب بالمقارع، فقال ابن النجار: أنا يا مولانا السلطان أعجز عن مباشرة أصاغر الأمراء، فكيف الوزر؟! وأشياء من هذه المقولة، فلم يلتفت السلطان ورسم عليه، فاستمر ابن النجار في الترسيم إلى يوم الاثنين ثامن عشرينه ، لبس خلعة الاستمرار على كره منه لمعرفته من نفسه بعدم الأهلية لذلك ، وقد صرّح هو بهذا اللفظ غير مرة .

وفي عشر هذه الأيام استقر أبو الفضل ابن كاتب السعدي في نظر الدولة ، وسعد الدين محمد بن عبد القادر بن أبي بكر البليبيسي[2] الحنبلي

---

(١) في «أ»: «الوزير شمس الدين نصر الله الوزير».
(٢) في هامش «أ»: «حاشية: تصغير بلبيس».

كـاتب العليق في كتابـة المماليـك السلطانية مضـافا لكتـابة العليق ، عـوضاً عن عبد الرحمن ابن عم فـرج المعزول عن الـوزر ، وسعد الـدين هذا لا بـأس به ، فإنه من أولاد الفقهاء المسلمين .

شهر ربيع الآخر

أوله الخميس .

فيه وقع حادثة طريفة، وهو أن السلطان كان في ليلة الخميس المـذكورة بلغه - أيضاً - عجز ابن النجار عن القيام بالكلف السلطانية، فأمر بـإحضار ابن النجـار - المذكور - من الغد، وبإحضار الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم، وبإحضار فرج بن // النحال ليستقر من يختاره منهم في الوزر، فأصبح من الغد في يوم [٣٢٩] الخميس المذكور طلب شمس الدين ابن النجار، فقيـل له: هـرب، فطلب ابن الهيصم، فقيل له: مات في هذه الليلة، فطلب فرج بن النحال، فحضر، وهو الذي فضل من الثلاثة على قاعدة المثل السائر، فكلمه في استقـراره في الوزر، فامتنع واعتذر بقلة محصول الدولة، وأن بلاد الوزر غالبها خرب، وأن راتب اللحم خاصة للمماليك السلطانية وغيرهم في كل يوم ثمانية عشر ألف رطل، خلا تفرقة الصرر وما يلحق الدولة من الكلف، وكان هذا الكلام من فرج المذكور لبعض أعيان الدولة في مجلس السلطان ليكلموا السلطان في ذلك، فسمع السلطان بعض الكلام من فرج، فلم يستتم كلامـه حتى أمر بـه السلطان وأنـزل إلى الأرض وتناولتـه رءوس النوب، فضـرب نحو ثـلاثمائـة عصـاة حتى أشرف على الهلاك، ثم أقيم ورسم عليه عند فيروز النوروزي الزمام الخازندار إلى أن عملت مصلحته وأعيد إلى الوزر على ما سيأتي ذكره إن شاء الله .

وفي يوم الخميس ثامنه برز الأمير جانم الأشرفي نائب حلب من القاهرة إلى ظاهرها قاصداً محل ولايته.

وفي ليلة السبت عاشره نزلت زوجة السلطان الملك الأشرف خوند زينب بنت علاء الدين علي بن خصبك من قلعة الجبل في محفة إلى البيت المعروف بابن قطينة بساحل بولاق - وهو ملك لهم - لمرض تمادى بها .

وفي يوم السبت صبيحته سافر الأمير جانم نحو حلب من الريدانية.

وفيه أعيد الوزير فرج بن النحال إلى الوزر وخلع عليه، ونزل إلى داره، وكان بالقلعة من يوم ضرب إلى يوم تاريخه، على أن السلطان يساعده في كل شهر بأربعة آلاف دينار وستمائة رأس من الغنم الضأن ؛ لعجز بلاد الدولة ومتحصلها عن القيام بالكلف .

وفيه ـ أيضاً ـ استقر شرف الدين حمزة بن البشيري ناظر الدولة، وعزل أبو الفضل.

وفي يوم الثلاثاء العشرين منه ورد الخبر على السلطان بدخول الأمير قاني باي الحمزاوي إلى دمشق على نيابتها، وكان قد كثر الكلام في شأنه من مدة سنين، من أيام الدولة الظاهرية جقمق، ولهج الناس بعصيانه وأنه لا يدخل دمشق ولا يفارق حلب، فوقع بخلاف ما خطر ببال الناس.

[٣٣٠] قلت: // والأقوى عندي أنه لا يظاهر بعصيان ولا يدوس بساط السلطان ، وهو في الطاعة ما لم يطلب إلى القاهرة ، وهذا على ما أظن ، والله أعلم .

وفي يوم الأربعاء حادي عشرينه قبض السلطان على علاء الدين علي بن الأهناسي المعزول عن الأستادارية قديماً، ورسم عليه عند فيروز الخازندار، لكونه سعى في الأستادارية والوزر معاً على ماقيل، وكان لما ولي الأستادارية حصل منه تَشَكٍّ[1] ، ثم أصلح أمره على أنه يقوم للخزانة الشريفة بثلاثة آلاف دينار ، وأطلق إلى حال سبيله .

وفي العشر الأخير من هذا الشهر عوفيت خوند زينب زوجة السلطان، ودخلت الحمام ـ حمام دارها ـ ببولاق، وتردد إليها أعيان الدولة من الأمراء والقضاة والأكابر في هذه الأيام، وأما ولدها المقام الشهابي أحمد وأخواته، زوجة الأمير يونس الدوادار الكبير، وزوجة الأمير بردبك الدوادار الثاني فإنهم عندها من يوم نزلت من القلعة، وبقي المقام الشهابي يتوجه يحضر الخدمة السلطانية

(١) في الأصل : « تشكي » .

بقلعة الجبل ثم يعود إلى عندها، ولما صح مزاجها وردت عليها التهاني من الدبيول والزمور وغير ذلك، وعظم سرور حواشيها بعافيتها، وازداد ترداد الناس إلى بابها، لا سيما لما عمل لها مرامي النفط من المزهرات والصوارخ وغير ذلك في ليلة الأربعاء ثامن عشرينه، وتسامع الناس بذلك وقصدوا التفرج على النفط المذكور من الأماكن البعيدة، واندفعوا إلى ساحل بولاق من كل فج، حتى ضاقت عليهم شوارع بولاق وسواحلها مع سعتها، وازدحم الناس في الطرقات، وصار كأيام دوران المحمل أو بعض ليالي وفاء النيل، بل أعظم، حتى جاءته جماعة من أعيان الأمراء وأرباب الدولة، وأما النسوة فكن كأضعاف الرجال، ودام ذلك من أول النهار إلى بعد عشاء الآخرة، ووقع في تلك الليلة من القبائح والمفاسد والأمور الشنعة ما لا مزيد عليه، وأعيب عليهم ذلك فلم يلتفت أحد إلى ما قيل، وأنشد لسان الحال:

من راقب الناس مات غماً — وفاز باللذة الجسور

[مخلع البسيط]

ولم يكن النفط المذكور بذاك، وندم غالب الناس على مجيئه إليه.

[٣٣١] وفي يوم // الخميس تاسع عشرينه أنعم السلطان على الأمير قانم من صفر خجا المؤيدي المعروف بالتاجر بإمرة مائة وتقدمة ألف، بعد موت الأمير خيربك المؤيدي الأجرود، وأنعم بإقطاع قانم ـ المذكور ـ على الدولة مساعدة لما عليها من الكلف.

وفيه ـ أيضاً ـ استقر الأمير تمرباي الحسني الناصري أحد أمراء العشرات معلم تجار المماليك وغيرها عوضاً عن قانم المذكور.

وفيه ـ أيضاً ـ استقر آقباي السيفي جار قطلو نائب سيس وخشكلدي الزيني عبد الرحمن بن الكويز دوادار (أ) للسلطان بدمشق، كلاهما على مال بذلاه.

وفرغ هذا الشهر والطاعون موجود بالقاهرة، غير أنه قليل جداً، على حالة ابتدائه من غير تزايد، ومن يموت به الصغار والرقيق.

جمادى الأولى

أوله السبت.

في ليلة الأحد ثانيه بين المغرب والعشاء طلعت خوند زينب بنت علاء الدين علي بن خصبك زوجة السلطان الملك الأشرف إينال من دارها بساحل بولاق إلى القلعة بعد أن نصلت من مرضها، وسار ولدها المقام الشهابي أحمد، وزوج بنتها الأمير يونس الدوادار الكبير، والزمام الخازندار فيروز النوروزي أمام محفتها بحواشيهم، وجماعة أخر من الطواشية والخدم والمماليك، وبين يدي المحفة المشاعل والشموع والفوانيس، وخلف المحفة من الحريم عدد كثير من الخوندات ونساء الأمراء، وسارت في أبهة عظيمة إلى أن شقت صليبة ابن طولون وطلعت إلى قلعة الجبل بعد عشاء الآخرة، فكان لطلوعها وقت مشهود، ولعل الذي وقع لها لم يقع لغيرها من نساء الملوك من نفوذ الكلمة ووفور الحرمة في الدولة، وعدم مخالفة السلطان لها فيما تأمره به، وكونه - أيضاً - منذ تزوج بها من حدود سنة خمس وعشرين إلى يومنا هذا لم يتزوج بغيرها، حتى ولا تسرى أبداً أميراً ولا سلطاناً، وهذا شيء لم نعهد مثله في سالف الأعصار، فإن عادة الملوك الزواج بأربع نسوة، وأما الحظيات فكثير، فمنهم من وصل إلى أربعمائةوأكثر وأقل، وقد حكى عن المعتصم ابن الرشيد هارون أنه اقتنى ثمانية آلاف جارية موطوءة وغير موطوءة - انتهى.

وفي يوم الثلاثاء رابعه سافر الأمير جانبك الظاهري إلى الحجاز لشد // بندر [٣٣٢] جدة على عادته في كل سنة، ورفيقه في النظر بالبندر القاضي تقي الدين عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن نصر الله.

وفي أوائل هذا الشهر شكا بعض المماليك السلطانية إلى السلطان من غلو سعر البعلبكي والزموط[1]، فكلم السلطان الشيخ علي العجمي المحتسب في ذلك وأغلط عليه، فنزل الشيخ علي - المذكور - وأباد التجار، وكلمهم في بيع أثواب البعلبكي بالرطل، وهذا - أيضاً - شيء لم نسمع بمثله. ففقلت التجار

---

(١) الزموط: جمع «الزمط»، وهو قلنسوة حمراء.
راجع: ماير. الملابس المملوكية ص ٥٨ - ٦٠.

حوانيتهم أياماً، ثم استقر الحال على أن المحتسب كتب على التجار قسائم أنهم لا يشترون البعلبكي من تجار الشام بالجريدة - يعني لأجل - فأضرّ ذلك بحال التجار قاطبة.

وفي يوم الجمعة سابعه - الموافق لآخر برمودة آخر شهور القبط - لبس السلطان القماش الأبيض الصيفي على العادة في كل سنة.

وفي يوم الخميس العشرين منه وصل الأمير يونس العلائي الناصري أحد مقدمي الألوف إلى الديار المصرية من دمشق المحروسة بعد أن قلّد نائبها الأمير قاني باي الحمزاوي، وعاد يونس - المذكور - وهو راض عن قاني باي - المذكور - فإنه أعطاه اثني عشر ألف دينار غير القماش والخيل والجمال على ما قيل.

وفي يوم الاثنين رابع عشرينه خلع السلطان علي الشيخ شرف الدين يحيى المناوي باستقراره في تدريس المدرسة الصلاحية[1] المجاورة لقبه الإمام الشافعي - رضي الله عنه - عوضاً عن السراج الحمصي بحكم توجهه إلى قضاء دمشق قبل تاريخه.

وفي هذا الشهر خف الطاعون من القاهرة، وكان قليلاً جداً، بحيث أني لم أر أحداً ممن طعن، غير أني سمعت أنه مات به جماعة من الخدم.

وفي هذا الشهر - أيضاً - انحطت الأسعار بعد أن سعر السلطان والمحتسب غالب المأكولات، ما عدا الشعير فإنه غلى وعز وجوده، وسببه قلة حاصل الشعير في شونة السلطان، وأخذ زين الدين قاسم أستادار السلطان في شراء الشعير من الأعيان وغيرهم، إلى أن اشترى من مباشري الأمير بردبك صهر السلطان والدوادار الثاني ألف وخمسمائة أردب شعيراً، وأقبض ثمنها، وأراد أخذها

---

(١) المدرسة الصلاحية : وتعرف بالناصرية - كذلك - أنشأها الناصر صلاح الدين الأيوبي بجوار قبة الإمام الشافعي ، ورتب فيها عدة معيدين وطلبة ومدرساً لتدريس الفقه الشافعي ، وأوقف عليها أوقافاً مغلة، وأشار السيوطي إلى أنه « ينبغي أن يقال لها تاج المدارس، وهي أعظم مدارس الدنيا على الإطلاق لشرفها بجوار الإمام الشافعي ، ولأن بانيها أعظم الملوك » .
راجع المقريزي. الخطط ج ٢ ص ٤٠٠، السيوطي . حسن المحاضرة ج ٢ ص ٢٥٧ .

في الليل من حاصل بردبك المذكور حتى يصبح // يفرقها في يوم السبت ثاني [٣٣٣] عشرينه على المماليك السلطانية، فتسامعت المماليك الجلبان بذلك، فتزل منهم جماعة كبيرة ليلاً، ونهبوا شونة بردبك المذكور وهو مسافر في الشام، وعادوا من الغد بعد أن لم يدعوا فيها شيئاً من الشعير وغيره على ما قيل، ولم تنتطح في ذلك عنزان، فعز وجود الشعير حتى أبيع بمائة وأربعين درهماً الإردب بعد أن كان بما بين الستين إلى الثمانين لا غير، ثم نادى قاسم الأستادار بأن لا يشتري الشعير أحد من العلافين ، وهدد من اشتراه ، فعدم بالكلية .

وأما الأمراء فإنهم لما سمعوا بما وقع في شونة بردبك من النهب فتحوا شونهم وفرّق كل واحد على مماليكه عليق عدة شهور احتياطاً من أن يطرقهم ما طرق بردبك من النهب .

وفي يوم الأحد سلخه نزل من القلعة جماعة من المماليك الجلبان من الأطباق وساقوا بشوارع القاهرة، وحصل منهم غاية التشويش في حق الناس من أخذ العمائم والقماش، وفعلوا ذلك مع جماعة من أعيان الناس وأنزلوهم عن خيولهم، وأخذوا منهم حتى لجم خيولهم، وفعلوا ذلك بأزقة القاهرة وبولاق، وكان ذلك في ضحى النهار، فتأثر الناس لذلك غاية التأثير، وتهيأ بعض العامة للإيقاع بهم، وبلغ السلطان ذلك، فأصبح من الغد كلم الأمير مرجان العادلي المحمودي مقدم المماليك السلطانية في أمرهم، وأمر المنادي أن ينادي فيهم: من عاد إلى مثل ذلك كان جزاؤه العقوبة. ثم شرع السلطان في تهديدهم مع لين جانب وميل ظاهر إليهم.

جمادى الآخرة

أوله الأحد.

ففي يوم الخميس تاسع عشره خلع السلطان على الزيني قاسم كاملية بمقلب سمور، خلعة استمراره على وظيفة الأستادارية، وأنعم عليه بعشرة آلاف إردب شعير ، وكان الناس قد تحدثوا بعزله لعجزه عن القيام بالكلف السلطانية ، إلى أن عمل السلطان مصلحته في مبلغ يساعده به .

وفي يوم الاثنين خامس عشره[1] استقر عبد العزيز بن محمد الصغير نقيب الجيوش المنصورة في حسبة القاهرة بعد عزل يار علي الخراساني ، مضافاً إلى نقابة الجيش ، وذلك على مال بذله في ذلك .

[٣٣٤] وفي يوم السبت ثامن عشرينه // ضرب السلطان الملك الأشرف فخر الدين المعروف بابن السكر والليمون ناظر ديوان المفرد علقة كبيرة بسبب تعويق بعض جامكية المماليك السلطانية .

وفي يوم الاثنين سلخه كانت الوقعة بين السلطان الملك الأشرف إينال وبين مماليكه الجلبان ومن انضاف إليهم من المماليك الظاهرية، ولذلك أسباب منها:

أن السلطان كان قبل تاريخه عين تجريدة إلى البحيرة نحو خمسمائة مملوك وعليهم الأمير خشقدم المؤيدي أمير سلاح، والأمير قرقماس الأشرفي رأس نوبة النوب، وعدة من أمراء الطبلخانات والعشرات، ورسم لهم السلطان بالسفر في يوم الاثنين هذا، ولم يفرّق على المماليك السلطانية المعينين للسفر جمالا على العادة، فعظم ذلك على المماليك، وامتنعوا من السفر إلاّ أن يأخذوا الجمال، فسافر الأمير خشقدم في فجر يوم الاثنين المذكور، وتبعه الأمير قرقماس في عصر يومه إلى مخيمه ببر منبابة، ولم يتبعهما أحد من المماليك السلطانية، بل وقف غالبهم بسوق الخيل بالرميلة ينتظر تفرقة الجمال، وجلس السلطان باكر يوم الاثنين المذكور بالقصر على العادة للخدمة إلى أن انفض الموكب ونزل الأمراء إلى دورهم، فلما صار الأمير يونس الأقبائي الدوادار تجاه باب السلسلة أحاطت به المماليك السلطانية وهو بقماش الموكب، وكذلك مماليكه، وداروا حوله حلقة كبيرة، وهم في كثرة إلى الغاية تزيد عدتهم عن خمسمائة نفر أو أكثر، وأرادوا الكلام معه بسبب جوامكهم، وأنه يكلم السلطان في أمرهم، فتبين لمماليكه الغدر منهم له، فتحلّقوا عليه ومنعوهم من الوصول إليه، فصار يونس في حلقة من مماليكه ومماليكه في حلقة من المماليك السلطانية الجلبان لا غير، وطال الأمر بينهم

---

(١) في هامش «أ»: «صوابه: سادس عشره».

ويونس لا يطيق الخروج، فلما تحقق يونس أنهم يريدون الفتك به أمر مماليكه بإشهار السيوف والرد عنه، فشهرت مماليكه سيوفهم ودافعوا عنه أشد مدافعة، فتكاثرت المماليك السلطانية // فوضعوا فيهم السيف، فجرح من المماليك [٣٣٥] السلطانية جماعة، وقطعت أصابع واحد، وشق بطن واحد فمات - على ما قيل - وانفرج ليونس فرجة خرج منها غارة في مماليكه إلى داره، وقلع ما عليه من الكلفتاة والقماش ولبس تخفيفته، وطلع من على الكبش إلى السلطان وأعلمه الخبر، وقامت قيامة المماليك السلطانية عند إشهار السيوف، وقالوا: نحن ضربناهم بالدبابيس فيضربونا هم بالسيوف ؟! وعظم عليهم الأمر جماعة من المماليك القرانيص، لما في نفوسهم أموراً، أحدها عدم تفرقة الجمال.

ولما أن فات المماليك يونس الدوادار، وبلغهم طلوعه إلى القلعة عظم عليهم ذلك، واجتمعوا ووقفوا تحت القلعة وأفحشوا في حق السلطان وهددوه إن لم يسلم إليهم يونس الدوادار، فأرسل إليهم السلطان الأمير جانبك الناصري المعروف بالمرتد، أحد أمراء الطبلخانات ورأس نوبة، والأمير مرجان مقدم المماليك السلطانية، فسألاهم عن وقوفهم وما رضاهم؛ فقالوا كلهم على لسان واحد: نريد غريمنا الأمير يونس الدوادار، بعد أن خشنوا على جانبك المذكور في القول. فعاد جانبك والمقدم إلى السلطان بالجواب، فبعث إليهم الأمير نوكار الزردكاش، فأعادوا عليه القول من طلب يونس الدوادار، وأغلظوا عليه في الكلام، ثم ساقوا غارة إلى بيت الأمير يونس المذكور - تجاه الكبش على بركة الفيل - وأرادوا نهبه، فحماه مماليك يونس المذكور ومنعوهم من الدخول، فتوجه أحدهم وأتى بنار ليحرق الباب، فلم يصل إلى ذلك، وعادوا إلى سوق الخيل، فوافوا المنادي من قبل السلطان ينادي بالأمان للمماليك السلطانية، فمالوا على المنادي بالدبابيس، فسكت لوقته، وطلعت أمراء الألوف من كل ناحية إلى القلعة عند السلطان من ضحوة النهار، وتكلّم السلطان مع بعض المماليك بأنه يعطي لكل واحد ممن جرح مائة دينار، ويعطي للذي قطعت أصابعه إقطاع حلقة ومائة دينار أخرى، فرضوا المجروحين، فنهاهم خشداشيتهم عن الصلح، فلم يقع الصلح، وانفض الأمر على غير طائل، وحمى الحر لأن الوقت كان في حادي عشرين بئونة أحد شهور القبط، وتوجه كل واحد إلى إصطبله، ونزلت

الأمراء من القلعة إلى دورهم بين الظهر والعصر ما خلا الأمير يونس الدوادار.

[٣٣٦] // فلما كان من الغد، وهو يوم الثلاثاء أول شهر رجب ضرب السلطان الكرة بالحوش مع الأمراء إلى أن انتهى اللعب وانفض الموكب، وأراد الأمراء النزول إلى دورهم بلغهم أن المماليك وقوف في انتظارهم بسوق الخيل من كل جهة، فانثنى عزمهم عن النزول وعادوا إلى القلعة.

وكانت المماليك لما أصبحوا في يوم الثلاثاء ركبوا بغير سلاح كما كانوا بالأمس، على أن في أمسه لبس بعضهم السلاح ثم قلعه بسرعة، ووقفوا على خيولهم من غير سلاح ولا سيوف في انتظار الأمراء، وكنت أنا حاضراً فلم يتكلم أحد منهم كلمة في حق السلطان ولا غيره، غير أنهم في أمر مهم في الباطن، واستمروا على ذلك إلى أن تضحى النهار، أرسل إليهم السلطان أربعة من الأمراء، وهم: الأمير يونس العلائي الناصري أحد مقدمي الألوف، والأمير سودون الإينالي المؤيدي المعروف بقراقاش الرأس نوبة الثاني وأحد أمراء الطبلخانات، والأمير يلباي الإينالي المؤيدي أحد أمراء الطبلخانات - أيضاً - ورأس نوبة، والأمير بردبك البجمقدار الظاهري جقمق أحد أمراء الطبلخانات - أيضاً - ورأس نوبة، وأمرهم بالكلام مع المماليك الجلبان على قدر خاطر السلطان.

فلما رأى المماليك - الأمراء المذكورين توجهوا نحوهم وداروا عليهم حلقة، ووقفوا تجاه باب السلسلة، وطال الكلام بينهم وكثر الغوغاء، ثم بعد ساعة هجموا على الأمراء المذكورين وأخذوهم وتوجهوا بهم إلى حيث قصدهم، فتمنع منهم الأمير يونس وسار وهم حوله، وهم يريدون ضربه إن لم يرجع معهم إلى قرب صليبة ابن طولون، (و) عادوا به غصباً، وأوقفوا الأمراء الأربعة معهم في الترسيم حتى فتحوا بيت الأمير خشقدم أمير سلاح، الذي هو بيت قوصون تجاه قلعة الجبل بجوار مدرسة السلطان حسن، وأدخلوهم إلى البيت المذكور ورسموا عليهم جماعة، كل ذلك والمماليك الظاهرية وغيرهم وقوف على بعد. فلما رأوا ذلك تحققوا مخالفتهم على السلطان، فانتهزوا الفرصة لكمين كان في قلوبهم وانضافوا إلى المماليك الجلبان، وعرفوهم بأن الأمر لا يتم إلاّ بحضور

الخليفة ويلبس السلاح، فساق جماعة منهم إلى الخليفة القائم بأمر الله حمزة وأحضروه في الوقت حتى كأنه كان // في انتظارهم، ولم يتمنع عن الحضور، [٣٣٧] بل حضر سرعة، وحرض على القتال - على ما قيل - وتوجه في الحال كل واحد منهم ولبس سلاحه في أسرع ما يكون، وحضروا بالسلاح وقد صاروا جمعاً عظيماً إلى الغاية والجميع بالسلاح، وخرجوا من القول إلى الفعل، فلم يشك كل أحد في زوال ملك السلطان من كثرة ما انضاف إلى هؤلاء المماليك من الناس ممن يريد شن الغارات.

وبلغ السلطان ذلك، فركب من وقته في أمرائه من المماليك الأشرفية وغيرهم وخاصكيته حتى نزل إلى الإسطبل السلطاني، وتناوش القوم بالنشاب، وعندما أرادوا المصادمة تشتتوا، وطلع إلى السلطان جماعة كبيرة[١] ممن كان أسفل، فوقع عليهم من الله الخذلان وانكسروا من غير قتال في أسرع وقت. فلما رأى جمع السلطان آراءهم المفلولة حطموا عليهم، ودخلوا بيت الأمير خشقدم وأخذوا الأمراء والخليفة، وطلعوا بهم إلى السلطان بعد أن جرح جماعة بالنشاب، ولم يمت أحد فيما نعلم، وانفض جمعهم، وساق كل واحد إلى إسطبله متنكراً بعد ما كاد أمرهم أن يتم.

وكل ما وقع لهؤلاء المماليك من عدم رئيس يدبر أمرهم من الأمراء، ولو كان كذلك لكان لهم شأن، فإن عسكر السلطان صار خلفهم مثل السلطان والطلبخانات[٢] تضرب، وهؤلاء أقوام مجمعة بغير رأس ولا طلبخانات[٣] ولا صنجق، غير أن جمعهم كان جمعاً هائلاً إلى الغاية.

وذلك وقوفهم ولبسهم السلاح ومسكهم الأمراء وقتالهم، كل ذلك من باكر النهار إلى قبل الظهر من يوم الثلاثاء المذكور.

ولما تبدد جمعهم ركب السلطان وطلع إلى الدهيشة، وأمر بالخليفة فحبس بقاعة البحرة من الحوش السلطاني، ورسم عليه، ونودي في القاهرة بالأمان

---

(١) في «أ»: «كثيراً».
(٢) في «أ»: «الطبلخاناه».
(٣) نفسه.

والإطمئنان (1) بالبيع والشراء، ودقت البشائر بطبلخانات السلطان ، وبأبواب الأمراء ثلاثة أيام .

وأصبح السلطان من الغد في يوم الأربعاء، وهو ثاني الشهر المذكور، جلس على الدكة بالحوش من القلعة، وطلع إليه الأمير خشقدم أمير سلاح بعدما عدى النيل من مخيمه ببر منبابة ومعه الأمير قرقماس رأس نوبة النوب، وهنأ كل منهما [٣٣٨] السلطان بالنصر، وافتتح السلطان الكلام مع // الأمراء في حق الخليفة، ولهج بخلعه من الخلافة، واستشار الجمالي ناظر الجيش والخاص فيمن يجعله خليفة، ومن هو من إخوته أهل للخلافة؟ فلم يتكلم الجمالي بشيء، ثم كلم السلطان الأمير خشقدم في ذلك، فأعاد عليه خشقدم الجواب بأن الخاطر خاطر مولانا السلطان، فقال الأمير يونس الدوادار: يا مولانا السلطان أخو الخليفة سيدي يوسف هو فيه أهلية كذلك، ثم انطلقت ألسنة الأشرفية في الوقيعة في المماليك الظاهرية وحرّضوا السلطان عليهم بكل أمر، وعرفوه عاقبة العفو عنهم، وحذّروه من ذلك، فمن جملة ما قال له بعضهم: يا مولانا السلطان، إن كانت روح السلطان عنده هينة فنحن أرواحنا ليست علينا هينة، ومتى ظفروا بنا هؤلاء الظاهرية وضعوا فينا السيف وأمعنوا في ذلك إلى أن انحرف السلطان على الظاهرية ومال إلى كلامهم، ثم تكلّم مع الأمير يونس الدوادار وناظر الخاص وكاتب السر كلاماً طويلاً بسبب الظاهرية سراً ، فعلم كل أحد بميل السلطان إلى الأشرفية وانحرافه على الظاهرية، ونزل الأمير خشقدم وقرقماس كل منهما إلى داره ومخيمه مضروب ببر منبابة، وقد رسم السلطان بتفرقة الجمال على المماليك السلطانية المعينين إلى تجريدة البحيرة صحبة الأمير خشقدم، ففرقت. ثم نزل الأمير يونس الدوادار إلى بيته وبين يديه وجوه الأمراء والخاصكية.

وأما ما كان من أمر المماليك الجلبان، فإنهم صاروا فرقتين، فرقة تقاتل أخرى وتمنعهم من الطلوع إلى الأطباق، والتي تقاتل هم مشتراوات السلطان في أيام سلطنته، والذين يقاتلونهم هم الذين اشتراهم من كتابية الملك الظاهر جقمق والملك المنصور عثمان ، ولا زالوا بهم حتى منعوهم من الطلوع إلى

(١) في « أ » : « والأطمان » .

الأطباق ، وقالـوا لهم : سودتم وجـوهنا عنـد أستاذنـا بقبح فعـالكم . وأعجب السلطان ذلك لما بلغه .

ثم سأل الأمراء الأشرفية السلطان في إطلاق الأمير تمراز الدوادار الثاني الأشرفي من سجن المرقب، فأجابهم إلى ذلك بشرط // أن يتوجه إلى غزة [٣٣٩] يعمل ما يحتاجه ويسافر إلى الحجاز.

ثم سألوا السلطان ثانياً في الطواشي لؤلؤ الأشرفي المعزول عن تقدمه المماليك قبل تاريخه في الـرضـاعنه، وأنه يطلع إلى الخدمة، فأجابهم بأن يركب وينزل حيث شاء ولا يطلع إلي الخدمة .

وفي يوم الخميس ثالثه ، فيه كان عزل الخليفة القائم بأمر الله حمـزة بسبب مجيئه مع المماليك السلطانية إلى بيت قوصون تجاه القلعة ، ومطاوعته لهم حسب ما تقدم ذكره .

فلما كان يوم الخميس جمع السلطان القضاة الأربعـة[١] بالقصر السلطاني من قلعة الجبل، وأحضر الجمالي يوسف ابن المتوكل على الله محمد أخو الخليفة القائم بأمر الله حمزة المذكور، وجلس الجمالي يوسف المذكور عن يسار السلطان الملك الأشرف (إينال)، فوق قاضي القضاة الحنفي، وحضر جميع أعيان الأمراء ومباشري الدولة، ولم يحضر المجلس أحد من الفقهاء غير القضاة الأربعة[٢] وجماعة من موقعي الحكم ليشهدوا على السلطان بما يفعله من خلع الخليفـة حمزة وولايـة أخيه يوسف، فلما تم المجلس وقف القاضي محب الدين ابن الأشقـر كاتب السر بين يدي السلطان وقال: نشهد عليك يا مولانا السلطان أنك خلعت أمير المؤمنين القائم بأمر الله حمزة ووليت أخاه المتوكل على الله يوسف. فقـال السلطان: نعم. فشهد عليه الموقعون بذلك، وقام الجمالي يوسف من وقته ولبس خلعة الخلافة على العادة، وعاد إلى السلطان وسلّم عليه، وانفض المجلس، ولم يتكلم القضـاة في شيء من ولايتـه ولا خلع أخيـه، بـل قيـل: إن

---

(١) في « ا » : الأربع

(٢) نفسه .

القاضي الشافعي علم الدين صالح البلقيني ذكر عن علماء مذهبه أن للسلطان أن يعزل الخليفة ويولي غيره، وما أدري ما حجة من قال هذا القول مع ما ورد أن النبي ﷺ قال: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»، أخرجه مسلم في صحيحه.

ولقب (الجمالي يوسف) بالمتوكل على الله على لقب أبيه، ثم غير بعد أيام بالمستنجد، ونزل إلى داره وبين يديه القضاة وجماعة من أعيان الفقهاء، ولم ينزل أحد من الأمراء حتى ولا مباشري الدولة لشغلهم مع السلطان في أمر المماليك الظاهرية وغيرهم.

ولم يقع في عزل القائم شيء غير ما ذكرناه، لأنه لما أخذ من بيت قوصون وطلع به // إلى القلعة وافاه السلطان عند الرديني وقال له: أف عليك، وكررها [٣٤٠] ثلاث مرار، ولم يتكلم الخليفة القائم بأمر الله لمسكة في لسانه تمنعه من سرعة الجواب إلّا بعد ساعة، حتى قال: قالوا لي كلم السلطان، فظننت ذلك عن حقيقة، وقمت معهم. فقال له السلطان: هل جاءك أحد من حجاب السلطان أو من أمراء السلطان، تسمع كلام الصغار؟ ثم افترقا.

واستمر القائم بالبحرة من الحوش السلطاني محتفظاً به إلى ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

قلت: وفي خلع القائم هذا على هذه الصورة من الملك الأشرف عبرة لمن اعتبر، فإنه كان لما وثب الملك الأشرف إينال على الملك المنصور عثمان وافقه القائم المذكور على ذلك، وصار هو المتكلم في خلع الملك المنصور من الملك والمحرض على قتاله، وبه قويت شوكة الملك الأشرف إينال، فأخلع على القائم وأنعم عليه بزيادات على إقطاعه، وعظم أمره حتى تجاوز الحد، ونال من الحرمة ما لم ينله أحد من إخوته ولا أجداده من خلفاء مصر فيما فعله، حتى كان من أمره ما كان، فعومل من جنس فعله مع المنصور عثمان، والجزاء من جنس العمل.

ولا نعلم خليفة اسمه حمزة غير القائم هذا، ولا نعلم خامس أخ ولي الخلافة بعد إخوته غير يوسف المستنجد هذا المتولي، فإن أول من ولي من إخوته المستعين بالله العباسي الذي تسلطن بعد قتل الملك الناصر فرج، ثم خلع في

سنة خمس عشرة وثمانمائة من السلطنة، ودام في الخلافة محتفظاً به بقلعة الجبل إلى أن خلع منها في سنة ست[1] عشرة وثمانمائة بأخيه المعتضد داود، وكان خلع المستعين - أيضا - بصورة ملفقة وحيلة، فكان المستعين يزعم أنه باقٍ على خلافته إلى أن مات بسجن الإسكندرية في سنة ثلاث وثلاثين، وعهد لابنه يحيى بالخلافة فلم يلتفت إلى ذلك، ولما مات المعتضد بالله داود عهد إلى أخيه شقيقه المستكفي بالله سليمان، وولي الخلافة بعد المعتضد في شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين بعد أن نازعه ابن أخيه يحيى بعهد أبيه // المستعين بالله إليه [٣٤١] وبالمال، فلم يلتفت إليه الملك الظاهر جقمق، ولم ينتج أمره، فكان المستكفي هو الثالث، ودام في الخلافة إلى أن مات في يوم الجمعة ثاني المحرم سنة خمس وخمسين، ولم يعهد لأحد من إخوته ، فوقع اختيار الملك الظاهر جقمق[2] على تولية القائم بأمر الله حمزة، فولي الخلافة، فكان هو الرابع من أولاد المتوكل، ودام في الخلافة حتى خلع بأخيه يوسف هذا، فكان يوسف الخامس من أولاد المتوكل.

ولم يقع ذلك لأحد من الخلفاء، فهو من النوادر، ولا وقع لأحد من خلفاء بنى العباس أن أربعة إخوة ولوا الخلافة، وإنما وقع ذلك لبني أمية، فإن عبد الملك بن مروان رأى في نومه أنه بال في محراب النبي ﷺ أربع بولات، فأولوه له المعبرون بأنه يلي الخلافة من ولده لصلبه أربعة، فكان كذلك، وهم : الوليد وسليمان ويزيد وهشام بنو عبد الملك المذكور، ولم يعرف أن أربعة إخوة ولوا الخلافة غيرهم، وأما ثلاثة إخوة: فالأمين والمأمون والمعتصم بنو الرشيد، والمنتصر والمعتز والمعتمد بنو المتوكل، والمكتفي والمقتدر والقاهر بنو المعتضد، والراضي والمتقي والمطيع بنو المقتدر، وأكثر الخلفاء ولداً عبد الرحمن بن الحكم، كان له خمسون ذكراً وخمسون أنثى، وأطولهم عمراً القادر، بلغ ثلاثاً وتسعين سنة، ولم يصح عن خليفة غيره أنه تجاوز السبعين، وأقصرهم عمراً معاوية بن يزيد، لم يجاوز العشرين سنة، وكانت ولايته أربعين يوماً.

---

(١) في «أ» : «سنة عشر».

(٢) في هامش «أ»: «حاشية: بواسطة قانباي الجاركسي أمير آخور كبير»

ومن نوادر الخلفاء ـ أيضاً ـ أن المستنجد ابن المقتفي رأى في حياة والده كأن ملكاً نزل من السماء فكتب في كفه أربع خاءات معجمات، فلما استيقظ عبرها له بعض العلماء بأنه يلي الخلافة سنة خمس وخمسين وخمسمائة، فكان كذلك ـ انتهى.

وأما السلطان الملك الأشرف إينال (فإنه) استمر في هذا اليوم جالساً بالقصر السلطاني إلى قريب الظهر بغير العادة، ورسم للأمراء بقلع الكلفتاه ولبس قماش الجلوس، ثم نزل كل أمير إلى بيته قبل الظهر من اليوم المذكور، بعد أن قبض السلطان بحضرتهم على جماعة كثيرة من المماليك الظاهرية وحبسوا بالبرج من القلعة.

وفيه رجعت المماليك المجردون[1] إلى البحرية من بر منبابة إلى القاهرة [٣٤٢] بسبب حركة الوقعة//لعود الأمير خشقدم أمير سلاح وقرقماس رأس نوبة النوب إلى القاهرة بسبب حركة الوقعة، على أن خيامهم دامت[2] ببر منبابة حتى يعودوا إلى سفرهم بعد خمود الفتنة.

وفي يوم الجمعة رابعه نودي بشوارع القاهرة بتهديد من أخفى من المماليك الظاهرية أحداً.

وتوالى قبض السلطان على المماليك الظاهرية.

وفي هذا اليوم ـ أيضاً ـ بشر بزيادة النيل بعد أن أخذ القاع، فجاءت القاعدة سبعة أذرع وخمسة أصابع.

ولم يمسك السلطان بعد يوم الخميس أحداً من المماليك، وسكن الحال.. على أن جماعة من أكابرهم اختفوا مدة أيام، ثم ظهروا بعد ذلك.

وفي يوم الاثنين سابعه أنزل أمير المؤمنين القائم بأمر الله حمزة ـ المخلوع عن الخلافة بأخيه يوسف ـ من قلعة الجبل على فرس من غير أن يركب معه عليه أحد من الأوجاقية على عادة الأمراء المقبوض عليهم. وهو بقماش جلوسه ومعه

---

(١) في « أ »: « المجردين ».

(٢) في « أ »: « دام ».

حاجب الحجاب ووالي القاهرة لا غير إلى أن أوصلاه إلى جزيرة أروى المعروفة بالجزيرة الوسطانية ، وأنزلوه من تجاه بولاق التكروري إلى حراقة أعدت له ، وسافر إلى الإسكندرية من وقته ، وكان وقت نزوله إلى الحراقة بين الظهر والعصر ، وكثر أسف الناس عليه ، وبكوا عليه كثيراً رأفة له .

وفيه ـ أيضاً ـ قبض السلطان على سودون أمير آخور الظاهري ، أحد الأمراء آخورية الصغار .

وفي يوم الجمعة حادي عشره وصل الأمير بردبك الدوادار الثاني وصهر السلطان من البلاد الشامية إلى القاهرة، وصحبته ولده ابن بنت السلطان، بعد أن قلّد الأمير جانم الأشرفي نائب حلب، وصالح علي موجود الأمير جلبان نائب الشام، وجمع لنفسه من الأموال والهدايا ما يستحيي من ذكر كثرته؛ لما في نفسه من الشره والطمع في جمع الأموال، بحيث إنه كان الشخص هناك يأتيه بالهدية الهائلة فيقبلها ثم يقول لمهديها: هذه الهدية لي أم لابن بنت السلطان ؟ يعني ولده، فيستحيي الرجل ويجعلها لأحدهما، ثم يأخذ في تجهيز هدية أخرى للآخر، وعلى هذا المنوال سلك من حين خروجه من الديار المصرية إلى أن وصل إلى حلب، وإلى أن عاد إلى الديار المصرية أيضاً، هذا مع علم الناس بمكانته عند أستاذه الملك الأشرف وصهارته منه وانقياده إليه، فلذلك لم // [٣٤٣] يتأخر أحد عن خدمته من أرباب الحوائج وغيرهم.

ووصل معه الأمير زين الدين يحيى الأستادار بطلب من السلطان، وطلع معه إلى القلعة ـ أيضاً ـ في اليوم المذكور، وقبل الأرض، وأخلع عليه السلطان فوقاني مخمل أحمر بوجه أخضر بطرز زركش يلبغاوي، وقيد له فرس بسرج ذهب وكنبوش زركش، واستقر به آستاداراً على عادته أولاً، وعزل قاسم الكاشفُ عن الآستادارية، ونزل زين الدين من القلعة إلى داره التي كان باعها في أيام مصادرته لبعض التجار بمبلغ له جرم، وتصرّف التاجر في الدار المذكورة، وهدم المقعد الذي بها وجعله قاعة، فلما وصل زين الدين في هذه المرة إلى القاهرة واستقر على عادته آستاداراً أنزل إلى داره على قماش التاجر ومتاعه، واستولى على ذلك بطريق غصبي، وألزم التاجر بإعادة المقعد المذكور على ما كان عليه

أولاً ، بعد أن قاسى هذا التاجر من الذل والإخراق والبهدلة من[1] حاشية الأمير زين الدين ما لعله يتذكره إلى أن يموت ويبعث .

وفي يوم الاثنين رابع عشره أدير المحمل بالقاهرة ، ولعبت الرماحة على العادة في كل سنة ، وكان الناس في وجل بسبب دورانه وأيام زينة القاهرة من أجل المماليك الأجلاب ، فلم يقع شيء مما ظنوه .

وسببه أنهم كانوا قبل تاريخه أثاروا تلك الفتنة مع الأمير يونس الدوادار حسبما قدمناه آنفاً، حتى عظم الأمر وخرج عن الحد، وصار الهزل جداً، وأمسك السلطان فيها جماعة من المماليك الظاهرية وغيرهم، ثم أنزل السلطان من مماليكه جماعة كثيرة من الأطباق من قلعة الجبل، ممن كان اشتراهم من تركة الملك الظاهر جقمق لميلهم إلى المماليك الظاهرية، ولما بلغه عن بعضهم أنه يقول: نحن عتقاء الملك الظاهر وتربيته ولا أصير عتيق الملك الأشرف إينال بقطعة ورقة، يعنون بذلك عتاقة الملك الأشرف لهم، فنزلت هذه الطائفة منهم إلى إصطبلاتهم وانضموا على الظاهرية، وأوقع السلطان بجماعة من أعيان المماليك الظاهرية، فتخوفت الجلبان // من السلطان فانكفوا عن الفحش [٣٤٤] والتعرض للعامة ولله الحمد.

وفي يوم الثلاثاء خامس عشره خرج الأمير خشقدم أمير سلاح ورفيقه الأمير قرقماس رأس نوبة النوب بمن انضاف إليهم من المماليك السلطانية والأمراء إلى بر منبابة، وسافروا يوم الجمعة إلى جهة البحيرة، وكانت خيامهم مضروبة ببر منبابة من سلخ جمادي الآخرة حسبما تقدم ذكره.

وفي يوم الخميس سابع عشره أفرج الأمير زين الدين الأستادار عن الناصري محمد بن أبي الفرج المعزول عن الأستادارية قبل تاريخه، بعد أن ألزمه بحمل ثلاثة آلاف دينار، وذلك بعد أن أقام عنده في الترسيم أياماً، وبعد معاتبات خشنة وتهاديد وأمور، ومن أساء لا يستوحش، مع أن الأمير زين الدين

---

(١) في «أ»: ما.

لو عامل ابن أبي الفرج هذا بما يستحقه منه لأهلكه، لكنه صفح عنه صفحاً جميلاً ، وعامله بطباعات الرؤساء .

وفي اليوم المذكور كتب السلطان بالأمان لأربعة من المماليك الظاهرية المختفين بعد الوقعة، ورسم لهم بالخروج إلى البلاد الشامية على إقطاع هين، وهم: يشبك القرمي، وقاني باي المشطوب، وسودون البجمقدار، وشخص آخر، فخرجت الثلاثة ولم يظهر سودون، وسافروا الثلاثة، واستمر سودون مختفياً .

وفي هذه الأيام أخلع بكشف الجيزية على الزيني قاسم المعزول عن الأستادارية بزين الدين .

وفي يوم الثلاثاء ثاني عشرينه عزل قطب الدين الخيضري عن كتابة سر دمشق بالقاضي نور الدين علي ابن القاضي صلاح الدين محمد بن السابق .

شعبان

أوله الخميس .

ففي يوم الخميس ثامنه رسم السلطان بإخراج من في سجن القلعة بالبرج من المماليك الظاهرية، وهم: الأمير قوزي الساقي الظاهري، ونحو عشرين نفراً، ورسم بتوجههم إلى البلاد الشامية، فسافروا من الغد في يوم الجمعة تاسعه .

وفي يوم السبت سابع عشره - الموافق لتاسع مسري - أوفى النيل المبارك ستة عشر ذراعاً ، وزاد ستة أصابع من الذراع السابع عشر ، ونزل المقام الشهابي أحمد ابن السلطان الملك الأشرف إينال من القلعة وبين يديه وجوه الدولة حتى خلق المقياس وفتح خليج السد // على العادة في كل سنة . [٣٤٥]

وفي هذا المعنى يقول الشيخ بدر الدين ابن الصاحب :

النيل ألبس حلة حمراء في تخليقه
وله أصابع زينت وتختمت بعقيقه

[مجزوء الكامل]

وفي يوم الأربعاء حادي عشرينه وصل نجاب من طرابلس يخبر بالقبض على نائبها الأمير يشبك النوروزي. وكان السيفي إينال الجلباني القجقي الخاصكي توجه قبل تاريخه إلى طرابلس، وعلى يده مثالات في الباطن لأمراء طرابلس بالقبض عليه، فقبض عليه من دار السعادة، وأخرج ماشياً مع الحاجب والأمراء إلى بيت الأمير مغلباي البجاسي حاجب حجاب طرابلس بعد أن امتنعت مماليكه من تسليمه حتى نهرهم استاذهم المذكور ؛ لعلمه أن ذلك لا فائدة فيه ، وقيد وحمل إلى سجن المرقب .

ثم في يوم الخميس ثاني عشرينه رسم بنقل الأمير حاج إينال اليشبكي نائب حماه إلى نيابة طرابلس عوضاً عن يشبك المذكور، وحمل إليه التقليد والتشريف على يد الأمير يشبك من سليمان شاه الفقيه المؤيدي أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، ونقل نائب صفد الأمير إياس الناصري الطويل إلى نيابة حماه عوضاً عن حاج إينال المذكور، ومسفره الأمير قانصوه المحمدي الساقي الأشرفي أحد أمراء العشرات، ونقل الأمير جانبك التاجي المؤيدي نائب غزة إلى نيابة حماه عوضاً عن إياس، ومسفره الأمير تمرباي الحسني الناصري أحد أمراء العشرات، وهو أحد من بقي من أمراء الأتراك في زماننا هذا لا غير، ورسم بإعادة خيربك النوروزي أحد أمراء صفد إلى نيابة غزة كما كان في الدولة الظاهرية، ومسفره سنقر الخاصكي الدوادار الأشرفي المعروف بقرق شبق .

وكل ما ذكرناه من انتقال هؤلاء بالبذل ، من إينال إلى خيربك ، وأخلع على هؤلاء المتوجهين بالتقاليد المذكورة في هذا اليوم جملة واحدة ، وصولح الجميع ، ما خلا يشبك الفقيه فإنه سافر إلى حاج إينال ، فصولح قانصوه بأربعة آلاف دينار ، وتمرباي بنحو ذلك ، وسنقر قرق شبق بألفي دينار .

وكثر الكلام بالقاهرة في قبض يشبك النوروزي هذا، واختلفت الأقاويل، ولهج الناس بأنه عزله بسبب ممالأته في الباطن إلى الأمير قاني باي الحمزاوي - [٣٤٦] نائب / / الشام .

وترقب الناس خروج قاني باي المذكور عن الطاعة، فلم يقع شيء من ذلك، واستقر الحال على أن السلطان لا يطلب قاني باي المذكور إلى الديار

المصرية، وقاني باي ما لم يطلبه السلطان هو قانع بنيابة دمشق، وبما هو فيه من الانهماك بلذاته ولا يطلب زيادة على ذلك، وكل منهما يغالط الآخر، فالسلطان مطمئن بأن قاني باي في طاعته ويمتثل مراسيمه وهو الواقع، وقاني باي في طاعة السلطان ومتى طلبه حضر وفي الباطن بخلاف ذلك.

ثم رسم السلطان في هذه الأيام بانتقال يشبك السيفي قاني باي البهلوان من نيابة المرقب إلى حجوبية الحجاب بطرابلس، عوضاً عن مغلباي البجاسي، بحكم انتقال مغلباي إلى أتابكية طرابلس عوضاً عن سودون من سيدي بك الناصري المعروف بالقرماني، بحكم انتقاله إلى أتابكية حلب بعد ولاية الأمير آقبردي الساقي الظاهري نيابة ملطية ، بعد عزل الأمير قاني باي الناصري .

وفي يوم الثلاثاء سابع عشرينه انقطع جسر بحر منجا[1] وغرق ما تحتها من البلاد، ثم عظمت المصيبة بأن الماء لما سار على الأراضي استند على سد جبيين القصر فلم يثبت سد جبيين ـ أيضاً ـ وطغى الماء حتى غرق الأراضي، وضر سد جبيين أن بحر منجا انفتح قبل ميعاده[2] بنحو ستة عشر يوماً، فلم يلبثوا إلا والماء قد أتاهم طوفان، فغرقهم وغرق للناس من الزرع والغلال ما لا يحصى، ويئس الناس من عود النيل إلى ما كان، وخرج الأمير زين الدين يحيى الأستادار والمقطعون بجبيين القصر وغيرهم، وأقاموا على سد جبيين أياما حتى سدوا من قناطر جبيين البعض، وأما منجا فلا سبيل إلى تعويقه، وراح على من راح ولا انتطحت في ذلك شاتان، فسبحان الحليم على عباده. ونقص البحر نقصاً فاحشاً، وتحرّك سعر الغلال، وأخذ الناس في شراء الغلال، ونفق سوقها بعد الكساد، وخزنت الخزانون شيئاً كثيراً، ومع ذلك لم يزد سعر الإردب القمح على مائة وخمسين وسبعين درهماً وما دونها، والفول بمائة وعشرة وما دونها، والشعير بمائة وثلاثين وما دونها، ثم عن قليل تراجع البحر بإذن الله تعالى إلى زيادته كأحسن ما يكون، وانحط سعر كل صنف من الغلة، حتى أبيع القمح بمائة

(١) المقصود بذلك بحر أبي المنجا ، وهو خليج حفره « الأفضل ابن أمير الجيوش » سنة ست وخمسمائة للهجرة.

راجع المقريزي. الخطط ج ١ ص ٧١ ـ ٧٢.

(٢) في الأصل : « ميجاله » .

[٣٤٧] وأربعين وما دونها // والفول بتسعين وما دونها، والشعير بمائة وخمسة وما دونها، ولله الحمد.

شهر رمضان

أوله الجمعة.

ففي يوم السبت ثانيه - الموافق لثالث عشرين مسرى - نودي على البحر بزيادة أربعة أصابع من النقص، فسكن حينئذٍ روع الناس قليلاً، ولم ينحط سعر الغلال إذ ذاك.

وفي يوم الأحد ثالثه استقر شخص من أصاغر الكتبة يعرف بابن وجيه في نظر جيش حلب، عوضاً عن سراج الدين عمر بن السفاح.

ثم في يوم الاثنين رابعه[1] نودي على النيل - أيضاً - بزيادة إصبعين، وذلك لتتمة سبعة أصابع من الذراع السابع عشر[2]، وهذا هو القدر الذي كان نقصه البحر بعد قطع بحر منجا، وأخلع السلطان على منادي البحر.

وفيه قدم الأمير زين الدين يحيى الأستادار من ترميم سد جبين القصر، وأخلع عليه السلطان.

وفيه - أيضاً - أخرج سنطباي الظاهري جقمق الخاصكي رأس نوبة الجمدارية - كان - في دولة أستاذه إلى طرابلس منفياً. وهذه نفيته الثانية بعد موت أستاذه الظاهر جقمق.

وفي يوم الأحد عاشره قدم الخبر على السلطان بموت الشريف بركات بن حسن بن عجلان أمير مكة، وتولى بعده ابنه محمد على ما يأتي ذكره في وفيات هذه السنة.

وفيه رسم بنفي الناصري محمد بن أبي الفرج المعزول عن الأستادارية،

---

(١) في هامش «أ»: «يوم الأحد ثالثه».

(٢) في هامش «أ»: «صوابه الثامن عشر».

فتسحب واختفى مخافة من الأمير زين الدين يحيى الأستادار .

وفي يوم السبت سادس عشره ـ الموافق ليوم النوروز أول توت ـ نودي على النيل بزيادة ثلاثة أصابع من الذراع التاسع عشر .

وفيه وصل الأمير جانبك الظاهري المتكلم علي بندر جدة منها إلى القاهرة، وأخلع عليه وعلى رفقته على العادة، واستقر مسفر الشريف محمد ابن الشريف بركات باستقراره في إمرة مكة، وأمر بنقل التقليد والتشريف بعد ذلك مع أحد مماليكه ولم يسافر هو.

وكانت ولاية الشريف محمد إمرة مكة على مال بذله نحو خمسين ألف دينار، وسألت الأمير جانبك المتكلم علي بندر جدة ـ وهو الساعي للشريف محمد هذا ـ عن ذلك فقال: نعم، لكن يحمل في هذه السنة عشرين ألف دينار، ثم ما بقي على نقدات متفرقة، وللخوند وولدها خمسة آلاف دينار، وليونس الدوادار ثلاثة آلاف دينار. قلت: فماذا يحمل لعظيم الدولة ـ أعني ناظر الخواص ـ ولبردبك؟ قال: مهما أرادا.

// وفي يوم السبت ثالث عشرينه وصل إلى القاهرة الأمراء المجردون إلى [٣٤٨] البحيرة بمن معهم من المماليك السلطانية، وهم الأمير خشقدم الناصري المؤيدي أمير سلاح ، والأمير قرقماس الأشرفي الجلب رأس نوبة النوب ، وعدة من أمراء العشرات .

وفي يوم الأربعاء سابع عشرينه استقر الناصري محمد بن أبي الفرج المعزول عن الأستادارية قبل تاريخه في ولاية قطيا بسعي في ذلك ـ قلت : وهذه عادته ، يرتفع إلى السها ، ثم ينزل إلى البهموت ، فتوجه إليها وباشرها .

وفيه ـ أيضاً ـ كتب بعزل القاضي جلال الدين أبي السعادات الشافعي عن قضاء مكة، وكتب باستقرار قاضي القضاة محب الدين محمد الطبري إمام مقام إبراهيم بالحرم الشريف في قضاء الشافعية عوضاً عن أبي السعادات المذكور ، وكتب ـ أيضاً ـ باستقرار الشيخ برهان الدين إبراهيم ابن نور الدين

على ابن ظهيرة في نظر الحرم الشريف، بعد استعفاء طوغان شيخ الأشرفي في ذلك.

شوال

أوله الأحد.

في يوم الثلاثاء عاشره [كان] انتهاء الكسوة التي أمر السلطان للمقر الجمالي ناظر الجيوش والخواص بعملها برسم القبر الشريف النبوي محمد ﷺ، وحملت على رءوس عدة كبيرة من الحمالين إلى القلعة في أبهج زي وأحسن منظر، حتى عرضت على السلطان، وخلع على الصاحب جمال الدين المذكور كاملية خضراء بمقلب سمور، وقيد له فرس بسرج ذهب وكنبوش زركش، ونزل إلى داره وبين يديه وجوه الدولة.

وفي يوم الجمعة ثالث عشره - الموافق لسابع عشرين توت - نودي على النيل بزيادة إصبع واحد لتتمة أربعة عشر إصبعاً من عشرين ذراعاً، وهذا منتهى زيادة النيل في هذه السنة، وأخذ في النقص كما زاد، وتماسك إلى أواخر بابه.

وفي يوم الأحد خامس عشره أمر السلطان بعبد العزيز بن محمد الصغير نقيب الجيوش ومحتسب القاهرة فضرب بين يدي السلطان ضرباً مبرحاً، تجاوز فيه عن الحد حتى أشفى على الهلاك.

وسبب ذلك أنه كان قبل تاريخه في يوم فتنة المماليك الظاهرية مع الأمير يونس الدوادار - المتقدم ذكرها - قد نقل للسلطان أنه دخل متنكراً إلى بيت يونس [٣٤٩] الدوادار المذكور فوجده قد تهيأ // للركوب على السلطان، فلم يلتفت السلطان إلى كلامه لعلمه بجنه وخفة دماغه وكذبه، وأمر بكتم ذلك، ثم أخذ في الفحص عن يونس المذكور ظاهراً وباطناً فلم يجد لما قاله عبد العزيز المذكور صحة، ثم وقع من عبد العزيز - أيضاً - ما أوجب غضب السلطان عليه حتى كان من أمره ما كان، ثم رسم بنفيه، فنفي إلى دمياط على أقبح وجه، وأشيع موته لعظم ما به من الضرب والنكال.

قلت: وما هذه بأول واقعة وقعت له لأنه مخمول الحركات من مبدء أمره إلى منتهاه، وقد حبس بالبرج بقلعة الجبل في أوائل دولة الظاهر، ثم أمر بنفيه مع

أبيه غير مرة، وأما ما وقع له من السب والبهدلة من أرباب الديون والنقباء فلا يعد ولا يحصى، أضربنا عن ذلك لكونه لم يكن من أعيان الناس لتشكر أفعاله أو تذم، وإنما والده المعروف بمحمد الصغير كان من أولاد الناس الغازانية، وكان في مبادىء أمره يركب حماراً إلى أن عرف بحسن رمي النشاب، فترقى وركب فرساً، وصار كآحاد أجناد الحلقة، وتربى عبد العزيز هذا في الأزقة، وكان على وجهه قبول لجماله، حتى تسلطن الملك الظاهر جقمق وقرب أباه ونادمه، فصار عبد العزيز هذا يسعى في الخدم والوظائف ويبذل فيها الأموال، ويتحمل من الديون ما شاء الله إلى أن يأخذ بغير رضى والده، حتى كان من أمره ما حكيناه.

وفي يوم الثلاثاء سابع عشره برز أمير حاج المحمل الأمير بردبك البجمقدار الظاهري جقمق، أحد أمراء الطبلخانات ورأس نوبة بالمحمل إلى بركة الحاج، وأمير الركب الأول الناصري محمد ابن الأمير جرباش المحمدي الناصري الأمير آخور الكبير المعروف بكرت، والناصري محمد هذا سبط الملك الناصر فرج بن برقوق، وحجت والدته خوند شقراء بنت الملك الناصر فرج صحبة ولدها بتجمل زائد إلى الغاية، وسافر - أيضا - الأمير بيبرس الأشرفي أحد أمراء الطبلخانات ورأس نوبة، وخال الملك العزيز يوسف بن الملك الأشرف برسباي إلى الحجاز ومقدم المماليك السلطانية المقيمين بمكة المشرفة .

وفي يوم الثلاثاء هذا أخلع // على الشيخ علي ابن نصرالله الخراساني [٣٥٠] الطويل بإعادته إلى حسبة القاهرة، واستقر السيفي خشكلدي السيفي قجقار جغتاي الزردكاش نقيب الجيوش المنصورة، كلاهما عوضاً عن عبد العزيز بن محمد الصغير بعد نفيه إلى دمياط حسبما تقدم .

وفي يوم الجمعة، العشرين منه رحل الأمير بيبرس بالمماليك من بركة الحاج، ثم رحل أمير (الركب) الأول في يوم السبت، وأمير الحاج في يوم الأحد .

وفي أواخر هذا الشهر ورد الخبر بأن الملك خلف ابن السلطان محمد ابن

السلطان الملك العادل سليمان الأيـوبي ملك قلعة حصن كيفـا ومدينتهـا من ابن أخيه الملك الكامل أحمد ابن الملك الكامل صلاح الدين خليـل ابن الملك العادل سليمان . [وهو الذي] قتل[1] ابن عمـه الملك حسن ابن السلطان عثمان ابن الملك العـادل سليمان ، وهـرب الملك الكـامـل أحمـد إلى حـال سبيله ، وتلقبْ الملك خلف بالملك (العادل) [2] .

ذو القعدة

أوله الاثنين .

فيه نودي على الذهب بالقاهرة بأن لا يتعامل به أحد بأكثر من ثلاثمائة درهم الدينار، وهدد من زاد على ذلك بأنواع الضرب والنكال.

وفي أوائل هذا الشهر برز المرسوم الشريف باستقرار القاضي جمال الدين يوسف الباعوني الشافعي في قضاء دمشق، بعد عزل القاضي سراج الدين عمر الحمصي، وتوجهه إلى حمص بطالاً. وولاية الباعوني هذا على مال كبير بذله في ذلك.

وفي هذا الشهر رسم السلطان بهدم الإيوان القبلي من تربته التي بناها بالصحراء في أيام إمرته خارج باب النصر بالقرب من تربة كوكاي، وأمر أن تعمـر مدرستـه بأربعة[3] أواوين ويجعلها خـانقاه ، وخلع عـلى الصاحب جمـال الدين يوسف ناظر الجيش والخاص باستقراره في نظر عمارتها .

وفي يوم الجمعة سـادس عشرينـه ـ الموافق لعـاشر هاتـور ـ لبس السلطان القماش الصوف الملون ، وألبس الأمراء على العادة في كل سنة .

---

(١) في «أ»: قبل.

(٢) مزيد من « ب » .

(٣) في الأصل : « باربع » .

ذو الحجة

أوله الثلاثاء.

ففي يوم الخميس ثالثه استقر علي بن إسكندر في نقابة الجيوش المنصورة بعد عزل خشكلدي السيفي قجقار جغتاي الزردكاش.

وعلي بن إسكندر هذا يعرف بابن الفيسي لكون والده// كان ابن أخت [٣٥١] زوجة كمشبغا الفيسي.

وفي يوم الخميس عاشره، وهو يوم عيد الأضحية صلى السلطان الملك الأشرف إينال بجامع القلعة الناصري صلاة العيد، وخرج عائدا إلى الحوش السلطاني من قلعة الجبل، ونحر ضحاياه به خوفاً من المماليك الجلبان الذين بالأطباق، لما وقع منهم في العام الماضي من الإخراق وكسر الحرمة.

وكانت العادة أن السلطان إذا خرج من الجامع جلس بالإيوان وبين يديه الأمراء وينحر به ضحاياه، ثم يتوجه إلى باب الستارة وينحر به - أيضاً - ثم يدخل بعد ذلك إلى الحوش وينحر به، وكلما نحر بمكان من هذه المواضع تفرقته الخدام والمماليك ومن له عادة بالأخذ، فبطل ذلك كله، ونحر السلطان دفعة واحدة بالحوش، وهذا شيء لم يعهد مثله فيما مضى، وأظن ذلك صار عادة إلى الأبد.

وفي يوم الأحد العشرين منه نودي بالقاهرة وشوارعها: من ظلم من قهر فعليه بالأبواب الشريفة، وقد شرع السلطان ينزل في يومي السبت والثلاثاء إلى الإسطبل السلطاني للحكم بين الناس.

وفي يوم الجمعة خامس عشرينه وصل مبشر الحاج سنقر الأشرفي أحد الدوادارية المعروف بقرق شبق وأخبر بالأمن والسلامة، وأخبر - أيضاً - بأن الناس وقفوا بعرفات يوم الخميس، ووقف أمير الركب الأول الأربعاء والخميس احتياطاً، ووقف أمير المحمل الأمير بردبك الظاهري الخميس لا غير.

قلت : فهذا يدل على أن هلال ذي الحجة أُرِّخ[1] بمكة ليلة الأربعاء بخلاف الديار المصرية ، فإنه أُرِّخ[1] بها الثلاثاء على اختلاف المطالع ، لكن وقوف أمير (الركب) الأول مرتين يدل على اضطراب الناس في رؤيته بمكة .

وورد الخبر - أيضاً - بموت العلامة محب الدين الأقصرائي الحنفي في يوم الجمعة ثالث ذي الحجة على حسب تأريخ مكة، ورابع ذي الحجة على حسب ما أُرِّخ[1] بديار مصر، وصلى عليه بالحرم الشريف، وكانت جنازته مشهودة، ومات - رحمه الله - محرما بعد السعي وطواف القدوم، وكثر أسف الناس عليه بالديار المصرية؛ لأنه كان من محاسن الدنيا ديناً وعلماً وفضلاً وعبادة، رحمه الله.

وفي هذه السنة وقع بدمشق حريق عظيم في عدة أماكن منها، احترق فيها دور كثيرة، وحوانيت وأملاك، وتداول ذلك شيئاً// بعد شيء، ولم يعلم أحد [٣٥٢] من هو فاعل ذلك، واختلف الناس فيه، فمنهم من قال: إنهم النصارى الذين أمر بهدم كنائسهم، ومنهم من قال: الغرباء الذين نودي بدمشق بخروجهم منها، ومنهم من قال غير ذلك. وبعد قليل أخبرني بعض الناس أنه مسك منهم جماعة ونكل بهم غاية النكال.

وفرغت هذه السنة وقد عز وجود الحطب جداً، حتى إنه أبيع الحمل منه بنحو المائة وعشرين درهماً، وهو الحطب الطرفاء، وأما الكاري فلم يوجد أصلاً من أواخر رمضان إلى الآن، وقد أضر ذلك بحال الناس كثيراً، وقد صارت المماليك تفتح الشون ومخازن الحطب وتهجم بيوت الناس ببولاق ومصر وتأخذه من غير رضى أصحابه - أميراً كان صاحبه أو فقيراً - بثمن وغير ثمن ، وهذا - أيضاً - من الأشياء التي لم يعهد مثلها من قلة وجود الحطب بالديار المصرية .

أمر النيل في هذه السنة

كان الماء القديم سبعة أذرع وخمسة أصابع، (و) مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعاً وأربعة عشر إصبعاً، والله - تعالى - أعلم.

---

(١) في « أ » : « ورخ » .

ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة ممن تقدم ذكرهم رحمة الله - تعالى - عليهم

(١) توفي الأمير سيف الدين مغلباي[١] بن عبد الله الشهابي الناصري، أحد أمراء العشرات بديار مصر - بطالاً - في يوم الخميس في ليلة عاشر المحرم.

وكان أصله من مماليك الشهابي أحمد ابن جمال الدين يوسف البيري الأستادار، ثم أخذه الملك الناصر فرج وجعله من جملة مماليكه، فاستمر من جملة المماليك السلطانية إلى أن صار خاصكياً بعد موت الملك المؤيد شيخ، ثم صار رأس نوبة الجمدارية في دولة الملك الظاهر جقمق، ودام على ذلك إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر بإمرة عشرة في سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة، فدام على ذلك إلى أن كانت الوقعة بين الملك المنصور وبين الأمير الكبير إينال العلائي صار مغلباي هذا عند المنصور، فلما تملك الملك الأشرف إينال أخرج إقطاعه، فدام بطالاً حتى مات في التاريخ المذكور من غير مرض، لكن شبه الفجاءة، رحمه الله تعالى وعفا عنه.

(٢) وتوفي الشهابي أحمد ابن الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد البيري[٢]،

---

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردى: الدليل الشافي ج ٢ ص ٧٣٧ تر ٢٥١٧، المنهل الصافي مج ٣ ق ٢٤٧ أ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٤، السخاوي. الضوء اللامع ج ١٠ ص ١٦٥ تر ٦٧٦.

(٢) هو « أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن قاسم »، له ترجمة في: السخاوي. الضوء اللامع ج ١ ص ٨٣ تر ٢٤٧.

أحد الحجاب بالقاهرة ، المعروف بابن أخي جمال الدين الأستادار ، في صبيحة [٣٥٣] يوم الاثنين / / ثاني عشرين صفر ، وله سبعون سنة تخميناً ، ودفن بتربة عمه جمال الدين الأستادار بالصحراء خارج القاهرة ، رحمه الله .

(٣) وتوفي الأمير سيف الدين جلبان[١] بن عبد الله نائب الشام بها في يوم الثلاثاء سادس عشر صفر ، وله نحو ثمانين سنة تخميناً .

وكان يعرف بالأمير آخور ، وفي معتقه أقوال ، أحدها : أنه من مماليك الأمير تنبك الأمير آخور الظاهري المتوفى في سنة تسع وتسعين وسبعمائة ، واشتراه بعده سودون طاز الظاهري الأمير آخور وأعتقه ، وتنقل في الخدم حتى صار بخدمة الأمير جاركس القاسمي المصارع ، ثم اتصل بخدمة الملك المؤيد أيام إمرته ، فجعله من جملة أمراء آخوريته ، وهذا القول أحسن الأقوال وأصحها في معتقه .

ودام جلبان بخدمة الملك المؤيد شيخ إلى أن تسلطن ، جعله من جملة الأمير آخورية ، ثم أنعم عليه بإمرة عشرة ، ثم جعله أمير آخوراً ثانياً ، وهذا كان لا يعرف إلا بالأمير آخور ، ثم نقله الملك المؤيد إلى تقدمة ألف في حدود سنة عشرين وثمانمائة ، واستقر بعده في الأمير آخورية الثانية الأمير آقبغا التمرازي ، ودام جلبان على تقدمة ألف إلى أن أخرج الملك المؤيد عسكراً إلى الشام في سنة ثلاث وعشرين ، وجعل مقدم العسكر الأتابك ألطنبغا القرمشي الظاهري ، وأضاف إليه عدة من مقدمي الألوف ، فكان جلبان هذا ممن انضاف إليه ، وساروا إلى البلاد الشامية ، ومات الملك المؤيد في محرم سنة أربع وعشرين وهم بتلك البلاد ، ولازالوا بها حتى توجه الأمير ططر بالملك المظفر أحمد إلى الشام ، وقبض على القرمشي ورفقته ، فكان جلبان هذا ممن قبض عليه ، وحمل إلى قلعة صفد فحبس بها إلى أن أطلقه إينال نائب صفد ، لما خرج عن طاعة الملك الأشرف برسباي ، فهرب جلبان المذكور من إينال وقدم دمشق داخلاً في طاعة الملك الأشرف ، فرسم الملك الأشرف بالقبض عليه ثانياً وحبسه ، فوقع ذلك إلى

---

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردى : الدليل الشافي ج ١ ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ تر ٨٥٤ ، المنهل الصافي مج ٢ ق ٣ ، النجوم الزاهرة ج ١٣ ص ١٧٤ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٧٧ ـ ٧٨ تر ٣٠٢ ، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣ .

أن أطلقه الملك الأشرف ـ أيضاً ـ بعد مدة يسيرة، وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق، ثم نقله إلى نيابة حماه بعد الأمير جارقطلو، في يوم العشرين من شهر رجب سنة ست وعشرين، وانتقل جارقطلو إلى نيابة حلب بحكم انتقال تنبك البجاسي إلى نيابة الشام بعد موت الأمير تنبك // ميق العلائي الظاهري [1] [٣٥٤] بعد موته فدام جلبان في نيابة حماه سنين إلى أن نقله الملك الأشرف إلى نيابة طرابلس. بعد موت الأتابك طرباي في العشر الأوسط من شعبان سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة، وتولى بعده نيابة حماه الأمير قاني باي الحمزاوي أحد مقدمي الألوف بديار مصر، فاستمر في نيابة طرابلس إلى أن نقله الملك الظاهر جقمق إلى نيابة حلب، بعد عصيان حسين بن أحمد المدعو تغري برمش التركماني في سلخ شهر رمضان من سنة اثنتين وأربعين، فلم تطل مدته في نيابة حلب ونقل إلى نيابة دمشق، بعد موت الأمير آقبغا التمرازي في شهر ربيع الآخر، وحمل إليه التقليد والتشريف دولات باي المحمودي المؤيدي، وعاد منه بأموال كثيرة إلى الغاية، فدام جلبان في نيابة الشام من يومئذٍ، وتردد إلى القاهرة غير مرة، واستمر في نيابته إلى أن مات في التاريخ المذكور.

وكان أميراً جليلاً، عاقلاً، سيوساً، عارفاً بمداراة الملوك، وباشر وقائع، وحضر حروباً، وقاسى خطوب الدهر ألواناً، في أيام خدمته للملك المؤيد شيخ أيام إمرته، وكان متجملاً في مركبه ومماليكه وحشمه، غير أنه كان قصيراً جداً، ومع هذا وقع له ما لم يقع لغيره من أبناء جنسه، منها أنه أقام أميراً بمصر والشام نحواً من ثلاث[2] وأربعين سنة، وهذا لم يقع لغيره إلا نادراً جداً، ومنها أنه طالت مدة ولايته لبلاد الشام[3] منتقلاً من بلد إلى أعظم منها نحوا من ثلاث[4] وثلاثين سنة، وهذا ـ أيضاً ـ لم يقع لغيره، ومنها أنه أقام نائباً بدمشق نحو خمس[5] عشر [ة] سنة، وهذا شيء لم يقع لغيره ـ أيضاً ـ من أيام تنكز الناصرى، ومنها

---

(١) في « أ » : « بعد موت الأمير ميق العلائي الظاهري بعد موته »

(٢) في « أ » : « ثلاثة »

(٣) في «أ»: « لبلاد بالشامية »

(٤) في « أ » : « ثلاثة » .

(٥) في « أ » : « خمسة » .

أنه لم ينتقل من بلد إلى غيرها إلا والأمير قاني باي الحمزاوي يلي تلك البلد التي خرج منها عوضه، حتى إن قاني باي ـ المذكور ـ ولي نيابة الشام ـ أيضاً ـ بعد موته، وهذا ـ أيضاً ـ من الاتفاقات الغريبة، ومنها أنه باشر نيابة دمشق في ثلاث دول، وهذا ـ أيضاً ـ لم يقع لغيره.

وبالجملة إنه كان من بقية الأمراء، وممن رأى تلك الأعصار ـ رحمه الله تعالى.

(٤) وتوفي الأمير سيف الدين يشبك الناصري[١] أحد أمراء الطبلخانات ورأس نوبة ثاني بعد مرض طويل، في يوم الأحد ثامن عشر صفر وقد ناهز السبعين تخميناً.

وكان أصله من مماليك الملك الناصر فرج، ثم انحط قدره، وخدم في بيوت الأمراء مدة طويلة، إلى أن رده الملك الظاهر ططر إلى بيت السلطان، وجعله من [٣٥٥] جملة الخاصكية، فدام على ذلك دهراً طويلاً إلى أن// أنعم عليه الملك الظاهر جقمق في أوائل أمره بإمرة عشرة، وجعله من جملة رءوس النوب، واستمر على ذلك إلى أن أنعم عليه الملك المنصور عثمان بإمرة طبلخاناه، عوضاً عن جانبك القرماني، بحكم انتقال جانبك القرماني إلى طبلخانات يونس المشد، بحكم انتقال يونس إلى تقدمة ألف بديار مصر، ثم صار رأس نوبة ثانياً في دولة الملك الأشرف إينال، إلى أن مرض ومات في التاريخ المذكور.

وكان مهملاً، مسرفاً على نفسه، لم يعرف بشجاعة ولا كرم ولا دين، عفا الله ـ تعالى ـ عنه.

(٥) وتوفي الوزير الصاحب أمين الدين إبراهيم ابن الرئيس مجد الدين عبد الغني بن الهيصم[٢] وزير الديار المصرية ورئيسها بطالاً في ليلة الخميس مستهل شهر ربيع الآخر.

---

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٦، السخاوي. الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢٨٠ تر ١٠٩٩، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٢٣.

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بردى: الدليل الشافي ج ١ ص ٢١ تر ٤٩، المنهل الصافي ج ١ ص ١١٣ ـ ١١٦ تر ٥٠، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٥ ـ ١٧٦، السخاوي. الضوء اللامع ج ١ ص ٦٧ تر ٦٨، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٢٣.

وكان مولده في أوائل القرن تخميناً بالديار المصرية، (و) نشأ في الرياسة تحت كنف والده، ثم عمه الصاحب تاج الدين عبد الرزاق بن الهيصم إلى أن كبر وعرف الحساب،وكتب الخط المنسوب وباشر في عدة جهات إلى أن نقل إلى نظر الدولة بعد القاضي كريم الدين عبد الكريم بن كاتب جكم، بحكم انتقاله إلى نظر الخاص بعد الصاحب بدر الدين حسن بن نصرالله، في يوم الاثنين ثاني عشر جمادي الأولى سنة ثمان وعشرين، ودام في وظيفة نظر الدولة إلى سنة سبع وثلاثين أخلع عليه باستقراره وزيراً بعد عزل الصاحب كريم الدين بن كاتب المناخ، واستقل بوظيفة الأستادارية، فباشر الصاحب أمين الدين ـ هذا ـ الوزر مدة أشهر، فلم ينتج أمره وتسحب واختفى أشهراً، ثم ظهر بشفاعة الأمير إينال الأبو بكري الخازندار فيه، ثم ولي بعد ذلك نظر المفرد، ثم أعيد إلى نظر الدولة ثانياً، ودام فيها ـ أيضاً ـ سنين إلى يوم الاثنين ثامن جمادي الآخرة سنة إحدى وخمسين وثمانمائة أخلع عليه الملك الظاهر جقمق باستقراره وزيراً، عوضاً عن الصاحب كريم الدين ولزومه الفراش. وهذه ولايته الثانية، فباشر الوزر في هذه المرة مباشرة جيدة لا سيما لما وقع الشراقي والغلاء بديار مصر في سنة أربع وخمسين وسنة خمس وخمسين، ودام في الوزر إلى أن عجز واستعفى فأعفى، واستقر عوضه تغري بردي القلاوي في يوم الخميس رابع شوال سنة ست وخمسين، فدام معزولاً إلى أن استعفى القلاوي وأعيد الصاحب أمين الدين إلى الوزر// من قبل الملك المنصور عثمان في يوم الخميس تاسع عشر صفر سنة [٣٥٦] سبع وخمسين، فدام في الوزر إلى أن عجز واختفى في يوم الأربعاء أول شهر رمضان من سنة سبع وخمسين وثمانمائة، واستقر عوضه في الوزر كاتب المماليك السلطانية، فدام الصاحب أمين الدين في أختفائه مدة ثم ظهر بأمان، وأعيد إلى الوزر بعد عزل فرج بن النحال المذكور في يوم الاثنين حادي عشرين جمادي الأولى سنة ثمان وخمسين، فلم تطل مدته ـ أيضاً ـ في الوزر، وأظهر العجز واستعفى فلم يعف. فاختفى في يوم السبت حادي عشر ذي القعدة من سنة ثمان وخمسين، وأعيد فرج بن النحال في الوزر من بعده، فدام في اختفائه مدة إلى أن مرض ومات.

وكان بمعزل عن الأقباط، وتزوج من المسلمين، وكان يحب الفقراء

والصالحين ، وله فيهم اعتقاد عظيم ، وحج .

وفي الجملة، إنه كان أصلح الموجودين من أبناء جنسه الأقباط، وأخفهم ظلماً، وأكثرهم تجملاً في ملبسه ومركبه، وكان ترفاً إلى الغاية - رحمه الله - تعالى - وعفا عنه .

(٦) وتوفي الأمير سيف الدين خيربك بن عبد الله المؤيدي[1] - أحد مقدمي الألوف بديار مصر - في يوم الخميس تاسع عشرين شهر ربيع الآخر بداره التي تجاه مصلاة المؤمني، ولم يحضر السلطان الصلاة عليه ولا ولده المقام الشهابي أحمد، ومات وهو في حدود الستين سنة .

وأصله من مماليك الملك المؤيد شيخ ، وصار خاصكياً من بعده مدة طويلة ، إلى أن وقع بينه وبين جانبك اليشبكي المعروف (بـ) جحا - بتقديم الجيم - فتنة ، وشكاه جانبك المذكور إلى الملك الأشرف برسباي فنفاه الأشرف إلى الشام ، ثم انعم عليه بعد ذلك بإمرة، فدام خيربك المذكور من جملة أمراء دمشق سنين، إلى ان جعله الملك الظاهر جقمق أمير مائة ومقدم ألف بدمشق، ثم نقله بعد سنين إلى الأتابكية بها بعد موت إينال الششماني في حدود سنة خمسين وثمانمائة ، فدام أتابك دمشق إلى سنة ست وخمسين - رسم الملك الظاهر جقمق بمسكه وحبسه لأمر اقتضى ذلك، وصار الأمير يشبك من جانبك المؤيدي المعروف بالصوفي أتابكاً عوضه//، فاستمر خيربك هذا محبوساً إلى أن أطلقه الملك [٣٥٧] الأشرف إينال في أوائل سلطنته، واستقدمه إلى الديار المصرية في شهر ربيع الآخر سنة سبع وخمسين، وبعد أيام أخلع عليه بنيابة طرسوس، فلبس الخلعة على كره، ثم استعفى فأعفى [و]أقام بطالا أياما إلى أن مات الأمير دولات باي المؤيدي الدوادار - كان - فأنعم بتقدمته على خير بك هذا .

---

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردى . الدليل الشافي ج ١ ص ٢٩٣ - ٢٩٤ تر ١٠٩، المنهل الصافي مج ٢ ق ٥٦ أ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٦ - ١٧٧، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٠٩ - ٢١٠ تر ٧٨٤ .

قلت : بئس البديل ، والفرق بينهما واضح ؛ هما طرفا[1] نقيض في الشكل والفعل .

فدام خيربك هذا من جملة أمراء الألوف بالقاهرة إلى أن مرض، وطال مرضه وأراد أن يتعافى غصباً غير مرة فلم يقدر على ذلك؛ فإنه لما طال مرضه بلغه أن السلطان أنعم بإقطاعه على الأمير قانم التاجر المؤيدي، فلما سمع ذلك لبس قماشه وركب وطلع إلى القلعة بعد العصر في بعض ليالي الخدم وهو يتجلد لما به من شدة المرض، فحال جلوسه تقيأ وأغمي عليه، فحمل وأنزل إلى داره، ومكث أياماً وترجح قليلاً، وأشيع - أيضاً - ما ذكرناه من خروج إقطاعه، فلبس ثيابه وركب فرسه وسير بحوشه فأغمي عليه، وأنزل من على فرسه على أقبح حال، ولزم الفراش أياماً أخر، ووجد في نفسه خفة، وبلغه القول - أيضاً - فلبس ثيابه وركب فرسه وخرج من داره وبين يديه مماليكه على خيولهم، وسير حتى وصل إلى ساحل بولاق، وعلى رأسه تخفيفة كبيرة وعليه سلاري وشق، ورأيته ذلك اليوم بالجزيرة الوسطى وسلمت عليه فلم أر فيه أثر ضعف؛ لأن وجهه كان قديماً أصفر، وهو أجرود، وفي حنكه شعيرات قليلة، قلت: هذا هو على حاله. ثم عاد إلى بيته ولم أدر ما وقع له، غير أني ركبت بعد أيام قليلة إلى سوق الخيل، فقال لي شخص: خيربك مات، فظننته يستفهم مني حاله، فقلت: لا، بل طيب، ورأيته طاب وركب الفرس وسير. فبينما أنا أحادثه، قبل تمام الكلام تحرك جماعة من الأمراء الوقوف بسوق الخيل، فالتفت فإذا بنعشه قد خرج من باب داره، فسرت نحوه مسرعاً حتى وافيت نعشه وقد وصل إلى مصلاة المؤمني، فصلى عليه ودفن بالصحراء من يومه.

ومات قهراً على رغم أنفه ، واستراح وأراح ؛ لأنه كان لا ذات ولا أدوات ، ولا دين // ولا دنيا ، وأنعم بإقطاعه على الأمير قانم التاجر . [٣٥٨]

(٧) وتوفي الشيخ الإمام الأديب الفقيه شمس الدين محمد بن حسن بن

---

(١) في « أ » : « طرفي » .

علي النواجي[1] الشافعي الشاعر المشهور ، في يوم الأربعاء سادس عشرين جمادي الأولى بداره بالقاهرة .

ومولده بقرية نواج بالغربية، بالوجه البحري، من أعمال القاهرة، سنة ثمان وثمانين وسبعمائة، ونشأ بالقاهرة، واشتغل وقرأ ودأب وسمع الحديث الكثير حتى برع في العربية والأدب، وقال الشعر الفائق الرائق، ومدح الأكابر، وكتب الكثير بخطه، وقرأ بنفسه، واستجاز وأجاز، واستجزته أنا في استدعاء ، فكتب إليّ بعد أن عدد مسموعاته وأسماء مشايخه يقول:

لك الله المهيمن كم أبانت   خلال اليوسفية عن معال
وسقت حديث وصلك عن يراع   تسلسل عنه أخبار العوالي

[الوافر]

قلت : وأنشدني الشيخ شمس الدين - المذكور - كثيراً من شعره لطول تردداه إليّ في مدة السنين ، فمن ذلك قوله :

طلبت وصاله فدنا لحربي   يهز من القوام اللدن رمحا
وسل من اللواحظ مشرفياً   ليضرب ، قلت: لا بالله صفحا

[الوافر]

ومن ذلك قصيدة يمدح النبي - ﷺ - منها:

لله كم في حي ليلى فتاه   شاهدها المضني عيانا فتاه
غزالة الحسن ولكنها   تقنص باللحظ أسود الشراه
لو برزت للشمس في ضحوها   لفت حياء وجهها في ملاه

---

(1) له ترجمة في : ابن تغري بردى : الدليل الشافي ج ٢ ص ٦١٥ - ٦١٦ تر ٢١١٤، المنهل الصافي مج ٣ ق ٩٨ أ - ٩٩ أ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٧، السخاوي . الضوء اللامع ج ٧ ص ٢٢٩ - ٢٣٢ تر ٥٧١، السيوطي. نظم العقيان ص ١٤٤ - ١٤٨ تر ١٤٤، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٢٤ - ٣٢٥.

ومـا رنت للبـدر إلا لكي | تبصـر منه وجههـا في مـراه
قـد حير النظام من ثغرهـا | در أجـاد الجـوهـري منتقـاه
وزان طرس الخد صدغان قد | زاداه حسناً عندمـا رق ماه
يـا من لصب في مبادي الصبا | قـد بلغ العشق بـه منتهـاه
شب هـواه إذ مضى عمـره | وشاب وجداً رأسه في صباه
كـالقلم المشوق وهنـا فـما | زال بـه السقـم إلى بـراه
// مضني معنى القلب ما قصده | إلا لمى ثغـر حبيب وفـاه [٣٥٩]
أو شفـة تشفى جـواه عسى | تـروي أحاديث هـواه شفـاه
حاشاه يصحو من هوى بعدما | قد ملأ الوجد شجوناً حشاه
يا كعبة الحسن البـديع التي | لنحـوهـا تسجـد غـر الجبـاه
يا ربة [١] الخدر ومن سترها | أسبل فوق الخلق طراً غطاه
ويـلاه إن مت غـرامـاً ومـا | رشفت من ريقك ماء الحياه
وكيف يخشى الموت من موته | في حب من يهواه أقصى مناه
مـستـسلماً لله مـستـشـفـعـاً | بالمصطفى الهادي رسول الإله
صفوة باري الخلق كهف النهى | عصمة دين الحق ذخر العصاه
غيث ندى الأفضال بحر العطا | معـدن در الجود كنـز العفاه
مـن خـصــه الله بـقــرآنــه | فضـلاً وبالسبـع المثاني حباه
أرســل للخلق شفيعـاً فعم | الإنس والجن جميعـاً دعـاه
وفـاه بـالحـق فـلله مـن | حقق معنى قـوله واقتفـاه [٢]
فشد أزر الدين واستوسق الشر | ع وزدت بـعــد فصـم عـراه
وانجاب غيم الشك عن غيهب الـ | شـرك وجـلى بهـداه دجـاه
لله مــا أولاه لـلبــر مــن | بر يفوق البحر جوداً عطـاه
أغــر وضـاح جبـين كـريم | الأصـل سهل حسن ملتقـاه

[السريع]

وهي أطول من هذا، حذفنا أكثرها خشية الإطالة والملل.

---

(١) في «أ»: يا ربت.

(٢) في هامش «أ»: «وقت فاه».

ومن نظمه اكتفاء بحرف مع بديع التورية:

خليلي هذا ربع عزة فاسعيا إليه وإن سالت به أدمعي طوفان
فجفني جفا طيب المنام وجفنها جفاني، فيالله من شرك الأجفان

[الطويل]

ومن نظمه - أيضاً - قوله:

لئن أفرطت في حسن ابتدائي ورمت تخلصي يوم الزحام
فبالمختار أرجو عفو ربي ليرشدني إلى حسن الختام

[الوافر]

واستوعبنا كثيراً من شعره في ترجمته في تاريخنا المسمى بالمنهل الصافي، فمن أراد ذلك فليراجعه، لأن التاريخ المذكور جدير بالتطويل، لأنه بصدد ذكر التراجم// خاصة، بخلاف هذا الكتاب، فإنه محل ذكر الحوادث، وهو جدير بالاختصار على العادة، والله الموفق بمنه وكرمه. [٣٦٠]

(٨) وتوفي الشيخ المعتقد محمد المغربي المجذوب[1]، في صبيحة يوم الجمعة خامس جمادي الآخرة، ودفن من يومه قبل صلاة الجمعة، وصلى عليه بمصلاة باب النصر - أحد أبواب القاهرة - ورسم السلطان الملك الأشرف إينال أن يدفن الشيخ محمد هذا في تربته التي أنشأها بالصحراء خارج باب النصر بجوار تربة كوكاي، فدفن بها.

وكان الشيخ محمد مقيماً على قاعدة البغاددة تحت الساباط تجاه الربع المعروف قديماً بدار الجوالي بالقرب من جامع الحاكم داخل باب النصر، (و) أقام في الموضع المذكور سنين طويلة، ومن عمري أعرفه هناك لا يتحرك صيفاً ولا شتاء، ليلاً ولا نهاراً، وهو جالس على مكان عال، وتحته حجارة مرصوصه، والناس تأتيه بالمآكل والمشرب، وله أناس تخدمه، وللناس فيه اعتقاد كبير، وكنت أزوره على بعد، لدناسة مكانه وثيابه، فإن حاله كان حال المجاذيب.

وذكر بعض الناس أنه ظهر له بعض ما يدل على الصلاح، غير أنني بلغني أنه وجد بعد موته مكان جلوسه جملة كبيرة من الفضة والذهب، نحو خمسة

---

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٧ - ١٧٨، السخاوي. الضوء اللامع ج ١٠ ص ١٢٥ تر ٥٢٣، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٢٥.

وعشرين ألف درهم، فهذا من العجائب؛ لكونه كان من المجاذيب المستغرقة، ويعرف تحصيل الدراهم .

قلت: لعله كان يحب الجمع بالطبع على قاعدة المغاربة، والله أعلم.

(٩) وتوفي القاضي الرئيس صلاح الدين محمد المعروف بابن السابق الحموي[١] الشافعي - كاتب سر دمشق - بها بطالاً بعد مرض طويل ، في يوم الأحد ثامن عشرين جمادي الآخرة ، عن أربع وثمانين سنة.

ومولده بحماه، وبها نشأ في الرياسة إلى أن ولي في أوائل الدولة الظاهرية جقمق كتابة سر حلب، ثم نقل إلى كتابة سر دمشق، فباشرها سنين عديدة، وشكرت سيرته وحمدت طريقته، إلى أن عزل بقطب الدين محمد الخيضري في سنة سبع وخمسين ، فلزم داره مكباً على العبادة والانقطاع عن الناس ، إلى أن توفي بدمشق في التاريخ المذكور .

وكان من محاسن الدنيا ، لما اشتمل عليه من الحشمة والرياسة والتواضع والبشاشة والدين ، مع حسن الشكل - رحمه الله تعالى .

وخلف ولداً نجيباً.

(١٠) وتوفي محب الدين محمد ابن الشيخ العلامة // زين الدين أبي [٣٦١] بكر ابن عمر بن عرفات القمني[٢] الشافعي ، في يوم الاثنين رابع عشر رجب - رحمه الله تعالى.

(١١) وتوفيت خوند شاه[٣] زاده بنت الأمير أرخن بك بن محمد كرشجي بن يلدرم بايزيد بن عثمان ، الرومية الأصل والمولد ، المصرية الدار والمنشأ والوفاة - في أواخر شهر رجب.

---

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٨ ، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٢٥ - ٣٢٦.

(٢) هو « محمد بن أبي بكر بن عمر بن عرفات » ، له ترجمة في :
ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٨ ، السخاوي. الضوء اللامع ج ٧ ص ١٨٧ - ١٨٨ تر ٤٤٢.

(٣) لها ترجمة في : ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٨ .

وكانت قدمت مع أخيها سليمان من بلاد الروم إلى الديار المصرية، فأكرمها الملك الأشرف برسباي وأنزلها بقلعة الجبل في الدور السلطاني سنين إلى أن حسن بعض الأروام لمتولي تربيتها الهرب بهما إلى بلاد الروم واستعدوا لذلك، وحضر شيني إلى ثغر رشيد مشحون بالزاد والمقاتلة لأخذهم في الباطن، وفي الظاهر في زي التجار، ولا زال اللالا يترقب الفرصة حتى أمكنه ذلك، وأخذهما من وسط القلعة وذهب بهما إلى الثغر المذكور، ولم يبق إلا نزولها في الشيني وسفرهما. وكان عند نزولها بلغ السلطان الملك الأشرف ذلك، فعظم عليه هروبها على هذا الوجه، فإن مراد بك بن عثمان متملك بلاد الروم أرسل إلى الأشرف يطلبها غير مرة، فامتنع الأشرف من إرسالها لئلا يقتل سليمان هذا خوفاً على مملكته على جاري عادتهم من قتل أخوتهم وأقاربهم، وكان ابن عثمان يخاف من سليمان هذا ليأخذه أعداؤه ويقاتلونه به، فوقع ذلك من غير رضا الأشرف، وصار الأشرف متحيراً؛ هل الذي أخذهما من أعداء ابن عثمان أم مكيدة من ابن عثمان حتى يظفر بسليمان هذا وأخته شاه زاده المذكورة؟ فندب الأشرف في الحال عسكراً من خاصكيته في أثر القوم إلى أن أدركوهم بثغر رشيد وقد منعوا من السفر لعدم الريح، فوقع بين الطائفتين قتال عظيم انتصر فيه عسكر السلطان، وأخذت الأروام وسليمان وأخته شاه زاده المذكورة، وعادوا بالجميع إلى الديار المصرية، فأبدع الملك الأشرف في الأروام، وقتل منهم جماعة، وقطع أيدي جماعة كبيرة، وأعاد سليمان وأخته هذه إلى مكانها، إلى أن مات سليمان بالطاعون في سنة إحدى وأربعين.

وأما شاه زاده هذه، فإنها لما كبرت أراد تزويجها ببعض أكابر الأمراء لكونها من أولاد الملوك، ثم تزوجها هو، ودامت عنده من جملة الخوندات مدة يسيرة، ومات الأشرف// فتزوجها بعده الملك الظاهر جقمق، واستولدها عدة [٣٦٢] أولاد، ثم طلقها بعد سنة ثلاث وخمسين، ونزلت دارها بالجودرية إلى أن تزوجها الأمير برسباي البجاسي - أحد مقدمي الألوف بالقاهرة - فدامت عنده إلى أن مرضت وطال مرضها حتى ماتت في التاريخ المذكور، وسنها نيف على ثلاثين سنة، وخلفت مالاً كثيراً من أنواع الأقمشة، من جملة ذلك: شد جبين مرصع

قيمته خمسة عشر ألف دينار مصرية ، وقس على هذا ، وخلفت من الورثة والدتها وزوجها لا غير ، مع ابن عمها محمد بك بن عثمان متملك بلاد الروم ، رحمهما الله تعالى .

(١٢) وتوفي السيد الشريف بركات[١] بن حسن بن عجلان بن رميثة، واسم رميثة محمد بن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن أبي عزيز قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله المحض بن موسى بن الحسن بن علي بن أبي طالب المكي الحسني. زين الدين ابو زهير، أمير مكة المشرفة وابن أميرها بدر الدين حسن ـ في بطن مَرّ[٢] خارج مكة، في يوم الاثنين تاسع شعبان، فحمل إلى مكة ليلاً وغسل وكفن وأخرج إلى الحرم الشريف في نعشه في يوم الثلاثاء، وطيف به أسبوعاً، وصلى عليه عند باب الكعبة، ثم دفن (بالمعلاة [٣])، وكان له مشهد عظيم إلى الغاية.

ومولده بمكة في سنة إحدى وثمانمائة، وأمه أم كامل بنت النصيح من دور عمر.

ولي إمرة مكة شريكاً لوالده ولأخيه أحمد سنة عشر[٤]وثمانمائة، ثم استقل بها في سنة تسع وعشرين وثمانمائة من قبل الملك الأشرف برسباي سلطان الديار المصرية، بعد وفاة والده بديار مصر، فدام بركات ـ المذكور ـ في إمرة مكة إلى سنة خمس وأربعين ـ عزله الملك الظاهر جقمق بأخيه علي بن حسن، فخرج بركات من مكة وتسلمها علي من غير قتال، ثم وقع بينهما بعد ذلك أمور

---

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردى . الدليل الشافي ج ١ ص ١٨٨ ـ ١٨٩ تر ٦٥٧، المنهل الصافي ج ٣ ص ٣٤٢ ـ ٣٤٦ تر ٦٥٨، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٩ ، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ١٣ ـ ١٤ تر ٥٠، السيوطي . نظم العقيان ص ١٠٠ تر ٥٩، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٢٩.

(٢) في «أ» : «مرو» .

(٣) مكان ما بين القوسين بياض في «أ»، والمثبت من النجوم ج ١٦ ص ١٧٩ .

(٤) في «أ» : «عشرة» .

ووقائع، وعزل الشريف علي بأخيه أبي القاسم بن حسن، ودام بركات نازحاً عن مكة إلى أن طلب بركات الأمان من السلطان الملك الظاهر جقمق مع ولده [٣٦٣] محمد، فأرسل إليه السلطان الأمان، فأخذه الشريف// بركات وتوجه قادماً إلى القاهرة حتى وصل إليها في شهر رجب من سنة خمسين، ونزل السلطان إلى لقائه وأكرمه غاية الإكرام، حتى إنه قام له ومشى إليه خطوات كثيرة، وجلس معه من غير مرتبة مراعاة لسلفه الطاهر، ثم أخلع عليه بإمرة مكة، ودام بركات بالقاهرة مقيماً والرواتب السنية تصل إليه إلى أن سافر يوم عاشر شعبان إلى مكة المشرفة، فدام بها إلى أن مات في التاريخ المذكور، وتولى بعده إمرة مكة ولده محمد، على أنه يحمل إلى الخزانة الشريفة خمسين ألف دينار على نقدات متفرقة، على طول.

وكان الشريف بركات رجلاً طوالاً حسن الشكل، عادلاً في أحكامه، مدبراً سيوساً شجاعاً مقداماً، وفيه سكينة، وعليه حشمة ووقار، وخلف شيئاً كثيراً من المواشي والسلاح، فكان ما خلفه من النقد نحو ثلاثين ألف دينار، ومن النياق الخاص نحو عشرة آلاف ناقة، ومن الخيل نحو ستمائة فرس، ومن السلاح والخيم والأغنام والقماش شيئاً كثيراً.

ومات وهو أرأس بني عجلان بلا مدافعة، عفا الله عنه.

(١٣) وتوفي الأمير سيف الدين جانبك بن عبد الله الشمسي[١] المؤيدي - أحد أمراء الطبلخانات بدمشق - في أواخر ذي القعدة أو في أوائل ذي الحجة بدمشق.

وكان أصله من مماليك الملك المؤيد شيخ، اشتراه في أيام أتابكيته، وترقى من بعده حتى صار من أمراء طرابلس، ثم ولي حجوبية حجاب حلب، ثم عزل وتوجه إلى دمشق، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه بها إلى أن مات في التاريخ المذكور، وكان قد قدم إلى الديار المصرية غير مرة.

ولم يكن من أعيان الأمراء لتعرف أحواله، وأنعم بإقطاعه على ألماس

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٩، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٥٧ تـر ٢٢٩

الأشرفي أحد أمراء حلب ودوادار السلطان بها.

(١٤) وتوفي الشيخ الإمام العالم العلامة محب الدين محمد ابن الشيخ الإمام العالم العلامة زادة أحمد بن أبي يزيد بن محمد السيرامي[١]، الحنفي، المصري المولد والمنشأ، المكي الوفاة، المعروف بابن مولانا زاده.

مولده بالديار المصرية في شهور سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، ونشأ بالقاهرة، وحفظ القرآن العزيز وعدة مختصرات، وتفقه بمشايخ عصره كالعلامة عز الدين محمد بن جماعة، وقاضي القضاة شمس الدين البساطي وغيرهما من علماء عصره، إلى أن برع في الفقه والأصلين والعربية والمعاني والبيان وعلم الحديث، وتصدر للتدريس، وتولى عدة وظائف جليلة من التصديرات وغيرها// [٣٦٤١] كتدريس الصرغتمشية والجانبكية والأيتمشية والمارداني، وتدريس الحديث بالمؤيدية، وانتفع به الطلبة كثيراً إلى أن طلبه الملك الأشرف برسباي في حدود سنة ثلاثين وولاه إمامته، ونالته بذلك السعادة والشهامة، وباشر ذلك إلى صدر من دولة الملك الظاهر جقمق، ثم استعفى وأكب على العبادة والإشغال والتدريس، ثم طلبه الملك الأشرف إينال في أوائل دولته، واستقر به إماماً على ما كان، فباشر مدة يسيرة امتثالاً للمرسوم، ثم استعفى ولزم داره على الحالة الأولى من الإقراء والتدريس والعبادة إلى أن حج، (و) تجهز للحج في هذه السنة [٢]، وهي غير حجة الفرض، لأنه حج قبلها غير مرة، فمرض بالبطن في أثناء الطريق بالقرب من مكة، وطلب من أمير الحاج أن يرسله في أناس ليسرع إلى دخول مكة ففعل، واجتهد إلى أن وصل إلى مكة المشرفة قبل الحاج بأيام، فطاف طواف القدوم وسعى، ودام محرماً إلى أن مات في يوم الجمعة ثالث ذي الحجة الحرام على حسب ما أرخوا[٣] بمكة، ورابع ذي الحجة على حسب ما أرخوا[٤] بديار مصر.

---

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨٠.

(٢) أي سنة تسع وخمسين وثمانمائة من الهجرة.

(٣) في الأصل: «ورخوا».

(٤) نفسه.

وكان ـ رحمه الله ـ فقيهاً إماماً ، عالماً بارعاً ، مفنناً ، ذكياً ، ديناً خيراً ، من بيت علم وفضل ورياسة . وهو ابن أخت العلامة أمين الدين يحيى الأقصرائي ، والشيخ بدر الدين الأقصرائي .

وكان بيني وبينه محبة أكيدة ومودة وصداقة قديمة . وبالجمد كان من محاسن الدنيا : ديناً، وعفة، ومروءة، وهمة عالية، وعد ية، وشهامة ـ رحمه الله تعالى وعفا عنه .

(١٥) وتوفي الأمير سيف الدين أقبردي[١] بن عبد الله الساقي الظاهري ـ نائب ملطية ـ بها يوم الخميس خامس عشرين ذي الحجة، وحمل من ملطية إلى حلب فدفن بتربته التي عمرها بها. ومات وسنه نحو ثلاثين سنة تخميناً.

وأصله من مماليك الملك الظاهر جقمق، اشتراه في سلطنته وجعله في الأطباق مع مماليكه الجلبان إنيًّا لقاني باي الجاركسي، حتى جعله خاصكياً، ثم ساقياً، كل ذلك في مدة يسيرة من السنين، ثم ندبه إلى إمرة بحلب تتعلق بالسلطنة، فلما وصلها بعث إليه خلعة بنيابة قلعة حلب دفعة واحدة، وهو ماطِرٌ شاربه ، فدام في نيابة قلعة حلب سنين إلى أن نقله الملك الأشرف إينال إلى أتابكية حلب في سنة ثمان وخمسين بعد الأمير سودون القرماني، بحكم توجه سودون ـ المذكور ـ إلى أتابكية طرابلس، ثم قدم آقبردي إلى القاهرة في السنة المذكورة وأقام بها مدة، ثم خلع عليه وتوجه إلى حلب، وأقام بها إلى أن نقل في سنة تسع وخمسين إلى نيابة ملطية، فتوجه إليها ودام بها إلى أن مرض في أثناء السنة ، ومات بها في التاريخ المذكور .

وكان عفيفاً، عاقلاً، ساكناً، بالنسبة إلى أبناء جنسه، رحمه الله تعالى.

* * *

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨٠ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٢ ص ٣١٥ تر ١٠٠٤ .

سنة ستين وثمانمائة

استهلت هذه السنة وسلطان الديار المصرية الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر إينال العلائي الظاهري ثم الناصري، والخليفة المستنجد بالله أبو المحاسن يوسف، والقاضي الشافعي قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني، والحنفي قاضي القضاة سعد الدين ابن الديري، والمالكي قاضي القضاة ولي الدين محمد السنباطي، والحنبلي قاضي القضاة عز الدين أحمد الكناني، والأمير الكبير تنبك البردبكي الظاهري برقوق، وأمير سلاح خشقدم من ناصر الدين المؤيدي، وأمير مجلس طوخ من تمراز الناصري، والأمير // آخور الكبير جرباش [٣٦٥] المحمدي المعروف بكرد، والدوادار الكبير يونس السيفي آقباي المؤيدي نائب الشام، وحاجب الحجاب جانبك القرماني الظاهري برقوق، ورأس نوبة النوب قرقماس الأشرفي المعروف بالجلب وبقريب الملك الأشرف برسباي، وبقية مقدمي الألوف المقام الشهابي أحمد ولد المقام الشريف، وهو رأس ميسرة، وبرسباي السيفي تنبك البجاسي، ويونس العلائي الناصري، وقانم من صفر خجا المؤيدي المعروف بالتاجر.

ومباشرو الدولة: كاتب السر القاضي محب الدين محمد بن الأشقر، وناظر الجيش والخاص جمال الدين يوسف بن كاتب جكم، وإليه أمر المملكة وتدبيرها، والوزير فرج بن النحال القبطي، والأستادار الأمير زين الدين يحيى الأشقر قريب ابن أبي الفرج.

ونواب البلاد الشامية: نائب الشام قاني باي السيفي سودون الحمزاوي

الظاهري، ونائب حلب جانم الأمير آخور قريب الملك الأشرف برسباي، ونائب طرابلس حاج إينال السيفي يشبك الجكمي الأميرآخور، ونائب حماه إياس الطويل الناصري، ونائب صفد جانبك التاجي المؤيدي، ونائب غزة خيربك السيفي نوروز الحافظي، ونائب الكرك يشبك طاز المؤيدي، ونائب ملطية الأمير آقبردي الساقي الظاهري جقمق، ونائب أبلستين ملك أصلان بن حمزة بك بن ناصر الدين بك بن دلغادر، وبقية نواب القلاع بالبلاد الشامية والسواحل والقدس والرملة فكثير، والعمدة على ما ذكرنا.

ونائب الإسكندرية جانبك النوروزي المعروف بنائب بعلبك. . .[١] وأمير مكة المشرفة الشريف محمد بن بركات الحسني، وأمير المدينة النبوية الشريف زبيري بن قيس الحسيني، وأمير الينبع الشريف هجان بن محمد.

وملوك الشرق التتار مع خانات ثلاثة: محمد خان الكبير، ومحمد خان الصغير، وأبو الخير. وممالك العجم والعراقين، فملوك ما وراء النهر والعجم أولاد باي سنقر بن شاه رخ بن تيمور، وهم: بابور صاحب سمرقند، وعلاء الدولة، وأعظمهم بابور، وصاحب العراقين: عراق العرب وعراق العجم وأذربيجان وغيرها جهان شاه بن قرا يوسف بن قرا محمد، وقد اتسعت ممالكه من حدود أرزن إلى شيراز.

[٣٦٦] وأما ديار بكر ففيها عدة ملوك كثيرة، أشهرهم // وأجلهم الملك العادل خلف الأيوبي صاحب حصن كيفا ـ وقد ملكها في العام الماضي ـ وجهان كير بن علي بك بن قرايلك صاحب ماردين، وأخوه الشيخ حسن بن علي بك صاحب آمد وغيرها، وعدة ملوك أخر، كل واحد منهم مستقل بعدة قلاع.

وبلاد الروم بها ملوك ثلاثة، أعظمهم وأجلهم خوندكار محمد بك بن مراد بك بن عثمان صاحب برصا وأدرنا بولي وما والاهما إلى إسطنبول، وإسماعيل بن إسبنديار متملك طرف من بلاد الروم إلى البحر الغربي، وسلطان إبراهيم بن محمد بن قرمان صاحب قونية ولارندة وغيرهما.

---

(١) بياض في نهاية السطر السابع عشر وبداية الثامن عشر من نسخة «أ».

وملوك الغرب كثير، فالمشهور منهم السلطان عثمان بن أبي عبد الله بن أبي فارس بتونس، والسلطان عبد الحق بن أبي سعيد المريني بفاس، والسلطان أحمد بن أبي حمو بتلمسان .

المحرم

أوله الخميس .

في يوم الاثنين خامسه نزلت المماليك السلطانية الجلبان من أطباقهم بالقلعة إلى بيت الوزير فرج بن النحال ونهبوا ما فيه ، وكأنه كان قد حس بالأمر ، فلم يجدوا إلاّ شيئاً يسيراً ، فخرجوا من داره ونهبوا جماعة كبيرة من جيرانه ، فأضرّ ذلك بحال المذكورين إلى الغاية ، وكل ذلك لعجزه عن القيام بالكلف السلطانية .

وفي يوم الأربعاء حادي عشرينه ورد الخبر بموت الأمير آقبردي الساقي الظاهري نائب ملطية، واستقر عوضه في نيابة ملطية الأمير جانبك الجكمي نائب طرسوس، وكان وليها قبل ذلك، واستقر في نيابة طرسوس آقباي السيفي جار قطلو أحد أمراء دمشق. وكان آقباي - أيضاً - ولي نيابة طرسوس قبل ذلك.

وفي يوم الخميس ثاني عشرينه وصل الناصري محمد بن جرباش المحمدي الأمير آخور الكبير المعروف بكرد أمير حاج [الركب] الأول بالركب الأول من الحاج، وأخلع عليه السلطان على العادة، وقدم من الغد أمير الحاج بالمحمل، وهو بردبك البجمقدار الظاهري جقمق أحد أمراء الطبلخاناه ورأس نوبة، وأخلع عليه - أيضاً - ولم تحمد سيرة بردبك المذكور في الحاج، ولم يحج أحد في هذه السنة من المغاربة والتكاررة لما وقع بهم في العام الماضي من النهب والأسر من قطاع الطريق - حسبما ذكرناه في السنة الماضية في محله - وأيضاً لم يحج أحد من العراق في هذه// السنة ولا الماضية خوفاً من الأعرابي المسمى بالشعشاع. [٣٦٧]

وشعشاع هذا له أزيد من عشرين سنة يدعو للقيام معه، ويزعم أنه شريف، وأنه المهدي، واجتمع عليه خلائق كثيرة، وعجز عنه ملوك الشرق، وهو أنه متى قصدوه بالعساكر هرب في مراكب واختفى بالجزائر، وليس له دأب

إلّا هذا مع قطع الطريق وإخافة السبيل، وقتل من ظفر به من أهل السنة، وهو شيخ كبير رافضي خبيث، بل كافر لا يقتدى بدين، وقيل: إنه مات، والقائم بهذا الأمر بعده، يأتي تحرير ذلك في أول سنة إحدى وستين وثمانمائة.

وكان أمير حاج دمشق في هذه السنة الأمير علان المؤيدي المعروف بجلق أحد مقدمي الألوف بدمشق، وأمير حاج حلب الأمير يشبك: البجاسي الأشرفي إينال أحد مقدمي الألوف بحلب.

صفر

أوله الجمعة.

في يوم الأربعاء ثالث عشره أخرق المماليك الجلبان بعظيم الدولة الصاحب جمال الدين يوسف بن كاتب جكم ناظر الجيش والخاص، وأخذوا عمامته من على رأسه حتى نجده مقدم المماليك مرجان ونائبه عنبر الطنبدي، فأخرقوا بالمذكورين ـ ايضاً ـ واشتغلوا بهم، فهرب ناظر الجيش المذكور.

وسبب هذا الأمر أن شخصاً من الدوادارية الصغار يسمى سنقر قرق شبق ضرب بعض إنيّاتِه الذين بالأطباق، فاجتمع عليه بقية إنياته عصبة للمضروب، وأرادوا قتله، فهرب منهم واشتكاهم إلى السلطان، فأحضر السلطان منهم جماعة وضربهم ضرباً مبرحاً، فنزلت أصحابهم من الأطباق ووقفوا عند باب القلعة، فصادف ذلك خروج ناظر الجيش ـ المذكور ـ من الخدمة، فأوقعوا به من غير سبب.

ثم أصبح في يوم الخميس رابع عشره هرب الوزير فرج بن النحال، ولم يحمل في ذلك اليوم أحد رواتب اللحم المقرر للمماليك السلطانية القرانيص ـ أعني غير الجلبان ـ وطلع غلام كل واحد أو عبده لأخذ راتب أستاذه من اللحم فلم يجد شيئاً، وبلغهم أن المماليك الذين بالأطباق حضروا وأخذوا رواتبهم[1]، فعز ذلك على الغلمان والعبيد ونزلوا من فورهم من القلعة، وعاثوا بشوارع القاهرة، ونهبوا عدة حوانيت، حتى وصلوا إلى سوق أمير

---

(١) في «أ»: «الذين بالأطباق حضر رواتبهم».

الجيوش بقرب باب الفتوح ، ولم يمنعهم مانع ، ثم عادوا بعد أن خطفوا عدة عمائم وشدود وغير ذلك ، فكان ذلك أقبح من // فعل المماليك بكثير ، ولم [٣٦٨] نعهد بمثل هذه الحادثة في سائر الأعصار.

وطلع الوزير فرج من اختفائه في يوم الأحد سابع عشره، وأخلع عليه كاملية سمور - خلعة الاستمرار على الوزر - بعد أن عمل له دائرة على جماعة من الأعيان حصل فيها جملة كبيرة، وزاده السلطان من الذخيرة حتى صار له في كل يوم أربعين ألف درهم يأخذها من الذخيرة، كل ذلك وهو يظهر العجز، هذا مع ما للدولة من الإقطاعات والمكوس، وأيضاً مع الظلم وقبح السيرة وعدم التجمل في أموره وحواشيه، حتى إنه يسير في الوزر كسير أولاد الأقباط، وما أظن ذلك كله إلّا كذباً وبهتاناً[١] .

وفي يوم الخميس حادي عشرينه أمر السلطان الأمير يونس العلائي - أحد مقدمي الألوف - أن يخرج إلى المنصورية بالجيزية، لحفظ خيول السلطان والعساكر من عرب البحيرة الخارجة عن الطاعة، فخرج من يومه إلى المنصورية، وأقام بها، وألزم السلطان - أيضاً - جماعة من الأمير آخورية بالتوجه إلى بر الجيزية والإقامة بها لهذا المعنى.

شهر ربيع الأول

أوله الأحد، ويوافقه ثالث عشر أمشير.

في أوائل هذا الشهر ارتفع سعر الغلال، حتى أبيع القمح بمائتين وسبعين درهماً الإردب ، بعد أن كان بمائة وعشرين الإردب ، وعز وجوده بساحل مصر وبولاق ، وأبيع الشعير والفول بمائة وسبعين درهماً وما دونها ، وليس لهذه الزيادة في سعر المغل سبب؛ فإن الزروع كثيرة والأراضي مغلقة بالزرع، وهي في نتاج، وقد قرب أوان الحصاد . غير أن البلاد الشامية ، وأيضاً جزائر الفرنج كان بها في السنة الماضية ، وأيضاً في هذه السنة غلاء وقحط ، حتى شمل ذلك جميع البلاد الشامية من العريش إلى الفرات ، فحمل الناس من غلال مصر إلى

---

(١) في «أ» : «كذب وبهتان» .

الجهات المذكورة شيئاً كثيراً في البر والبحر بسبب التجارة ، وأمعنوا في ذلك ، حتى إنهم حملوا من مغل ديار مصر إلى هذه البلاد مئين ألوف من الأرادب ، فضر ذلك بحال الناس ، فهذا هو كبير الأسباب ، وأيضاً تداول الهواء[1] المريسي[2] في هذه السنة.

أخبرني من أثق بقوله أنه حدثه شخص من رؤساء المراكب ببحر النيل، ويسمى محمد الصلف وسنه نيف على ثمانين سنة: أن له في رياسة البحر فوق ستين سنة // وما رأى الريح المريسى تداول هبوبه أكثر من ستين يوماً غير في [٣٦٩] هذه السنة . فلهذا قل الواصل من المراكب بساحل مصر وبولاق .

وفي يوم الأحد ثامنه عمل السلطان المولد النبوي بالحوش من قلعة الجبل على العادة.

(و) فيه أمطرت القاهرة وغالب قراها كالمطر المعتاد في كل سنة، وسر الناس بذلك، فلما كان من الغد ورد الخبر بأنها أمطرت حصىً على عدة بلاد من القليوبية من ضواحي القاهرة، زنة الواحدة خمسون درهماً بالمصري وما دونها، فأهلكت زروعهم عن آخره، وكان ذلك ببلاد يسيرة مثل نوي وسنديون ونامول وغيرها. وأما باقي بلاد القليوبية وغيرها فإنهم انتفعوا بالمطر كما هي العادة.

وبلغني ـ أيضاً ـ أن هذا المطر الحصي، وهي البرد الذي أمطر على الناس المقدم ذكره قتل جماعة من الناس بالقرى المذكورة، لكنني لم أثق بقول القائل ولا أستبعد ذلك.

وفي يوم الأربعاء حادي عشره غيب الوزير فرج بن النحال، وأصبح من الغد في يوم الخميس طلع العبيد موالي أرباب الرواتب لأخذ اللحم، فلم يجدوا الوزير ذبح شيئاً ولا طلع في اليوم المذكور رطلاً من اللحم لجميع المماليك الجلبان والقرانيص، فنزلوا العبيد والغلمان إلى شوارع القاهرة وفعلوا بها

---

(١) في «أ»: الهوى.

(٢) الريح أو الهواء المريسى نسبة إلى «مريسْ»، أدنى بلاد النوبة مما يلي أسوان. راجع ابن منظور. لسان العرب ص ٤١٨٠.

أضعاف ما فعلوه في تلك المرة، وأخذوا عمائم الناس من على رءوسهم وشدودهم من على أكتافهم، وأفحشوا غاية الإفحاش.

وأصبحوا يوم الجمعة الحال بالحال، لم يطلع إلى القلعة من رواتب اللحم شيء[1]، ولم تأكل المماليك فيه إلاّ فول حار، فاستغاثت المماليك وأرادوا الوثوب والنزول مع العبيد، فمنعوهم بغلق باب القلعة، ونزلت العبيد على عادتهم وعاثوا بالشوارع حتى وصلوا إلى باب اللوق، فقاموا عليهم أهل باب اللوق وقاتلوهم حتى هزموهم أقبح هزيمة وضربوهم وعروهم، فعادوا على أقبح وجه.

ثم ظهر الوزير فرج في آخر يوم الجمعة المذكورة، وطلع إلى القلعة يوم السبت رابع عشره، فخلع عليه السلطان كاملية بسمور ـ خلعة الاستمرار في الوزر ـ بعد أن أضاف السلطان إليه جميع المسامیح التي[2] للأمراء وغيرهم الذين[3] كان لهم المكوس والمذابح والإقطاعات، ومتحصل // ذلك شيء كثير، حتى [٣٧٠] صار بهذا الذي أضيف إليه يحمل إليه في اليوم خمسة وسبعون ألف درهم تفصيلها: من الذخيرة أربعون ألف درهم، الذي كان يأخذها قبل ذلك، ومن هذا الوجه الذي ذكرناه من المسامیح خمسة وثلاثون ألف درهم، هذا غير إقطاعات الدولة وحماياتها والهوائيات من المواريث والمكوس وغير ذلك، وهو مع هذا كله يتشكى ويقول: أحمل في كل يوم ثمانية عشر ألف رطل لحم غير الصرر والكلف السلطانية من الأسمطة والإسطبلات السلطانية وغير ذلك. وهو يكذب في شكواه ودعواه، غير أنه كما قاله الله عز وجل: ﴿فاستخف قومه فأطاعوه﴾ (٥٤: الزخرف).

ثم إن السلطان لما أضاف له ذلك هدده إن هرب أو عجز بعد ذلك بالتوسيط. قلت: اللهم ثبت مولانا السلطان على قوله، فإن فرج المذكور يعجز عن قريب ويطلب الزيادة، فإنه بورك له في الشكوى، وتكون القاصية عليه إن شاء الله تعالى.

---

(١) في « أ »: « شيئاً ».
(٢) في « أ »: « الذي ».
(٣) في « أ »: « الذي كان لهم ».

وفي يوم الخميس تاسع عشره أخلع السلطان على شادبك دوادار الأمير جلبان نائب الشام - كان - باستقراره في دوادارية السلطان بدمشق، عوضاً عن خشكلدي الزيني عبد الرحمن بن الكويز، بحكم انتقال خشكلدي إلى دوادارية السلطان بحلب، بعد موت محمد والي الحجر قبل مباشرته دوادارية حلب، وشادبك هذا هو الذي صودر بعد موت أستاذه وأخذوا منه جملاً كثيرة، فلما عرف شادبك المذكور أن القوم تحققوا كثرة ماله، علم أنه لا بد له من وزن المال في كل قليل بمندوحة سعى في الدوادارية وبذل فيها حتى وليها، واستراح من الطمعة فيه وفي ماله - انتهى.

وفي يوم الثلاثاء رابع عشرينه أخلع السلطان علي فخر الدين المعروف بابن السكر والليمون، المعزول عن نظر ديوان المفرد قبل تاريخه باستقراره ناظر الدولة، وكانت وظيفة نظر الدولة شاغر (ة) من مدة أشهر.

شهر ربيع الآخر

أوله الاثنين.

فيه رخص سعر سائر الغلال حتى أبيع القمح بمائتيّ درهم الإردب وما دونها، وأبيع الفول والشعير بمائة وخمسين درهماً الإردب وما دونها، ولله الحمد.

[٣٧١] وفي العشر الأول من // هذا الشهر عيّن السلطان جماعة من الأمراء وصحبتها جماعة كبيرة من المماليك السلطانية للسفر إلى الجون في البحر بسبب مجيبته الأخشاب، وغزو الفرنج إن صدفوهم في طريقهم.

وفي أوائل هذا الشهر أخذ السلطان الربعين والحوانيت التي[1] بسوق الدجاجين[2] بالقاهرة من عند حمام البيسري[3] إلى تجاه جامع الوزير أبي عبد

---

(١) في « أ »: « الذي ».

(٢) سوق الدجاجين: كانت سوقاً لبيع مختلف الطيور في شارع الأمشاطية بالقرب من الجامع الأقمر.

راجع المقريزي. الخطط ج ٢ ص ٩٦، علي مبارك. الخطط ج ٢ ص ٨٨.

(٣) نسبة إلى الأمير « بيسري الصالحي النجمي » (ت ٦٩٨ هـ)، وكانت تقع أول شارع السمك.

راجع علي مبارك. الخطط ج ٦ ج ٦٩.

الله بن البطائحي الملقب بالمأمون، وزير الآمر بأحكام الله العبيدي، المعروف بجامع الأقمر[1] ، الذي على يسرة الخارج من القاهرة إلى باب الفتوح ، استبدل السلطان جميع هذه الحوانيت والربعين بمبلغ معين ، وأذن له بعض القضاة أن يصرف المبلغ المذكور في عمارة ربع ما سيكون من العمارة التي ينشئها مكان الربعين والحوانيت المذكورة .

وحاصل الأمر أن السلطان اشترى هذه الأماكن المذكورة على أن يهدمها ويعمرها لنفسه ثانياً، ويكون لأربابها قديماً الربع في البناء الجديد، ووجد تاريخ بناء هذه الحوانيت والأرباع التي هدمت من سنة سبع وعشرين وستمائة، أعني في سلطنة الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، ووقع الهدم في هذه الأماكن المذكورة في أوائل هذا الشهر .

وفي يوم الأربعاء رابع عشرينه عرض السلطان جماعة من المماليك السلطانية ، وعيّن منهم ثمانين نفراً إلى الجهاد - أعني مضافاً لمن عين من الأمراء قبل تاريخه لسفر الجون - ووعد أنه يكملهم ثلاثمائة مملوك في عرض آخر .

ثم في يوم الأحد ثامن عشرينه عرض السلطان - أيضاً - المماليك السلطانية ، وعين منهم جماعة أخر مضافاً لمن تقدم ذكره .

وفيه عيّن جماعة من أمراء العشرات مع هؤلاء المذكورين أيضاً.

جمادى الأولى

أوله الأربعاء.

في يوم الخميس ثانيه أبطل السلطان العرض، وسفر الأمراء والمماليك المعينة قبل تاريخه لسفر الجون، وسببه أن المماليك والأمراء تكلموا بأن هذا السفر ليس هو بسبب الجهاد، وإنما هو لمصالح الصاحب جمال الدين ناظر الجيش والخاص لإحضار الأخشاب من الجون، واحتجوا - أيضاً - بأن المراكب المعينة للسفر قديمة قد عتقت، ويخاف الركوب فيها من الغرق، وكثر الكلام في

(١) هذه النسبة إلى الوزير خطأ، إذ البناء تنفيذاً لأمر الخليفة الفاطمي « الآمر بأحكام الله ».
راجع المقريزي. الخطط ج ٢ ص ٢٩٠ - ٢٩٣ ، علي مبارك . الخطط ج ٢ ص ٨٦.

ذلك وأشباهه، فحسم السلطان المادة وأبطل السلطان الجهاد بالكلية، فكان هذا [٣٧٢] أعظم // وهن[1] وقع في الدولة من إشاعة الغزو ثم إبطاله .

وفي يوم الجمعة عاشره ـ الموافق لحادي عشرين برمودة، أحد شهور القبط ـ لبس السلطان القماش الأبيض البعلبكي المعد لأيام الصيف على العادة في كل سنة.

وفي يوم الاثنين ثالث عشره نودي بأمر السلطان أن لا يتوجه أحد من المماليك السلطانية في يوم السبت والثلاثاء إلى تفرقة العليق السلطاني، ومن كانت نوبته في أخذ العليق يرسل غلامه لأخذ راتبه، وكانوا قبل ذلك يتوجهون إلى بولاق إلى جهة الشون السلطانية من الليل، ويحصل بتوجههم بعض فساد منهم ومن غلمانهم في حق الناس والبيعة.

وفي يوم السبت وصل إلى القاهرة المحروسة الخواجا جمال الدين عبدالله بن القابوني، قاصد السلطان محمد بن مراد بك بن عثمان متملك بلاد الروم بعدما احتفل أهل الدولة لملاقاته، ونزل بدار الأمير قراجا الظاهري، بالقرب من الجامع الأزهر.

وفي يوم الثلاثاء حادي عشرينه طلع القاصد المذكور إلى القلعة وتمثل بين يدي السلطان ، وقبل الأرض ، وأوصل إلى السلطان كتاب مرسله وهديته ، وكانت الهدية تشتمل على ثلاثين مملوكاً أو نحوها ، وعدة كبيرة من الفراء والسمور والوشق والحرير والصوف على رءوس الحمالين من كل صنف تسعة[2] من الحمالين على قاعدة ملوك الشرق ، فإن العادة عندهم العدة تسعة تسعة .

ونص كتاب ابن عثمان المذكور:

«بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، واشترى من المؤمنين أنفسهم

---

(١) في «أ» : «وهنا» .

(٢) في «أ» : «تسع» .

وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون (ويقتلون)، والصلاة على من سن في سنائن الشرائع بسننه سنناً سنياً ، ورفع بيت الإسلام بدعائم الفطرة الخمس مكاناً علياً ، والسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً ، وعلى أصحابه الذين هم كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم صراطاً سوياً ، صلاة منتظمة بغرر درر الدوام في قلائد مغاور الليالي والأيام ، ما طلع نجم في الخضراء ، ونجم طلع في الغبراء ، زين الله سماء الجلال بكواكب مواكب إقبال ، المعيني المغيثي ، المثاغري ، المجاهدي ، // فلكي الهمم ، ملكي الشيم ، سيف الله [٣٧٣] القاطع بزمان الله القاطع، شعر:

يا من يراه ملوك الأرض فوقهم ... كما يرون على أبراجها الشهبا
وكاد يحكيه صوب الغيث منسكبا ... لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت ... والليث لو لم يصل والبحر ولو عذبا

[البسيط]

اتضحت بطبعه رقائق النعمان ، وافتضحت بأزمان لطفه شقائق النعمان .

كالبدر من حيث التفت رأيته ... يهدي إلي عينيك نوراً ثاقباً
كالبحر(١) يقذف للقريب جواهراً ... جوداً ويبعث للبعيد سحائباً
كالشمس في كبد السماء وضوؤها ... يغشي البلاد مشارقاً ومغارباً

[الكامل]

ناشراً ألوية ولاية الإسلام، محيي عظام الملوك العظام، باسط بساط جناح النجاح بأمن في الأمان ، المتلى بمصداق(٢) : ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ ، قاص قصر القياصرة ، كاسر جماجم الأكاسرة ، إمام الثقلين ، سلطان الحرمين ، قهرمان الماء والطين ، ظل الله تعالى في الأرضين ، جعل الله خيام مجده المؤيد مضروبة على سمك السماك ، وأعلام عزه الأمثل منصوبة فوق الأفلاك ، ما دارت مدارات(٣) القباب الدوارة ، وسارت ثواقب الكواكب

---

(١) ساقط من الأصل .
(٢) في « أ » : « بمنطاء » .
(٣) في « أ » : « مدرات » .

السيارة ، وأشرق شوارق مطالبه بازغة[1] مسفرة ، وأسفر مسافر مآربه ضاحكة مستبشرة ، ما مسك جرم[2] القرطاس بغالية الأقلام ، وطرز رداء نهاره بطراز الظلام ، ولا زال مصر الإقبال ، ممرعة الرياض ، بنيل شامل أفضاله ، وصل نية الآمال ، مترعة الحياض ، بنيل وابل نواله ، ما تغازل نسيم الأسحار مع أغصان الأشجار ، وركن السعادة ركيناً بأركان دولته ، ومتن السيادة متيناً بأعوان شوكته ، ما لمع آل وملع زال.

بعد إيصال تحف تحيات تقررها مصاقع الأنفس القدسية، وتصيح لها الأرواح العلويه، ويتهلل بها وجه الابتهاج. وينشرح صدر السرور، وتلألأ خلال الولاء كأنها: «شعر»:

تحية بشموم الود فائحة   كأن أذيالها حمالة العطر

[البسيط]

وغب إرسال هدايا تسليمات تقصر عدد العدد عن إحصائها، ويضيق نطاق الطاقة عن استقصائها، وتصبح أطيب من حديقة ضاحكة الخزامى والبهار، مفتوقة الأكمام والأزهار، بنسيم مهبها من جنات تجري من تحتها الأنهار «شعر»:

[٣٧٤] / / سلام، ارتدى برداء شوق   يحاكي عرفه نفثات مسك

[الوافر]

وأثر دعوات خالصة أفرغت في قالب الإخلاص، وألبست من الصدق حلة الاختصاص، مرشحة بمحيا الفلج، موشحة برياء الفرج، ترمي ظلام الخطب بالضياء، بمصداق نعم السلاح الدعاء، ينهي إلى المقام الشريف والموقف المنيف، أنه إن استكشف المولى الكريم بلطفه العميم، لا زال موفقاً بمناه فوق ما يتمناه، عن أحوال محبة المخلص، وحبه المتخصص، وعن أوضاع المجاهدين لارتفاع راية الدين، واتساع ساحة اليقين، فإننا من إبان أمرنا وريعان عمرنا، نحفد بالأحفاد الجياد، على الصافنات الجياد، إلى إراء

---

(١) في «أ»: «بازهه».

(٢) في «أ»: «حرم».

زناد الجهاد ، على ديادن[1] من آبائنا الكرام ، وشناشن[2] أسلافنا العظام ، رغبة فيما نطق به الكتاب الحكيم والقرآن الكريم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم . ذلكم خير لكم إن كنت تعلمون﴾ (١٠ ـ ١١ : الصف) ، وفيما حرّض النبي ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ حين قيل : يا رسول الله ، أي الناس أفضل ؟ قال : « مؤمن مجاهد في سبيل الله بنفسه وماله » . وقال ـ عليه الصلاة والسلام : « مثل المجاهد في سبيل الله ـ وهو أعلم بمن يجاهد في سبيله ـ كمثل الصائم القائم ، وتكفل الله تعالى للمجاهد بأن يتوفاه أو يدخله الجنة أو يرجعه سالماً مع أجر وغنيمة » .

ومن الأحوال الواقعة في حولنا هذا وما قبلها أن متملك مملكة لان المسمى بتوركي ما فتيء تصالح معنا ويتبصبص لنا ، ويظهر الصداقة، ويؤكد مع شيطانه العلاقة، ويجهز أبطال مكرهم بكيد الإنفاق، وينبذ العروة الوثقى، ويستمسك بسلسلة النفاق، بل بجل صناعته، وكل بضاعته، أراه أضعف أعدائنا فرياً وأجبن أضدادنا جرياً، فلما عايناه سداً يسد منهج السداد، وشد الحجر صوب صواب الجهاد، على بني الأصفر،عليهم الموت الأحمر، فأنسناه // أنتن من ريح [٣٧٥] الجورب، وأضل من تراب في مهنب، وأذنا أنه لا تقبل الحمر لأدب ، ولا يثمر الشوك العنب، لا جرم نبذناه، مراعياً مصالح دين الله الذي من توكل عليه كفاه، ومن وثق به أغناه، وعزمنا على الانطلاق، وعقدنا للرحيل حبل النطاق، وتوجهنا تلقاء مدائنهم لتصطاد ليوثنا في عرائنهم، ونزلنا دارهم، وسرنا على قربهم ببؤس عظيم وهوش يريم، كرياح مشتدة الهبوب، ونيران مشطته الألهوب، يشرح ألسنة ألسنتهم في جدالة المجادلة مثوى الطحون، وتفتح أيدي سيوفهم من عيون الدروع دماء كالعيون، تفرقوا ثلاث فرق راكبين طبقاً على طبق، هربت فرقة من بينهم إلى أقصى بلاد إبليسهم، كأنهم حمر مستنفرة، فرت

(١) في «أ»: «دبادء».

(٢) في «أ»: «وشاتن».

من قسورة، ورضيت فرقة بأن يعطوا الجزية، وتشبثت فرقة بأذيال شامخات بقاع لا يلين لواحد عريكتها، وتحصنت بقلل راسخات، قلاع لا تنقاد لقاصد قرونتها، ومن جملتها القلعة المسماة بنوبردي، التي هي أحسن القلاع وأصعب البقاع، فهجمنا عليها كقطع الليل ودفع السيل، وأمطرنا عليهم حجارة وأخذناهم بغتة بالنهب والإغارة، ففتحناها في ثلاثة أيام، ونصبنا عليها أعلام الإسلام «شعر»:

قد جاء نصر الله والفتح الذي تزهى بكتبة وصفه الأقلام
بأجل أحوال وأيمن مقدم وأتم إقبال يليه دوام
[الكامل]

وارتحلنا منها إلى القلعة المسماة بتربجة، ذات سور زلت على موازاتها أجنحة النسور، علت ببنيانٌ مرصوص على فنن الأخاشب، حتى عرجت عن عروج بروجها عوارم السحائب، التي لم يسكنها غير كافر، ولم يطأها للإسلام خف ولا حافر، ونزلنا بساحتهم وقت الصباح، «فساء صباح المنذرين»، وفتحناها قبل طلوع الشمس بعناية رب العالمين، وجعلنا عاليها سافلها ﴿ فأصبحوا في دارهم جاثمين ﴾ :

تجري الجياد من القتلى على جبل [و] من دمائهم يدحضن في وحل
ومن جماجمهم يصعدن في نشز [و] من ذوائبهم يقمصن في شكل
[البسيط]

[٣٧٦] أحرز المجاهدون في سبيل الله المتعال نفائس الخزائن وكرائم الأموال، // يسبون الأساري أفواجا، ويتموجون بذخائر أموالهم امواجاً، يخربون بيوتهم وضياعهم[١] ، ويكسرون أعلامهم وأصنامهم ، بحيث لم يبق عام ولا شام ، ولم نترك أنيس ولا سام .

ومن القلاع التي فتحناها قلعة أمول ، وسفر بحه حصار ، وبيهور ، وبزردين ، استقبل بعض أهاليها بمفاتيح صاحبها ، وبعضهم أحرقوا أوطانهم بأيديهم وتفرقوا .

---

(١) في «أ» : «وصيعهم» .

وبالجملة ما بقي من الفرقة الثالثة أحد قطعا إلّا دخل تحت حكمنا كرها وطوعاً، ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا، والحمد لله رب العالمين﴾ (٥٤: الأنعام).

فلما نشر الله علينا ـ بيمن همتك العلية ـ أعلام الحسنات، وأقر عيون آمالنا بأنوار المكرمات، خطر في خاطرنا تذييل حلة فرض الجهاد بسنة الختان، الذي قرره نبينا على سنة خليل الرحمن ـ عليهما السلام ـ من دار[1] السلام، والرحمة والرضوان، للبدرين الأزهرين في درجة الوفاء، والدرتين الأنورين في برج الصفاء، بايزيد ومصطفى ـ متع الله المسلمين بطول بقائهما ـ فأردنا تحلية مسامعكم الكريمة بدرر بشارة الغزوة الكبرى، وتجليلة صفاء صبح منيرة الوليمة بشموس همتكم العليا، فبعث لهذا المرام العظيم، رسول كريم صدر المحافل، بدر الأفاضل، المعروف بالأمانة، المحفوف بالديانة، المخصوص بعناية رب العالمين، الأمير جمال الدين القابوني، ضاعف الله أجره ويسر أمره، بهدية يسرة من الأساري والغلمان، والأقمشة وغيرها، ذكرها في تفصيلها، والمرجو من أكرم الكرام، حسن القبول والاهتمام، والدعاء معاد والله الموفق للرشاد.

محرراً في ثاني ذي الحجة سنة تسع وخمسين وثمانمائة».

انتهى كتاب ابن عثمان بنصه، وأظن منشئه غير كاتبه، لأنه ارتج عليه في كثير من السجع، فكتبه غير محرر، فتعب وأتعب.

جواب كتاب ابن عثمان ـ المذكور ـ من إنشاء القاضي معين الدين عبد اللطيف بن العجمي نائب كاتب السر الشريف بالديار المصرية.

قال بعد البسملة:

«... أعز الله تعالى أنصار المقر الكريم العالي الكبيري العالمي العادلي المؤيدي العوني الغياثي الممهدي المشيدي الظهيري الناصري عز الإسلام والمسلمين، ناصر الغزاة والمجاهدين، ملجأ الفقراء والمساكين، زعيم // [٣٧٧] جيوش الموحدين، ممهد الدول ومشيد الممالك، عون الأمة، غياث الملة، ظهير

---

(١) في «أ»: «آدار».

الملوك والسلاطين، عضد أمير المؤمنين، ولازالت بشائر غزواته المبرورة تسري إلينا وتسر بأطيب الخبر، وعزماته المؤيد(ة) مقرونة من فضل الله بالنصر والظفر، وفتوحاته بحمد الله قد زادت الإسلام قوة وتمكيناً، ولسان الحال يتلو عليه : ﴿ إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ [١ : الفتح].

فتوحاته مشهودة بملائك له كم بنصر الله فيها مشاهد

[الطويل]

ولا برحت سيوف جهاده راكعة في محاريب الأضلع بنصره ، وأقلام النعم ساجدة في صدور الطروس لأمره، وعساكره المؤيدة قائمة بفرض الجهاد تحت لوائه، على السنن القويم، تالية: ﴿وما النصر إلّا من عند الله العزيز الحكيم ﴾ [٢٦ : آل عمران]، ولا فتئت أعداء الدين لأسود أسنة رماحه فرائس، ومعابد[1] الشرك بفتكات سيوفه لابسة شعار الإسلام، فتصبح البيع مساجد ، والصوامع مآذن، والكنائس مدارس، فإنه بحمد الله قد طهر ديار الإسلام من الأدناس، وتلا قوله تعالى: ﴿ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس﴾ (٣٨: يوسف)، شعر:

له عزمات في الجهاد صوادع عداها ومن فوق النجوم صواعد

[الطويل]

أصدرنا هذه المفاوضة إلى المقر الكريم، وشاهد مودتنا قد وضع رسم شهادته وكتب، وأثبت مقدمات إخلاصنا، فحكم له قاضي المحبة بالموجب، يصف ما نحن منطوون عليه من الابتهاج بما جدده الله لكم لمن أنبأ إنباء السار، وتعدد هذه الفتوحات الذي صار الشفق مخلقاً بخبره السار، وتهدي إليه سلاماً يعطر الأكوان نشره، ويسفر في وجوه المحامد بشره، وتكمل صلات المودة بتحياته، ويعترف له المسك بالعبودية، إذا كاتبه في النسيم برسالة من نفحاته، وتبدي لعلمه الكريم ورود مكاتبته التي ملأت الدنيا عرفاً أرجاً، والعيون منظراً بهجاً على يد المجلس السامي الأميري الكبيري المؤيدي المؤتمني المقربي الجمالي

(١) كتبت في «أ»: «ومعا بعده»، هكذا وقد توهم الناسخ وجود سقط، فبيض له.

يوسف القابوني الناصري، أحسن الله وفادته، ويسر بخير إلى مقركم الكريم إعادته، فشممنا من ظاهرها نشر ولائها العاطر، ولاح لنا من عنوانها وجه معناها الذي هو عن صدق المحبة سافر، وتحققنا أنها بحر وفاء لما أطلعنا على ألفاظها الجواهر، وشاهدنا منها الجنة التي أزلفت، والرياض // التي زينت [٣٧٨] بالأزهار وزخرفت، والفضائل التي فرقت فضائلها على المحاسن التي تألفت، فسرحنا النظر في زهر الخمائل من تلك السطور، وشرحنا الخواطر فيما حوته من بديع الترصيع، والتوشيح الذي أزري بالدر في المنظوم والمنثور، وأمعنا التأمل في ذلك الأفق، فإذا الشهب وأضواؤها، والسحب وأنوارها، والبروق وقد خفق على رءوس ملوك الكلام لواؤها، وقالت فصاحتها وتلك البلاغة التي جاءت بسحر البيان: هل يفتى لنا بصدق المحبة؟ فقال لهما القلب: قضي الأمر الذي فيه تستفتيان، ووجدنا ما أشرتم إليه من تجريد عزماتكم المؤيدة لغزو أعداء الله براً وبحراً، ونثر ما اجتمع من شملهم قتلاً وأسراً، فزلزلتم ـ بعون الله ـ أقدامهم، وأزلتم إقدامهم، وقدحتم عليهم من بيض صفاحكم، وسمر رماحكم ناراً، وتلا لسان نصركم: ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾ (٢٦: نوح)، وسلكتم في ذلك سنن أسلافكم الكرام المجاهدين، الذين أصبحوا في درج المتقين مرتقين، سقى الله عهدهم صوب الرحمة والرضوان، وأسكنهم أعلى غرف الجنان، فقد فاز المقر الكريم وجيوشه الموحدون بقوله تعالى: ﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون﴾ (٢٠: التوبة)، وبما يحصل به غاية السعادة يوم العرض، بقوله عليه الصلاة والسلام: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض».

وانتهينا إلى ما أشار إليه من أن اللعين متملك لان سولت له نفسه وشيطانه سلوك سبيل الغدر، فخاب به مكره، وخربت أوطانه، وأنه كان يظهر لكم الصداقة ويبطن مع اعداء الدين الاتفاق، وتمسك بسلسلة النفاق، وأن المقر الكريم توجه تلقاء مدائنهم بعزم لا يفتر عن المسير، وجيش أقسم النصر أن لا يفارقه، وأنه يصير معه حيث يصير، وصار بين عساكره ـ أعز الله أنصاره ـ

كالبدر بين النجوم، والملائكة لكرام تحمي[1] جيوشه المؤيدة بإذن الله، والنصر عليها يحوم، يتلا: ﴿ربنا // أفرغ علينا صبراً وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين﴾ (٢٥٠: البقرة)، وأخذل عدونا فقد بايعناك على المضاربة، والله مع الصابرين، وابتهل إلى الله في طلب التأييد، وتضرع إليه في ذلك الموقف الذي ما رآه إلاّ من هو في الأخرى شهيد وفي الدنيا سعيد، هذا والسيوف قد فارقت الأغماد، والأسنة أقسمت أنها لا تخطر إلاّ في فؤاد، فلا ترى إلاّ بحراً من حديد، ولا تشاهد إلاّ لمع أسنة أو بروق سيوف تصيب الصيد، وهو ـ أدام الله تأييده ـ قد أرهف ظباه ليسعر بها في قلوب العدى جمراً وإلا إنه لا يورد سيوفه في نحور المشركين بيضاً إلاّ ويصدرها حمراً، فضربت عليهم الذلة، وصار بحمد الله جمعهم جمع قلة، وأصبح من كان يحميهم يتحاماهم، وقيل لسيوفه الناصرية: دونك وإياهم. وأقامت عساكره تقتل فيهم وتأسر، وتكشف عنهم ستر النجاة وتحسر، وتفتك وتنهب، وتذهب في استرقاقهم كل مذهب، إلى أن نصر الله دينه، وأذل الشرك وشياطينه، فمنهم من تحصن بتلك الجبال، وولى الأدبار، ومنهم من هال عليه الأمر فعاجل بالفرار، ومنهم من قيل فيه:

شرى نفسه منه وقر وجزية   عليه، بها قد عاد وهو معاهد

[الطويل]

ثم لما أمكنته من قلاع المشركين الفرصة، أخذها بعون الله بالعزيمة دون الرخصة، وسار عليها بجيوشه الموحدة كالسيل إذا طما، والسحاب إذا همي، والليل ونجومه، والليث وهجومه، فتسلمتها سيوفه التي هي لما استعصى من الحصون مفاتح، ولما استسلم إليها أقفال، ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً، وكفى الله المؤمنين القتال﴾ (٢٥: الأحزاب).

وأما ما عزمتم عليه من ختان النجلين الكريمين الأصيلين العريقين،

(١) في «أ»: «تحصي».

فرعى الأصول الملوكية، طرازي العصابة الإسلامية، أقر الله بهما العيون، وبلغ فيهما أجمل الظنون، اتباعاً للسنة ورغبة في الأجور الحسان، وعملاً بقوله ﷺ : «الفطرة خمس»، وبدأ بالختان، فقد علمنا ذلك وقابلنا ما أشرتم إليه من البشارة بالشكر لله الذي ايدكم ونصركم، وملككم رقاب المشركين وظفركم، ﴿وجعل كلمة // الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا﴾ (٤٠ : التوبة) ، ونجوم [٣٨٠] الضلال آفلة ، ومواطن الكفر بالإسلام آهلة ، وأصوات جيوشكم بالتكبير والتهليل بها عالية ، فالحمد لله ثم الحمد لله الذي منحكم بهذا النصر الجديد ، والفتح الذي هو في كل وقت للأعداء مبيد ، والغزوات التي صارت في جيد الدهر كالعقد النظيم ، فقد أيدتم هذا الدين المحمدي بعزمات لا تفتر طرفة عين ولا سنة ، وفزتم بقوله عليه أفضل الصلاة والسلام : « مقام الرجل في الصف في سبيل الله أفضل عند الله من عبادة رجل ستين سنة »

وقد أنشد شاعر حضرتنا مهنئاً لمقركم الكريم ، ومادحاً لما منحتم به من هذا الفتح العظيم :

هنيئاً بما خولت من عاجل النصر	هي النعمة العظمى تجل عن الحصر
فيا ملك الإسلام بشراك هذه	فتوح توالت مثل منتظم الدر
فقد جاءك النصر العزيز كما تشا	وأصبح من عاداك في قبضة الأسر
ولو أنهم كالبحر حالة مدة	لقابلتهم من حد سيفك بالجزر
وكل الورى يدعو ويسأل ربه	لك النصر والتأييد والبسط في العمر
فلازلت يا نجل الملوك مؤيداً	سعيداً شهيداً رأيه دائم النصر

[الطويل]

وأما أنواع الهدية التي اتحف بإرسالها فقد وصلت، وشكرنا محبة مهديها، وأثنينا على حسن موالاته التي لم يزل يبديها، وقد أعدنا المجلس السامي الجمالي قاصدكم المشار إليه، بعد ان عاملناه بمزيد الإكرام، ووافر الإحسان والإنعام، وجهزنا صحبته المجلس السامي الأميري الكبيري الأعزى الأخصى الأكملي المقربي السيفي قاني باي المهمندار الأشرفي ـ ادام الله سعادته، وكتب سلامته ـ ليشافه عنا المقر الكريم بالتهنئة بختان النجلين السعيدين والبدرين النيرين،

أطلعها الله نبات الكمال، وبلغها غاية الجمال، وجعله ختاناً مباركاً موصولاً بسرور الأبد، ونمو العدد، وتوالى الخيرات، وتضاعف المسرات، وتواصل [٣٨١] السعادات، وشد بها عضد الإسلام والمسلمين، // وجعلها من عباده الصالحين.

وقد جهزنا هذا الجواب الشريف على يد الأمير قاني باي المهمندار صحبته هدية تؤكد أسباب الوداد، وتوثق عمد[١] الاتحاد، وحملناه وهي من السلام ما يتبسم ثغر الزهر عند أدائه، ويسفر وجه البشر عند إبدائه، والله تعالى يؤيده بملائكته وجنده، وينصره، وما النصر إلا من عنده».

تم الجواب، وتسلمه قاني باي اليوسفي المهمندار المذكور أعلاه ليتوجه به رسولاً إلى ابن عثمان المذكور، وتهيأ للسفر، وقبل خروجه بيوم أو يومين ورد الخبر من الإسكندرية بموت السلطان محمد المذكور وقاصد ابن عثمان جمال الدين القابوني ـ أيضاً ـ بديار مصر، وقد نجز أمره وتهيأ للخروج من مصر، فلما وصل هذا الخبر أبطل السلطان سفر قاني باي المهمندار وجمال الدين القابوني إلى أن يتحقق من أمر ابن عثمان حسبما يأتي ذكر ذلك في محله من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وفي هذا الشهر طلع في السماء نجم ذو[٢] ذؤابة شمالي المشرق بمقدار علو الشمس في الساعة الثالثة من النهار، وكان طلوعه في الثلث الأخير من الليل، وأقام على ذلك إلى العشر الأوسط من شهر رجب ، انتقل وصار يطلع بعد المغرب من شمالي المغرب بمقدار علو الشمس فيما بين العصر والمغرب ، ثم يغرب بعد العشاء بساعة ، واستمر على ذلك إلى ما سيأتي ذكره .

وكثر الكلام في طلوع هذا النجم، واختلفوا في أمره على أقوال كثيرة، وقد سألت عنه بعض أهل التقويم فقالوا: ليس هذا نجم معروف، وإنما هو منعقد من شعاع الشمس في فلك النهار.

وكتب إلي ـ أيضاً ـ بعض علماء هذا الفن ما صورته:

---

(١) في «ا»: عمر.

(٢) في «ا»: «ذات».

إبتداء ظهور الكوكب ذو[1] الذؤابة كان عند طلوعه في أواخر برج الثور في العشر الأخر من شهر جمادي الآخر سنة ستين وثمانمائة، ثم انتقل إلى برج الجوزاء فأقام بها أياماً قليلة، ثم اختفى من جهة المشرق وظهر بجهة المغرب في برج السرطان، وهو عن قليل ينتقل إلى الأسد، ونسأل الله تعالى أن يكفينا شره - انتهى.

قلت: وكان صورة هذا الكوكب أنه كهيئة النجوم وله ذنب طويل إلى فوق طول رمح وأكثر، وليس // الذنب رقيقاً[2]، وإنما هو صفة جريان الصارخ [٣٨٢] من النفط عند إفلاته إلى جهة السماء على هيئته وعرضه، وفي الذنب ميلة إلى جهة الشمال، في أول طلوعه من الشرق، ثم لما طلع من شمالي المغرب صارت ميلته إلى جهة المغرب، وكان له ضوء ونور بحيث يراه من قصد رؤيته ومن لم يقصده.

جمادى الآخر

أوله الخميس.

في يوم السبت ثالثه أضاف السلطان قاصد ابن عثمان بقلعة الجبل في حضرته.

وفي ليلة الاثنين خامسه ركب الأمير يونس الدوادار من بيته تجاه الكبش إلى قاعة ابن قطينة المطلة على بحر النيل ببولاق، والقاعة المذكورة على ملك أم زوجته خوند زينب بنت ابن خصبك زوجة السلطان الملك الأشرف إينال، وتوجه يونس إلى القاعة المذكورة للنزهة بها من مرض تمادى به، وتردد إليه بها أعيان المملكة من المقام الشهابي أحمد ولد السلطان إلى من دونه.

وفي ليلة الخميس ثامنه سافر الأمير جانبك الظاهري أحد أمراء الطبلخانات والمتكلم على بندر جدة إليها على عادته كل سنة.

وفي يوم الخميس خامس عشره تعوقت فيه جوامك المماليك السلطانية، ولم ينفق لأحد منهم شيء، فعند طلوع الأستادار زين الدين يحيى إلى القلعة

---

(١) نفسه.

(٢) في «أ»: «رقيق».

تشغبت عليه المماليك السلطانية، ففاتهم، فلما دخل إلى السلطان عرفه بذلك، وأظهر العجز عن حمل الجامكية، فاستشاط السلطان غيظاً، وأمر به في الحال فضرب نحو العشرين عصاة، فلما أقيم أمره السلطان أن يستمر على وظيفته، فلم[1] يبش لذلك، فأمر به السلطان ثانياً فحط إلى الأرض، لكنه لم يضرب شيئاً، وجعل في عنقه جنزير وحبس بالقلعة عند الأمير فيروز الخازندار، وكل ذلك كان بقاعة الدهيشة.

وفي الحال رسم السلطان للوزير زين الدين فرج بن النحال باستقراره آستاداراً عوضاً عن زين الدين المذكور، ولعلاء الدين علي بن الأهناسي المعزول قبل تاريخه عن الأستادارية باستقراره وزيراً عوضاً عن فرج المذكور، وخلع على كل منهما كاملية بمقلب سمور، ووعدهما بأنه يخلع // عليهما في يوم السبت كل واحد بخلعة وظيفته المعتادة. [٣٨٣]

وأما المماليك السلطانية فإنهم لما تعوقت[2] جوامكهم نزلوا من وقتهم إلى بيت زين الدين المذكور لينهبوه، فأغلقت مماليكه الدروب ورموا عليهم ومنعوهم من الدخول إلى جهة بيت زين الدين ومدرسته، فلما عجز المماليك عن الدخول إلى بيت زين الدين المذكور وحارته نهبوا بيوت الناس من جوانب بيت زين الدين إلى قنطرة أمير حسين[3] وغيرها، حتى مدرسة فخر الدين بن أبي الفرج، فإنهم دخلوها ونهبوا ما فيها من تعلقات المدرسة وقماش الصوفية وغيرهم، فما عفوا ولا كفوا، ثم إنهم ظفروا ببيت زين الدين المذكور لما كثر جمعهم وفعلوا في داره ومدرسته ورباطه ودور جيرانه ما لا تفعله الكفرة في المسلمين، وأخذوا للناس من الأقمشة والمتاع والأواني وغير ذلك حمل مستكثرة لا تدخل تحت حصر، واستمروا في النهب من باكر النهار إلى قريب العصر، ولم يستجر أحد أن يمد يده إليهم بسوء، بل صاروا يأخذون ما قدروا على أخذه ويحملونه على

---

(١) في «أ»: «فلم ينبش».

(٢) في «أ»: «تعوق».

(٣) قنطرة أمير حسين: كانت تقع على الخليج الناصري، أنشأها الأمير «سيف الدين حسين بن أبي بكر بن إسماعيل بن حيدر بك الرومي» ليتوصل بها إلى جامعه في حكر جوهر النوبي.
راجع المقريزي. الخطط ج ٢ ص ١٤٧.

الخيول والبغال والحمير، ويسخرون الناس في حمله، وعيون أربابها تنظر إليهم في الملأ من الناس، ولم يرسل السلطان لكفهم عن ذلك أحداً[1] من الأمراء ولا غيرهم. فكانت هذه الحادثة من أقبح الأمور وأبشعها، ولم ينتطح في ذلك عنزان.

وفي يوم السبت سابع عشره أخلع السلطان على زين الدين فرج المذكور خلعة الأستادارية عوضاً عن زين الدين المقبوض عليه قبل تاريخه، وعلى علاء الدين علي بن الأهناسي خلعة الوزر عوضاً عن فرج المذكور.

وفي يوم السبت هذا ورد الخبر بموت شهاب الدين أحمد المحلي الشافعي قاضي الإسكندرية بقرية إدكو من المزاحميتين متوجهاً إلى الإسكندرية، وولى ابنه بعده قضاء الإسكندرية ببذل مال كثير، وهو شاب حدث السن، جاهل، يأتي ذكر والده في وفيات هذه السنة، والتعريف بحاله في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وفي يوم الأربعاء حادي عشرينه حدث بالقاهرة واقعة عجيبة مضحكة، وهو أن الناس بقوا من يوم نهب بيت زين الدين الأستادار وجيرانه في رجيف عظيم من جهة المماليك، واتفق في هذا اليوم خروج جهاز بنت المرحوم ناصر الدين محمد بن الثلاج الأمير آخور إلى // بيت زوجها الأمير جانبك قرا الأشرفي [٣٨٤] على رءوس الحمالين والبغال على العادة، فجفل فرس جندي من الأجناد من الحمالين المذكورين، فحنق الجندي على فرسه وساقه، فرآه بعض العامة فلم يشك أن المماليك نزلت لنهب القاهرة، فأشاع ذلك، فأغلقت القاهرة بتمامها، وانزعجت الناس غاية الانزعاج، وتعطلت المعايش من غلق حوانيت القاهرة، فكانت هذه الواقعة من غريب ما وقع بديار مصر.

وفي يوم الخميس ثاني عشرينه رسم السلطان بعمل مدة[2] وقراءة ختمة شريفة بمدرسته التي أنشأها بالصحراء لفراغ عمارتها، وحضر فيها أعيان الدولة من القضاة والأمراء وغيرهم، وكان السلطان أوعد أنه ينزل لرؤيتها فلم يتهيأ له

---

(١) في «أ»: «أحد»

ذلك لأمر من الأمور. وكان السلطان قد أنشأ هذه المدرسة أولاً تربة في أيام أتابكيته، فلما تسلطن بدا له أن يخرب ما عمره قديماً وأن يجعلها مدرسة، ففعل ذلك، وباشر عمارتها عظيم الدولة الصاحب جمال الدين يوسف ناظر الجيوش المنصورة والخاص الشريف إلى أن كملت.

وفي يوم الأحد خامس عشرينه ركب الأمير يونس الدوادار من قاعة ابن فطينة بساحل بولاق، بعد أن أقام بها مدة أيام لتوعك كان به، وتوجه إلى بيته تجاه الكبش على بركة الفيل، وزينت بولاق لركوبه وتخلق حواشيه بالزعفران.

وفي يوم الاثنين سادس عشرينه استقر قاسم الكاشف المعزول قبل تاريخه عن الأستادارية في كشف الغربية من الوجه البحري من أعمال القاهرة على عادته قديماً، واستقر عوضه في كشف الجيزية يوسف شاه العلمي.

وفي يوم الثلاثاء سابع عشرينه، فيه طلع الأمير يونس الدوادار إلى القلعة، وأخلع السلطان عليه كاملية بمقلب سمور خلعة العافية، واحتفل أهل الصليبة إلى نزوله بالزينة الهائلة والطبول والزمور والتهاني.

شهر رجب

أوله السبت.

في يوم الاثنين ثالثه أطلق السلطان الأستادار زين الدين يحيى من محبسه بقلعة الجبل، ونزل إلى دار عظيم الدولة الجمالي ناظر الجيوش والخاص الشريف على أنه يغلق ما بقي عليه مما ألزمه السلطان // بحمله إلى الخزانة الشريفة، [٣٨٥] وهو مبلغ عشرة آلاف دينار، ثم ينفي بعد تغليقها إلى حيث يرسم السلطان من البلاد.

وفي يوم الاثنين عاشره آدير المحمل، ولعبت الرماحة على العادة في كل سنة، وشاهده قاصد خوندكار ابن عثمان الأمير جمال الدين عبد الله القابوني، وتخوّف الناس من المماليك السلطانية الجلبان، فلم يقع منهم ما يكره.

وفي يوم الخميس ثالث عشره نزل السلطان من قلعة الجبل بقماش الموكب إلى الصحراء، ونزل بمدرسته التي أنشأها، وأقام بها ساعة ثم ركب من المدرسة

المذكورة ودخل من باب النصر، وشق القاهرة، وخرج من بابي زويلة، وطلع إلى القلعة في موكبه والصنجق على رأسه .

وفيه توفيت ملكباي الأشرفية أم محمد ولد الملك الأشرف برسباي، زوجة الأمير قرقماس رأس نوبة النوب ، ولهجت العامة بتوجه ولدها محمد ابن الملك الأشرف إلى عند أخيه الملك العزيز يوسف بثغر الإسكندرية .

وفي يوم الأحد سادس عشره ـ الموافق لسادس عشرين بئونة ـ أخذ قاع النيل فجاءت القاعدة ـ أعني الماء القديم ـ سبعة أذرع وستة عشر إصبعاً.

وفي يوم الجمعة حادي عشرينه، فيه ورد الخبر بموت السلطان محمد بن عثمان متملك بلاد الروم بالطاعون، وبلغ ذلك قاصده جمال الدين عبد الله القابوني وهو بالقاهرة وقد تهيأ إلى السفر، وعيّن السلطان صحبته قاني باي اليوسفي المهمندار رسولاً إلى ابن عثمان المذكور.

شعبان

أوله الاثنين.

فيه سافر زين الدين يحيى الأستادار من سبيل ابن قيماز إلى الحجاز من طريق الطور في البحر المالح منفياً من مصر، ومأموراً بالتوجه إلى المدينة الشريفة للإقامة بها.

وفي أوائل هذا الشهر ترادفت الأخبار بعدم موت السلطان محمد بن عثمان متملك الروم، ودقت البشائر لذلك بقلعة الجبل ثلاثة أيام.

وفي هذه الأيام وردت عدة مطالعات من الأمير قاني باي الحمزاوي نائب الشام وغيره بأن الفرنج في استعداد كبير للتوجه إلى سواحل البلاد الشامية.

وفي هذه الأيام ـ أيضاً ـ غاب النجم ذو(1) الذنب // المقدم ذكره . [٣٨٦]

وفي يوم الجمعة خامسه سافر الأمير جمال الدين عبدالله القابوني قاصد السلطان محمد بن عثمان إلى جهة مرسله ، وصحبته قاني باي اليوسفي المهمندار قاصداً برد جوابه من قبل السلطان .

---

(1) في «أ» : «ذات» .

وفيه ورد الخبر على السلطان بأن الصارمي إبراهيم بن قرمان متملك لارنده وغيرها من بلاد الروم طرق معاملة السلطان، واستولى على مدينة طرسوس وأدنة وكولك، فأمر السلطان بخروج تجريدة إلى قتاله، وعيّن أربعة أمراء من مقدمي الألوف وعدة طبلخانات وعشرات مع ما يضاف إليهم من المماليك السلطانية، وأمرهم بالإسراع في السفر، والذين[1] عينهم السلطان من مقدمي الألوف، وهم: الأمير خشقدم المؤيدي أمير سلاح، وجانبك القرماني الظاهري برقوق حاجب الحجاب، وقرقماس الأشرفي برسباي رأس نوبة النوب، ويونس العلائي الناصري، ودام هذا الأمر إلى يوم الأحد سادس عشره أبطل السلطان التجريدة المذكورة، وأخر السفر إلى بعد الربيع، خوفاً من هجوم الشتاء، فإن الوقت آخر أبيب أحد شهور القبط.

وفي يوم الجمعة سادس عشرينه - الموافق لسادس مسرى - أوفى النيل ستة عشر ذراعاً وخمسة أصابع من الذراع السابع عشر، ونزل المقام الشهابي أحمد ابن السلطان الملك الأشرف إينال في وجوه أمراء الدولة حتى عدى النيل وخلق المقياس، ثم عاد وفتح الخليج على العادة، ثم طلع إلى القلعة وخلع عليه السلطان.

وفي معنى النيل يقول الشيخ صلاح الدين الصفدي:

قالوا علا نيل مصر في زيادته ... حتى لقد بلغ الأهرام حين طما
فقلت: هذا عجيب في بلادكم ... أن ابن ستة عشر يبلغ الهرما
[البسيط]

وفي هذا الشهر وصل إلى الديار المصرية مملوك الأمير جانم الأشرفي نائب حلب، وأخبر السلطان أن جماعة من عوام[2] حلب وثبوا عليه وأخذوا من مباشرينه ثلاثة نفر ذبحوهم باليد العادية، ثم أحرقوهم، وأنه منتظر ما يرد عليه من

---

(١) في «أ»: «والذي»
(٢) في «أ»: «أعوام».

الجواب الشريف في أمرهم، وذكر أشياء محصولها أن السلطان إذا لم // ينصفه [٣٨٧] ممن فعل ذلك وإلاّ ليس له حاجة بنيابة حلب. فلما سمع السلطان ذلك طيب خاطر المملوك، ورسم أن يجهز على يده خلعة لأستاذه الأمير جانم المذكور باستمراره على نيابة حلب، ورسم بأن تكتب مراسيم شريفة لحكام حلب بتحصيل الغرماء المذكورين وحبسهم بقلعة حلب حتى يرد عليهم ما يعتمدونه من أمر هؤلاء.

وسبب هذه الفتنة أن جماعة من الحلبيين تقربوا إلى الأمير جانم المذكور وباشروا ببابه، وساءت سيرتهم، وهم ابن الرقيق، وولده، وابن الحصوني. فشكا أهل حلب من هؤلاء ومن كثرة ظلمهم وأفعالهم القبيحة، فحبس الأمير جانم أحد الثلاثة المشكو عليهم، فلم يقنع (أهل حلب)[1] ذلك لما في نفوسهم منهم، ومضوا في الحال إلى واحد منهم في بيته، فهرب الرجل من بيته واستجار برجل من الحلبيين مشهور بالصلاح والدين، فحماه الرجل المذكور، فألح الحلبيون عليه في أخذه منه، قال الرجل الصالح: قد تاب عن المباشرة. فقالوا: يخرج ويحلف لنا على ذلك بحضرتك. فلما خرج إليهم أخذوه من يد الرجل وذبحوه ثم أحرقوه، ثم توجهوا في الحال إلى الذي في الحبس فأخرجوه من الحبس، وفعلوا به كذلك هو وولده، وبلغ النائب ذلك فلم يحرك ساكناً، وكتب يعرف السلطان بما وقع، والذين أحرقوهم: ابن الرقيق، وابن الحصوني وولد واحد منهما - انتهى.

وكان هذا الخبر زيادة في النكاية على السلطان لما كان بلغه من استيلاء ابن قرمان على طرسوس وغيرها حسبما تقدم ذكره.

وفي يوم الاثنين تاسع عشرينه طلع إلى القلعة قاصد الأمير بير بضع بن جهان شاه بن قرا يوسف متملك بغداد والعراق من قبل أبيه جهان شاه المذكور، وتمثل بين يدي السلطان وأدى رسالة مرسله، وقرىء كتابه، ولم يتضمن كتابه كبيرا من غير التودد والسلام.

---

(١) ساقط من (أ)، مبيض له

شهر رمضان

أوله الثلاثاء.

في يوم الجمعة رابعه وصل السيفي خشقدم دوادار الأمير قاني باي الحمزاوي نائب الشام إلى القاهرة وهو مريض، فأحضر السلطان // الكتب [٣٨٨] الواصلة على يده من قبل أستاذه وأمر بقراءتها، فإذا هي تتضمن أمر ابن قرمان، وأخذه لطرسوس وغيرها. ثم سأل السلطان في عدم إخراج تجريدة من الديار المصرية إلى البلاد الحلبية بسبب ابن قرمان المذكور، وأنه يتوجه بعد الربيع هو وجماعة النواب بالبلاد الشامية إلى جهة ابن قرمان المذكور، ويكفي السلطان أمره، ويسترجع منه ما أخذه من البلاد الحلبية، فسرّ السلطان بذلك، وتزايد شكره على نائب الشام لهذه المقالة.

وفي يوم الأحد عشرينه وصل الأمير سودون الإينالي المؤيدي المعروف بقراقاش ثاني رأس نوبة النوب، وهو ومن معه من المماليك السلطانية من إقليم البحيرة بعد أن أقام بها نحو الشهر ونصف لأمر اقتضى ذلك، وأخلع عليه السلطان في يوم الخميس رابع عشرينه خلعة السفر.

وفي يوم الأربعاء ثالث عشرينه نودي بالقاهرة من قبل السلطان بعدم تعرض المماليك الجلبان إلى الناس والتجار والبيعة، فلم يلتفتوا إلى مناداته، واستمروا على ما هم عليه من أخذ بضائع الناس بأبخس الأثمان، وأفعالهم القبيحة، وقد تغير غالب خاطر الرعية على السلطان بسببهم، فإنه زاد بسبب ذلك أسعار أشياء كثيرة من المأكولات والعلوفات والغلال، فإنهم صاروا يخرجون إلى ظاهر القاهرة ويأخذون ما لقوا من الشعير والدريس والتبن بأقل ثمن إن سمحوا بذلك، ومنهم من لا يزن شيئاً[٢] ثم شرعوا في نهب حواصل البطيخ وغيره، وعز وجود أشياء كثيرة بسبب ذلك، حتى أبيع الشعير بمائتين وأربعين درهماً الإردب، بعد أن كان بثمانين درهماً الإردب، وأما التبن فإنه عز وجوده بالكلية، وزاد سعر البطيخ الصيفي أضعاف ما كان، هذا مع ما

---

(١) في « أ »: « ساكن ».

(٢) في « أ »: « شيء ».

يأخذونـه من التجار والسـوقة والبيعـة من سائـر الأصناف بـأرخص ثمن ، فضر ذلك بحال الناس قاطبة ، والسلطان مع ذلك لا يزداد في مماليكه المـذكورين إلاّ محبة ، والقيام بنصرتهم بما تصل قدرته إليه ، فلا قوة إلاّ بالله .

وفي يوم الأحد سابع عشرينه // وصـل إلى القاهـرة الأمر جانبك [٣٨٩] الظاهري أحد امراء الطبلخانات نائب بندر جدة منها، وأخلع السلطان عليه، ونزل إلى داره ف وجوه الناس.

وفي يـوم الأحد هـذا ـ الموافق لـه من اشهر القبط أول تـوت ، وهـو يـوم النوروز ـ نودي على النيل فيه بزيادة إصبعين من عشرين ذراعاً .

وفرغ هذا الشهر وسعر الذهب الدينار الأشرفي ثلاثمائة وستين درهماً في المعاملة، وثلاثمائة وخمسون في الصرف، وهو في زيادة. وسعر القمح الإردب بمـائتين[١] وستين درهماً إلى مـا دونها ، والفـول والشعير بمـائتين[٢] وعشرين درهماً الإردب إلى ما دونها، والجميع في انحطاط لكثرة الغلات بالساحل وعظم زيادة النيل.

شوال

أوله الخميس.

في يوم الجمعة ثانية ـ المـوافق لسادس تـوت ـ انتهى زيادة النيـل إلى اثنتي عشـرة أصبعاً من عشـرين ذراعاً ، وأخـذ في النقص والزيـادة والثبات إلى آخـر توت .

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشره أمر السلطان بتوسيط عشرة نفر من الزعر ما بين عبيد وأحرار، وكان الوالي قد قبض عليهم في شهر رمضان وحبسهم بأمر السلطان فداموا في السجن إلى هذا اليوم، فطلبهم السلطان وأمر بتوسيطهم، فوسطوا عن آخرهم ببركة الكلاب خارج سور القاهرة، بـالقرب من بـاب المحروق، ثبت على أحدهم قتل نفس في الظاهر.

وفي يوم الاثنين تاسع عشره برز أمير حاج المحمل بالمحمل من القاهرة

---

(١) في « أ » : بماتي ».

(٢) نفسه.

إلى بركة الحاج. وهو الأمير قانم من صفر خجا المؤيدي أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية، المعروف بقانم التاجر، وأمير الركب الأول عبد العزيز ابن المعلم محمد الصغير، أحد أجناد الحلقة، وعليه (من) الديون جمل مستكثرة.

وفي يوم السبت رابع عشرينه ضرب السلطان خيربك القصروي والي القاهرة أزيد من مائتي عصاة، لشكوى الأمير قرماس الأشرفي الجلب رأس نوبة النوب عليه أنه أخذ من بابه بعض الشكاة.

وفي يوم الثلاثاء سابع عشرينه ركب الصاحب جمال الدين يوسف ناظر الجيوش المنصورة والخاص الشريف من داره وطلع إلى القلعة وقبل // الأرض، وأخلع عليه السلطان كاملية مخمل أخضر بمقلب سمور خلعة العافية، فإنه كان انقطع عن الخدمة ملازماً الفراش من العشر الأول من شهر رمضان إلى هذا اليوم، واشتد مرضه حتى خيف عليه. وكان الذي اعتراه الذرب، ونزل إلى داره في وجوه الناس. بعد أن احتفل الناس لنزوله خارجاً عن الحد احتفالاً زائداً، وزينت شوارع القاهرة حيث ممره بأفخر الزينة، ووقدت الشموع بين يديه بالحوانيت، وعلقت فيها القناديل الموقودة، وعظم فرح الناس بعافيته، وتخلقوا بالزعفران، وأكثروا من الابتهاج والسرور والتهاني من الطبول والزمور وغيرهما، وازدحم الناس لرؤيته، فكان هذا النهار من الأيام المشهودة التي قل أن يقع مثلها.

ذو القعدة

أوله السبت.

في أوائل هذا الشهر رسم السلطان برد قاصد الصارمي إبراهيم بن قرمان فرد من قريب مدينة قطيا، وكان قدوم القاصد - المذكور - ليترضى خاطر السلطان على مرسله ابن قرمان المذكور، وسبب رد هذا القاصد أنه بلغ السلطان أن ابن قرمان أرسل يسأل السلطان في القلاع التي استولى عليها قبل تاريخه باليد العادية أن يكون فيها نائباً عن السلطان، فلم يرض السلطان ذلك، وأمر بعوده واوعد بخروج تجريدة إلى قتاله في أوائل فصل الربيع.

وفي يوم الخميس سادسه فعلت المماليك الجلبان بالناس والأعيان تلك الأفعال القبيحة ، من خطف العمائم وأخذ الخيول من تحت الفقهاء ، وأفحشوا وأمعنوا في ذلك إلى الغاية حتى كثر الكلام في ذلك ، وترامى الناس على حمل القضاة والفقهاء في أن يتكلموا مع السلطان ، فلم يجبهم إلا جماعة من أعيان الحنفية، فكلموه في كفهم عن الناس وخشن له بعضهم في القول، فتأثر السلطان لذلك ، وأصبح من الغد جلس على الدكة من الحوش السلطاني ، وضرب منهم جماعة ووبخ الأمير مرجان العادلي مقدم المماليك وخشن له في القول بسبب أفعال هؤلاء المماليك ، ثم طلب السلطان منهم جماعة وأوسعهم سباً // وأكثر [٣٩١] لهم من الوعيد ، وحبس بعضهم بالبرج من القلعة .

ثم في يوم الأربعاء ثاني عشره طلب السلطان شخصاً خارجاً عن الحد، وأمر بنفيه إلى طرسوس، ثم فعل ذلك مع جماعة أخر من المماليك البطالة وغيرهم،فارتدع القوم وانكفوا عن المساوىء والقبائح، فشكر الناس علماء الحنفية وأكثروا من الثناء عليهم.

وفي يوم الأحد سادس عشره نودي بمصر والقاهرة بخروج المماليك البطالة من الديار المصرية، وهدد من أقام بعد ذلك ثلاثة أيام بها.

وفي يوم الخميس سابع عشرينه توفي الأمير قاني باي الناصري نائب قلعة الجبل حسبما يأتي ذكره في وفيات هذه السنة، وأنعم السلطان بإمرة وهي إمرة عشرة على ولده الصغير، وأخلع على الأمير سودون النوروزي المعروف بالسلاح دار أحد أمراء الطبلخاناه ورأس نوبة باستقراره في نيابة قلعة الجبل، عوضاً عن قاني باي المذكور.

وفي العشر الأخير من هذا الشهر كان عرس ابن الأمير بردبك الأشرفي الدوادار الثاني على بنت الأمير دولات باي الدوادار، وقام بمهم العرس المذكور جده الملك الأشرف إينال، وعمل السلطان السماط للأمراء بالحوش السلطاني أياماً، وكان المهم - أيضاً - عند جدته خوند زينب بنت ابن خصبك في الدور السلطانية، ولم يقع بالمهم المذكور ما يتحاكاه الناس من كثرة المآكل

والأشربة [1]، والفواكه، وإنما كان المهم المذكور مثل أفراح الأمراء والأعيان، غير أن الوزاء كانت كثيرة من دون المشارب لا غير.

ذو الحجة

أوله الأحد.

في يوم الجمعة سادسه - الموافق لتاسع هاتور - لبس السلطان القماش الصوف برسم الشتاء، وألبس أمراء الألوف على العادة.

وفي يوم الاثنين تاسعه أخلع السلطان علي الزيني أبي بكر بن مزهر ناظر الإسطبل السلطاني باستقراره في نظر الجوالي، بعد عزل محمد بن أصيل مضافاً على نظر الإسطبل.

وفي هذه الأيام ورد الخبر بموت الأمير جانبك المحمودي المؤيدي أحد أمراء الطبلخاناه بطرابلس، وأنعم السلطان بإقطاعه على الأمير تمراز الإينالي الأشرفي الدوادار الثاني - كان - وهو يومئذ أحد الأمراء البطالين بالقدس الشريف، ٣٩٢] وقد توجعت لفلاحي هذا الإقطاع// لوقوعهم في يد جانبك المتوفي قبل تاريخه، ثم ما حل بهم من قدوم تمراز هذا عليهم، فإنهما أعني جانبك المتوفي وتمراز هذا من أقبح الناس سيرة وأسوئهم سريرة لما اشتملا عليه من المساوىء. وقد ذكرنا أمر تمراز هذا عندما نفاه السلطان في سنة ثمان وخمسين إلى القدس نبذة، ويعرف منها حاله، ويأتي ذكر جانبك في وفيات هذه السنة مفصلاً كما هي عادة هذا الكتاب.

وفي يوم الخميس تاسع عشره، فيه طلع قاصد جهان شاه بن قرا يوسف متملك غالب بلاد الشرق (و) العراقين وغيرهما، وقبل الأرض بين يدي السلطان، وأدى رسالة مرسله بعد السلام، فكان ما يتضمنه كتابه وسؤاله أن جهان شاه يسأل صدقات السلطان في إرسال الأمير حسن بك بن سالم الدوكاري نائب عجلون إليه، ومنها ما معناه أن عنده بعض عتب كون السلطان من يوم تسلطن لم يكاتبه، ومنها أن الشيخ حسن بن علي بك بن قرايلك صاحب آمد

---

(١) في «أ»: «والماكل ولأشربة» مع إسقاط الالف.

يقع منه أمور قبيحة في حق جهان شاه وعماله من ضرب أطراف بلاده، وأن الشيخ حسن المذكور قد انتمى إلى السلطان. فأجابه السلطان بما معناه: أما إرسال حسن بك بن سالم الدوكاري إليه فإنه يرسل إلينا عربشاه أحد أمرائه، ونحن نرسل إليه حسن بك، وأما عدم مكاتبتنا له فإننا جلسنا على تخت الملك وكان الأولى أنه هو يبدأ بالمكاتبة والتهنئة، وأما شكواه من الشيخ حسن صاحب آمد فما كان يحتاج أن يكلمنا في أمره. ولو كاتب بعض نوابنا بالبلاد الشامية لكان كفاه أمره ، وأشياء أخر من هذه المقولة ، والذي ذكرناه معنى مقالة السلطان ، واللفظ لنا . انتهى .

وفي يوم الاثنين ثالث عشرينه نزل السلطان الملك الأشرف إينال من قلعة الجبل بقماش الخدمة ، وتوجه إلى مطعم الطير بقبة النصر خارج القاهرة ، ونزل على المصطبة ، وطعمت طيور الصيد بحضرته على العادة ، ومد السماط فأكل الناس، وركب وعاد إلى القلعة بعدما شق القاهرة ودخل من باب النصر وخرج من باب زويلة في موكب هائل.

ولما كان بالمصطبة وافاه مبشر الحاج السيفي // جانبك الظاهري المعروف [٣٩٣] بالأبلق، وأخبر بسلامة الحاج.

أمر النيل

في هذه السنة (كان) الماء القديم سبعة أذرع وستة عشر إصبعاً، (وكان) مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعاً واثني عشر إصبعاً.

* * *

ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة

(١) وفيها توفي القاضي شهاب الدين أحمد المحلي[1] الشافعي، قاضي قضاة الإسكندرية، في قرية إدكو بالمزاحميتين في ليلة الثلاثاء ثالث عشر جمادي الآخرة، ودفن برشيد، وهو في عشر السبعين تخميناً.

وشهاب الدين هذا أحد من ولى قضاء الإسكندرية من الشافعية بالسعي وبذل المال، وكانت بضاعته مزجاة من العلم كثيرة من المال.

ومولده ومنشئوه بالمحلة الغربية بالوجه البحري من أعمال القاهرة، ثم تنقل حتى ولى قضاء الإسكندرية بعد سنة أربعين وثمانمائة، ودام على ذلك إلى هذه السنة، عزم على الحج لأجل المتجر، فقدم القاهرة وأقام بها مدة، ثم عاد إلى الإسكندرية لإصلاح شأنه، فتوجه وأقام بها مدة، ثم عاد إلى القاهرة فمرض بها بالبطن مدة طويلة إلى أن عوفي ودخل الحمام، وثنى عزمه عن سفر الحجاز وعاد إلى الإسكندرية، فمات في طريقه بإدكو حسبما تقدم ذكره.

ولم يكن من أعيان الدولة لتحمد سيرته أو تذم، وكان به صمم غير فاحش. انتهى.

---

(١) هو « أحمد بن محمد بن علي بن هارون بن علي »، له ترجمة في:
ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨١، السخاوي. الضوء اللامع ج ٢ ص ١٥٢ - ١٥٣ تر ٤٣٤، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٣٢.

(٢) وفيها توفي القاضي ظهير الدين محمد ابن قاضي القضاة أمين الدين عبد الوهاب ابن قاضي القضاة شمس الدين محمد بن أبي بكر الطرابلسي[١] الأصل، المصري المولد والوفاة، الحنفي، المعروف بابن الطرابلسي، أحد نواب الحكم الحنفية، في يوم الجمعة سادس عشرين شعبان، ودفن من الغد بتربة الصوفية خارج باب النصر - رحمه الله.

ومولده في أوائل القرن تخميناً، ونشأ بالقاهرة تحت كنف والده، وقرأ بعض متون في مذهبه، إلى أن تولى والده في سنة تسع عشرة وثمانمائة - ناب بعد ذلك في نيابة الحكم عن قضا[ة] الحنفية عدة سنين.

وكان لا بأس به في أحكامه، على أنه كان قليل العلم، ثم ترك الحكم في أواخر عمره واعتراه أمراض دامت به مدة طويلة إلى أن مات في التاريخ المذكور - رحمه الله تعالى.

وكان من أعيان الناس، وعنده رياسة وحشمة، عفا الله تعالى عنه.

(٣) وفيها توفي الأمير آسنباي بن عبد الله الجمالي // الظاهري، [٣٩٤] المعروف بالساقي[٢] في شعبان بالقدس الشريف بطالاً وسنه دون الأربعين سنة.

وأصله من مماليك الملك الظاهر جتمق، اشتراه في أوائل سلطنته وأعتقه، ثم جعله خاصكياً، ثم سلاح دارا، ثم ساقياً، فدام على ذلك سنين إلى أن أنعم عليه بإمرة عشرة في سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة بعد موت إينال أخي قشتم، فاستمر على ذلك إلى أن توفي الملك الظاهر جقمق، وأمسك الملك المنصور الأمير دولات باي المحمودي الدوادار مع من أمسك، ونقل الأمير تمربغا الظاهري الدوادار الثاني إلى الدوادارية الكبرى عوضاً عن دولات باي المذكور، استقر

---

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨١. السخاوي. الضوء اللامع ج ٨ ص ١٣٥ - ١٣٦ تر ٣١٤.

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ١ ص ١٣١ تر ٤٥٨، المنهل الصافي ج ٢ ص ٤٣٥ تر ٤٦٠، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨١، السخاوي. الضوء اللامع ج ٢ ص ٣١١ تر ٩٨١.

أسنباي هذا دواداراً ثانياً عوضاً عن تمربغا، وذلك في صفر سنة سبع وخمسين وثمانمائة، فلم تطل أيامه في الدوادارية الثانية، ووقعت الفتنة بين الملك المنصور والأتابك إينال العلائي في يوم الاثنين أول شهر ربيع الأول من السنة، فكان آسنباي هذا ممن انضم على ابن أستاذه الملك المنصور عثمان، ودام عنده بقلعة الجبل إلى أن انكسر في يوم الأحد سابع ربيع الأول المذكور، وتفرق عنه أصحابه - اختفى آسنباي هذا ونزل من القلعة، ودام في اختفائه أياماً إلى أن أصلح الأمير جانبك القجماسي المشد أمره مع السلطان وظهر، فرسم له بالتوجه إلى القدس بطالاً، فسار إليه بعد أيام ودام به إلى أن مات في التاريخ المذكور.

وكان شاباً طوالاً عاقلاً، وفيه سكينة ووقار، وعفة عن المنكرات، مع لين وعدم شهرة بالشجاعة، وكان من أخصاء الملك الظاهر جقمق، ولم تطل أيامه في السعادة لتشكر أفعاله أو تذم، رحمه الله تعالى.

(٤) وفيها توفي الأمير سيف الدين قاني باي الناصري المعروف بالأعمش[١]، أحد أمراء العشرات ونائب قلعة الجبل، في ليلة الخميس سابع عشرين ذي القعدة من السنة، ودفن في بكرة يوم الخميس.

واصل قاني باي هذا من مماليك الملك الناصر فرج، وترقى في دولة الملك الأشرف برسباي، وصار من جملة// الخاصكية، ثم تأمر عشرة في دولة الملك [٣٩٥] الظاهر جقمق، وصار من جملة رءوس النوب دهراً طويلاً إلى أن أخلع عليه الملك الأشرف إينال في أوائل سلطنته بنيابة قلعة الجبل، عوضاً عن يونس العلائي، بحكم انتقاله إلى نيابة الإسكندرية بعد قرا جانبك الظاهري، فاستمر قاني باي هذا مدة يسيرة وأنعم عليه السلطان بإقطاع يونس المذكور، بحكم انتقال يونس إلى إقطاع جانبك اليشبكي والي القاهرة بحكم وفاته. والإقطاع الذي أنعم به

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٣٢ تر ١٨٢٤، المنهل الصافي مج ٣ ق ٧ أ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨١ - ١٨٢، السخاوي. الضوء اللامع ج ٦ ص ١٩٧ تر ٦٦٨، ابن أياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٣.

على قاني باي المذكور إمرة عشرة، وكذلك الذي خرج عنه، لكن شيء أحسن من شيء، وكل ما وقع استقرار قاني باي في نيابة القلعة وتغيير الإقطاع في شهر واحد وهو شهر ربيع الأول من سنة سبع وخمسين، ودام قاني باي على إقطاعه ووظيفته إلى أن مات في التاريخ المذكور، وسنه نيف (على) نحو السبعين سنة.

وكان مهملاً في الدولة، وما وقع له من الترقي فهو بواسطة الجنسية وكونه من الحزقة.

(٥) وفيها توفي الأمير سيف الدين جانبك بن عبد الله المحمودي [١] المؤيدي أحد أمراء الطبلخاناه بطرابلس، في أواخر ذي القعدة بها، وقد ناهز الستين سنة من العمر تخميناً.

وأصل جانبك من مماليك المؤيد شيخ، اشتراه هو وأخاه الأمير قانبك المحمودي وأعتقهما وجعلهما من جملة المماليك السلطانية.

قلت: وقانبك - المذكور - هو الأسن فيما أظن، وهو الآن أحد مقدمي الألوف بدمشق، وهو وارث جانبك هذا - انتهى.

واستمر جانبك - المذكور - من جملة المماليك السلطانية إلى أن صار خاصكياً بعد موت أستاذه الملك المؤيد، ودام على ذلك دهراً طويلاً لا يؤبه إليه، إلى أن تسلطن الملك الظاهر جقمق بعد خلع الملك العزيز يوسف في سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، أنعم عليه الملك الظاهر جقمق بإمره عشرة وجعله من جملة رءوس النوب، لكونه كان ممن ثار معه على الملك العزيز وحرض على القيام مع الملك الظاهر جقمق وخوفهم عاقبة المماليك الأشرفية إن دام ابن أستاذهم الملك العزيز المذكور في السلطنة حتى تم له ذلك؛ فلهذا أمره الملك الظاهر وقربه وأدناه، وصار له كلمة في الدولة//، مع طيش وخفة وعدم احتشام، فأخذ في [٣٩٦] القبض على الأشرفية وتتبعهم من الأماكن، وبالغ في أذاهم، ووجد المجال فجال، والسلطان مطاوع له ولخشداشيته كما هي عادة أوائل الدول، ثم لما

---

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨٢، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٦٠ تر ٢٤١.

هرب الملك العزيز يوسف من سجنه بقلعة الجبل واختفى بالقاهرة أخذ جانبك هذا في الفحص عليه، وهجم بيوت الناس هو وجماعة من خشداشيته. وأفحش أيضاً وبالغ في أذى الناس، وتسبب عند السلطان في عقوبة جماعة كثيرة من الأشرفية وغيرهم، وحرض السلطان على طوغان الأشرفي الزردكاش وخايربك الأشرفي حتى وسطهما بعد عقوبات مهولة، ثم لما عصى الأمير إينال الجكمي نائب الشام والأمير حسين بن أحمد بن المصري البهسني المدعو تغري برمش نائب حلب سافر إلى البلاد الشامية ليقلد بعض نوابها وعاد، ثم سافر إلى (أن) خرجت التجريدة لقتال إينال الجكمي ولقتال حسين بن أحمد نائب حلب المقدم ذكرهما، وانتصر عسكر السلطان عليهما وقتلا، وعاد العسكر إلى ديار مصر، وجانبك هذا صحبته أو قبله بمدة يسيرة، واستمر على إمرته ووظيفته فركضت ريحه لسكون الفتنة، وصار من جملة الأمراء، ليس يتكلم إلا فيما يتعلق به، وهو مع ذلك يتقرب من السلطان ويتكلم معه فيما لا يعنيه، وقد ظهر على السلطان الملل منه في الباطن، غير أنه لم يسعه إلا الاحتمال، وكان يقال: «من حبك لشيء ملك عند انقضاه». واستمر بعد ذلك إلى سنة سبع وأربعين وثمانمائة قبض عليه السلطان وسجنه بالبرج من قلعة الجبل، بعد أن تحقق إعراض المؤيدية عنه لقبضه على جانبك المذكور، وربما يثير بعضهم فتنة بسببه، فلم ينتطح في ذلك شاتان، وقبض عليه وحبسه، وأنعم بإقطاعه على السيفي خيربك المؤيدي الأشقر أحد الدوادارية الصغار.

قلت: وحساب الملك الظاهر في ذلك على قدر شهامته ورجولته[1] فحسب، إن في السويداء رجال، والقوم أجانب عن ذلك.

ثم نقل جانبك من البرج إلى الإسكندرية، ثم نقل إلى البلاد الشامية، [٣٩٧] وبعد مدة// أنعم عليه السلطان بإمرة مائة وتقدمة ألف بحلب، فعندما توجه جانبك المذكور إلى حلب وأقام بها مدة يسيرة، وأثار فتنة عظيمة، ووثب على الأمير قاني باي الحمزاوي نائب حلب، ولبس السلاح، فلم ينتج له أمر، وقبض عليه

---

(١) في «أ»: «ورجلته».

وسجن بالبلاد الشامية من يوم تاريخه في عدة سجون إلى أن أفرج عنه الملك الأشرف إينال في أوائل سلطنته أو الملك الظاهر في أواخر عمره، ثم أنعم عليه الملك الأشرف بإمرة طبلخاناه بعد انتقال الأمير حطط عنها إلى أتابكية طرابلس، فدام جانبك هذا على الإقطاع نحو سنتين ، ومات في التاريخ المذكور .

وكان جانبك هذا مربوع القامة، أصفر الوجه، صغير اللحية، عبوساً، عديم البشاشة، سيء الخلق، حاد[1] المزاج، سريع الحركة، كثير الشر قديماً وحديثاً، كان أولاً في أيام قصر يده يتخاصم مع شركائه في الإقطاعات فلا يزال يتحاكم معهم عند الحكام، فقل أن يجده الشخص في بيته للراحة، وإنما كان شأنه الركوب والدوران لشرور الناس، فلما طالت يده ما عف ولا كف، حتى قبض ووقع له ما ذكرناه، فاستراح وأراح، وأنعم بإقطاعه على تمراز الأشرفي الدوادار ـ كان ـ أحد البطالين بالقدس.

ولله در أبي الطيب أحمد بن الحسين الجعفي حيث يقول:

بذا قضت الأيام[2] ما بين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد

[الطويل]

* * *

(١) في « أ » : « حد » .

(٢) في « أ »: « الدنيا ».

وفي هذه السنة كان الفراغ من المدرسة التي أنشأها الملك الأشرف إينال بالصحراء.

وفي هذه السنة زالت دولة بني رسول[1] من ممالك اليمن بعد أن ملكوها نحواً من مائتين وثلاثين سنة - حسبما يأتي بيانه - وآخر ملوكهم الملك المسعود، اختلف عليه في أوائل هذه السنة عساكره وعبيده، فضعف أمره وتسحب من بلاده ونزل عند جماعة من المشايخ والصلحاء، وهو إلى الآن مقيم عندهم، وملك بلاد اليمن رجل عربي من العرب يقال له: طاهر - وهو من القرشية - وهو يدعى بالجودة والصلاح، وملك البلاد بالمال، وسكن عدن، وبلاد القرشية تزرع الفوه التي يزرع بها. انتهى.

وأول من ملك اليمن من بني رسول الملك المنصور نور الدين أبو الفتح عمر بن علي بن رسول، وقيل: اسم رسول محمد بن// هارون بن أبي الفتح [٣٩٨] ابن نوحي بن رستم التركماني الغساني من ذرية جبلة بن الأيهم، قيل: إن جده محمد المعروف برسول كان انضم لبعض الخلفاء العباسية، فاختصه بالرسالة إلى الشام وغيرها، فعرف بالرسول وغلب عليه ذلك، ثم انتقل من العراق إلى الشام ثم إلى مصر، وانضم هارون هو وأولاده لبعض بني أيوب لما ملكوا مصر، وهو مع ذلك له حاشية وحفدة إلى أن أرسل السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أخاه الملك المعظم تورانشاه إلى اليمن، أرسل الملك المنصور عمر هذا معه

(١) أشار إلى ذلك إجمالاً في النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨٢ .

كالوزير، واستحلفه على المناصحة لبني أيوب، فسار معه إلى اليمن، فلما ملك الملك المسعود ابن الملك الكامل ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بعد تورانشاه اليمن قرب عمر هذا وزاد في تعظيمه وولاه الحصون الوصابية، ثم ولاه مكة المشرفة، ورتب معه فيها ثلاثمائة فارس، وحصل بين المنصور هذا وبين حسن بن قتادة أمير مكة وقعة انكسر الشريف حسن المذكور فيها ورجع، ودخل المنصور مكة واستولى عليها، وعمر في ولايته مكة - المسجد الذي اعتمرت منه عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - وذلك في سنة تسع عشرة وستمائة، وعمر - أيضاً - في ولايته مكة الدار التي[1] يقال لها دار سيدنا أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - في الزقاق المعروف بزقاق الحجر، وذلك في سنة ثلاث وعشرين وستمائة، ثم استناب الملك المسعود نور الدين هذا على بلاد اليمن لما توجه منها إلى الديار المصرية، واستناب بصنعاء بدر الدين حسن بن علي بن رسول أخا نور الدين المذكور.

ولما عاد الملك المسعود إلى اليمن قبض على نور الدين هذا، وعلى أخيه بدر الدين حسن المذكور، وعلى أخيه الآخر فخر الدين أبي بكر، وعلي شرف الدين موسى، تخوفاً منهم لما ظهر من نجابتهم في غيبته، وأرسلهم إلى الديار المصرية محتفظاً بهم ما خلا نور الدين صاحب الترجمة، فإنه أطلقه من يومه لأنه كان يأنس إليه، ثم استحلفه وجعله أتابك عساكره.

فلما عزم الملك المسعود إلى التوجه إلى مصر ثانياً استنابه - أيضاً - على جميع بلاد اليمن، وقال له: إن مت فأنت أولى بالملك من إخوتي لخدمتك لي، وإن عشت// فأنت على حالك، وإياك أن تترك أحداً من أهلي يدخل اليمن، ولو [٣٩٩] جاءك الملك الكامل.

ثم سار الملك المسعود إلى مكة فمات بها قبل دخوله مصر، فلما بلغ نور الدين هذا خبر موته أضمر الاستقلال بمملكة اليمن، وأظهر غير ذلك، واستوثق أمره، واستولى على غالب بلاد اليمن وحصونها، فعند ذلك دعا لنفسه بالملك (المنصور) [2]، وذلك بعد موت الملك المسعود في سنة تسع وعشرين وستمائة

---

(١) في «أ»: «الذي».

(٢) بياض بأصل «أ»، مثبت من ابن علي، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ص ٤٢٠، ومن قوله بعد: «ثم قوى أمر المنصور هذا».

ثم ارسل إلى الخليفة المستنصر بالله العباسي البغدادي في خلعةوتقليد، فأجيب بعد مدة، واستمر في الملك، ولم تزل ممالكه تتسع حتى ملك من عدن إلى عيذاب.

وجرى بينه وبين الملك الكامل والد الملك المسعود حروب، ثم مات الملك الكامل وتسلطن ولده الملك الصالح بالديار المصرية، وجرى بينهما - أيضاً - حروب وخطوب يطول شرحها بسبب مكة المشرفة، وصار تارة يولي إمرة مكة الملك المنصور هذا، وتارة الملك الصالح صاحب مصر، واستمر ذلك سنين، وقدم مكة مراراً.

ثم قوى أمر المنصور هذا، واشترى قلعة ينبع من صاحبها أبي سعد، وأمر بخرابها حتى لا يبقى قرار المصريين فيها، واستولى على مكة، وأبطل منها سائر المكوس والمظالم، ولم يزل مستولياً[1] عليها إلى أن قتل في ليلة السبت تاسع ذي القعدة سنة سبع وأربعين وستمائة، قتله مماليكه باتفاق من ابن أخيه أسد الدين محمد ابن بدر الدين حسن.

وملك بعده ابنه الملك المظفر يوسف، فحكم بلاد اليمن ستة وأربعين سنة، ومات في يوم الثلاثاء ثالث عشرين شهر رمضان (سنة أربع وتسعين وستمائة)[2].

وملك بعده ابنه الملك الأشرف نجم الدين عمر، ومات بعد سنة.

وملك بعده أخوه الملك المؤيد هزبر الدين داود بن الملك المظفر يوسف في محرم سنة ست وتسعين وستمائة، وملك نيفاً وعشرين سنة إلى أن مات في ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وسبعمائة.

وملك بعده ابنه الملك المجاهد، واضطربت مملكة اليمن مدة، ووقع له أمور إلى أن مات في يوم السبت خامس عشرين جمادي الأولى سنة أربع وستين وسبعمائة بعدن.

---

(١) في « أ » : « مستولي » .

(٢) ساقط من «أ»: مثبت من ابن علي. غاية الأماني ص ٤٧٥ .

وملك بعده ابنه الملك الأفضل عباس في جمادي الأولى سنة // أربع [٤٠٠] وستين (وسبعمائة) إلى أن مات في شعبان سنة ثمان وسبعين وسبعمائة.

وملك بعده ابنه الملك الأشرف إسماعيل إلى أن مات في ليلة السبت ثامن عشر شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثمانمائة بمدينة تعز.

وملك بعده ابنه الملك الناصر أحمد إلى أن مات في سادس عشر جمادي الآخرة سنة سبع وعشرين وثمانمائة من صاعقة سقطت على حصنه قوارير خارج مدينة زبيد، فارتاع من سقوطها وأقام أياماً مريضاً إلى أن مات .

وملك بعده ابنه الملك المنصور عبد الله إلى أن مات في جمادي الأولى سنة ثلاثين وثمانمائة.

وملك بعده أخوه الملك الأشرف إسماعيل، فلم يتم أمره وخلع بعد مدة يسيرة.

وأقيم بعده الملك الظاهر هزبر الدين يحيى ابن الملك الأشرف إسماعيل في ثالث شهر رجب من السنة ، إلى أن مات في يوم الخميس سلخ رجب سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة . وضعفت ممالك اليمن في أيامه ، لقلة تجابي أموالها ، واستيلاء العربان على أعمالها .

وأقيم بعده ابنه الملك الأشرف إسماعيل وله من العمر نحو العشرين سنة، فأكثر من سفك الدماء وأخذ الأموال وغير ذلك من أنواع الفساد، وقتل الأمير برقوق القائم بدولتهم في عدة أخر من الأتراك، ووقع له أمور في أيامه، وتلاشت اليمن من بعده، وملكها جماعة اختلف في ولاياتهم لقصر مدتهم ولاضطراب دولتهم، ولا زال أمرهم في إدبار من هذه السنة، وهي سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة إلى أن زال ملكهم من ممالك اليمن في هذه السنة، وهي سنة ستين وثمانمائة في أيام الملك المسعود.

وقد تقدم أن الملك المسعود هذا ترك ممالك اليمن لما ضعف أمره وخرج هارباً إلى الصالحين، وأقام عندهم إلى يومنا هذا، وملك اليمن بعده رجل من الأعراب القرشية يسمى طاهر.

قلت: نادرة، كان ابتداء ملك بني رسول لبلاد اليمن على يد الملك المسعود ابن الملك الكامل ابن الملك العادل ابن أيوب، وكان زوال ملكهم من بلاد اليمن على يد الملك المسعود هذا، فكان إقبال سعدهم من مسعود وإدبار// [٠١ سعدهم من مسعود.

انتهى، والله أعلم، والحمد لله وحده.

* * *

تم الجزء الأول المسمى بحوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، على يد تلميذ مؤلفه ونشو صدقاته، وعبد إحسانه، العبد الفقير إلى الله تعالى، الحقير الراجي عفو ربه الكريم، وشفاعة نبيه محمد - ﷺ - محمد بن أحمد بن محمد الطندتائي الشافعي، غفر الله له ولوالديه، ولمن قرأ فيه أو نظر فيه، ودعا له بالتوبة والمغفرة، وللمسلمين أجمعين آمين .

وكان الفراغ من كتابته في يوم الخميس المبارك، حادي عشرين شهر ربيع الأخرة سنة إحدى وستين وثمانمائة، ونقلت من ثاني نسخة كتبت من خط المؤلف في حياته، حفظه الله تعالى، ورحم سلفه الكريم بمحمد وآله .

وذلك تأليف الجناب الكريم العالي المولوي الأميري الكبيري العالمي الفاضلي الرئيسي العريقي الجمالي أبو المحاسن سيدي يوسف ، ولد المقر المرحوم السيفي الأتابكي أتابك العساكر بالديار المصرية ، وكافل المملكتين[1] الشامية والحلبية - كان - عظم الله شأنه ، ورحم سلفه الكريم بمحمد وآله وصحبه وسلم ، وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً ، ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين ، والحمد لله رب العالمين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

كتب هذا الجزء المبارك لنفسه ولمن شاء الله تعالى من بعده العبد الفقير الحقير المعترف بالذنب والتقصير، الراجي عفو ربه العفو القدير، محمد بن أحمد ابن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الوهاب، البهاء بن علي بن شافع

(١) في الأصل : « المملكتي » .

الإخميمي الانصاري ، الخزرجي الحنفي ، عامله الله تعالى والمسلمين بلطفه الجلي والخفي ، ورحم والديه وأولاده وإخوته وأخوانه وأقاربه والمسلمين بمنه وكرمه ، آمين .

وكان الفراغ منه في يوم الأحد الرابع والعشرين من شهر شعبان المكرم سنة ثمان وتسعين وثمانمائة ، حامداً لله ـ تعالى ـ ومصلياً على رسوله المصطفى ، ومسلماً ومحسبلاً ومحوقلاً ومهللاً .

* * *

آخر الجزء الثاني

يتلوه ـ بإذن الله ـ الجزء الثالث :

الفهارس العلمية ومصادر التحقيق

فهرس الجزء الثاني
مـــن
حوادث الدهور